



کتاب فقهیه



لَا رِقَّ فِي الْقُرْآنِ

تأليف
إبراهيم قاسم الفاضلي



كتب قومية

للأرق في القرآن

تأليف
إبراهيم قاسم الفداوي

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله مانح الحياة والموت لأدم ونبيه ،
وأعلى وأسلم على من بعث نبي الرحمة الإنسانية
من الرق الذي طئت وما زالت تمسف فيه ،
مقتدر البشرية وقادتها محمد بن عبد الله
وعلى آله وأصحابه وتابعيه .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك ، وما
انزل من قبلك يريدون أن يحوطوك إلى الكافرات ، وقد
أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا
بعيدا » .

« وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله ، وإلى الرسول رأيت
النافقين يعدون عنك صنادا » .

« فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك
يعلفون بك أنك إن إردنا إلا إحسانا وتوفيقا » .

« أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ، فعرض عنهم
وعظمهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا » . (صدق الله
العتيق) .

اسجدوا لآدم

بهذه النصيحة وهذا التمجيد صيا الله آدم حينما فرغ من خلقه -
اذ قال للملائكة : اسجدوا لآدم .

ومن لم يسجد آدم لم يطع الله . ومن لم يطع الله يطرد من
ملكوت السماء . وتدخل عليه العنة الى الابد .

وذلك ما وقع للشيطان .

وما الشيطان ؟

انه الكراهية للملم .

انه الحق .

اله الحسد .

انه الضيق .

انه التعالى .

انه الاستهتار بالقيم .

انه الجحود بالحقوق الممنوحة .

انه الجهل بالكائنات واسرارها .

انه الكفر بالانسانية .

انه الاتانية .

انه التمرد على الله .

وان من يكثر بالانسانية . يكثر بخالفها . ومن يتمرد على الله
يتمرد على من استخلفه الله على ارضه .

ومن خليفة الله في الارض ؟

انه الانسان • • آدم •

الم يقل الله للملائكة قبل خلقه «انى جاعل فى الارض خليفة»
ثم خلقه فى احسن تقويم ، وعلمه بالقلم ، علمه ما لم يعلم ،
وعلمه الاسماء كلها ، وكرمه ، وفصله على كثير ممن خلق •

تلك هي نظرة القرآن للانسان ، وذلك وضع الانسان فيه •
افيتفق - مع هذا الوضع الكريم ، وتلك النظرة المألية - ان
يكون تشريع القرآن مناقضا لذلك ؟

ان القرآن الذى يرتفع بالانسان ارتفاعا يتعدى الملائكة ويدنيه
من الخالق لا يمكن ان يشرع له تشريعا يهبط به الى حضيض
الاسترقاق ، ويهدر هذه الامة المجتدة •

وكيف يحقق الانسان استخلاف الله له على ارضه اذا اثقلت
افكاره القيود ، واطرانه السلاسل والاغلال ، وادمى اديمه لفتح
السياط وعصرت اعمامه آكف الجوع والحرمان ؟ •

ان القرآن الكريم وحدة متناقة ، فليس فى تشريعاته تناكر
مع مبادئه واولياته •

ولكن الرجال تتناقض افكارهم ويضرب بعضها وجوه بعض
لهوى او لسوء فهم •

ليس فى القرآن الكريم نص يسمح استرقاق الناس بعضهم
بعضا •

وليس فيه نص يعد من حرية الناس ، او تشايعهم ، او تعطيل
ملكاتهم ، او الحجر عليهم فيما يضطربون فيه ؛ وليس فيه غير
التهديب ، والتنظيم لما اودع الله فى الانسان من قوى وخصائص
وملكات وما فتح الارض من ارزاق وغييرات • لئلا تميت القوضى
بالنعم الكثيرة التى منحهم ايلها •

ان القرآن النوردة الكبرى ، والتتكميل الرشيد الحالد لتخليص

الانسانية من كل ما ارى بها ومن كل من طغى عليها . وللبذ كل من تمرد على الله وشوه حاة الانسانية بأسفاهه ، وحماقته ، واجرمه .



ان القرآن الذى نزل من خالق الانسان منهم بما هو منه براء .

وعلى المسلمين ، ان يردوا هذا الاتهام . ويشربوا صحائف القرآن المشرقة لا بالأقوال ولكن بالتطبيق العملي لتشریف لسميع الحكيم . فان ذلك هو الدفاع الصادق عن القرآن .



ان في هذا الكتاب محاولة للتذكير ، بما في القرآن من نظم سهله التطبيق ، فيما يشغل أذهان الناس فيما يختص بمعاشهم ووجدانهم . وأفكارهم . مما جرى اليه البحث الذى من أجله كان تأليف هذا الكتاب ، وفيه دفع لبعض التهم التى تشدق بها الجاهلون بالقرآن والحاقدون علمه ويلصقونها بالقرآن جاءت في تصانيف الدوايمة والبحث . كما ان فيه تنزيها للقرآن عما يرتكبه من بحلون شعارات الكتاب والسنة وما هم منها على شئ .

فلعل ذلك يكون مثبثاً ، وحافزاً على العودة البطر الى ما تحفل به آيات القرآن من نظم لا تدانيها النظم الوضعية احكاماً وبسديداً . ان ما نراه سائداً في بعض بلاد الاسلام ليس من الاسلام في شئ . فحاشا لنظم القرآن ، ان تكون متخلفة عن ركب الانسانية . فان القرآن ما كان خاتمة الاديان لولا ان موحيه يعلم انه تشريع لا يضيق بزمان ولا بمكان ، ولا بانسان أينما كان . وهو لا يقر الجمود والرحمة ولا يرضى السعى والسدوان ، ويكره استرقاق الانسان لأخيه الانسان .

وان من يحاول الوقوف أمام الروح التى بفتحها الله في آدم تعطيه روح الله . وقد استطاع الانسان أن يرغم الكائنات على السجود بين يديه كما سجدت الملائكة بين يدي أبيه من قبل . وذلك ما يريد خالق الانسكان ومانع الحياة الله ، وحل جلال الله .

تخصيص

من يرمع أن القرآن الكريم شرح الرقأ أو صر به على ولة من اناس . أو على جنس من الاحاس اما أن يكون جاهلا بالقرآن وتشريعاته ، واما أن يكون سميء الفهم مكابرا . لانه لا يستطيع - ميا جهد - أن ياني ناية من القرآن تؤيد رعه . واما أن يكون مرمضا يهدف الى طمس الحق وخصليل الناس - عايات القرآن الخاصة بالرقبي اساجات لتحريره . وللقضاء على نظام الرقأ الذي كان سائدا في العالم قضاء مرميا . كما سيبين ذلك في جينه .

وللتدبر لآياته وتشريعاته يرى - بوصوح - أن القرآن لم يطر لمشكلة الرقبي على انيا مشكلة قائمة بداتها متصلة عن غيرها من المشاكل . بل يطر اليه على انها مشكلة تضاعفت عليها عوامل كثيرة حتى اوجدتها . فهي وليدة عديد من المشاكل التي لولا وجودها ما وجدت مشكلة الرقبي -

لذلك سمع القرآن اساكل التي تسببت في وجود نظام الاسرافاق ووضع الحانول لخدمة التي تقصى على هذا النظام القديم انتاولت من آلاى السحي . وتقتلع حنوده الصارية في اصاق المجتمعات الانسانية من الاساس .

والقرآن لم يتزل الا لتخليص الانسانية من شرورها وهدايتها الى ما فيه حيرما وصلاحتها واستقامة امورها . لتعيش مشرقا لوجه . سليمة من الشرور والكدمات التي تشوهها .

وإذا أبت الانسانية - مبد مزول القرآن الى الآن - الا أن تعيش مشوهة موبوءة فليس فلك من عمل القرآن . وانما هو من عمل الكفرقين عن على القرآن .

فليس من حق أى انسان أن يقول في اجترأ وقع : ان القرآن قد استفقد أغراضه ولم تعد تشريعاته صالحة للقرن العشرين .

والقرآن يحصى بآياته اليبسات ، وتشريعاته المحكمة كل
نظم والتشريعات الحديثة ٠٠٠ ونشبت للماحتين - بأخلاص عن
الحقيقة - أنه اصطلح بها محتمة لكل زمان ومكان ٠٠٠ وجميع
ما براه من معاصرين النظم الحديثة لم تشرق محاسنها على الناس إلا
بعد نزول القرآن وانتشار أضوائه في المشرق والمغرب *

أما قبل القرآن فلم يكن في العالم إلا ظلمات دامسة يقضي
معصها بمصا - إلا ما كان من بعض البهوات التي كانت تومض بين
الحين والحين - ولم تكن فلسفة من الفلسفات المتجذبة بتربية
الصير ، لا حتى العز ، ولا في الجماعة ، ولم يمنها قط نعت الرحمة
والتعاطف والامتنان في القلوب ، ولذلك كانت القوايين معجزة حائرة
بالضعفاء الذين لا حول لهم ولا طول ، ولما كان سائدا من التمايز
العنصري ، والطبقي ، والديني ، الذي تسيير القرين على هدبه ،
فأعطت الاتوياء كل شيء ، وفتحت الضمائم من كل شيء *

أما إذا كان بعض المجتمعات الإسلامية ما زال يرسف في
الاعلال التعميلة أغلال الجهل والفقر والمرض وغير ذلك ، وإذا كان
بعض المجتمعات المسلمة - ما زال حتى الآن - يفتح أسبواقه
للقراصنة والنصوص والعصافيين والمحسنيين ومماصرة الرقيق
الابيض والاسود مراوله تجارته تحت حماية السلطان فمن الخطأ
القاصح أن يكون ذلك حجة على القرآن - وإذا كان في تلك المجتمعات
المسلمة من يرى أن القرآن يبيح ذلك فابسا هم يتكذبون على القرآن ،
ويفتشون على الرحمن ، ومن أظلم ممن اعترى على الله السكوب وهو
يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين ، - وهؤلاء هم الشفرة التي
يتسلل منها أعداء القرآن لوصمة بالقسوة والبهجية وإذلال
الإنسانية *

إن أعداء القرآن حينما يصبون القرآن بسوقون أعمال أولئك
الذين يحملون شتمات القرآن وهم متحرقون عنه ، تأييدا لافترائهم
عليه ، والقرآن يرى منهم ومما يعملون - ولا بد لدخس حجج
المفتريين على القرآن ، ولبيان أن القرآن لم يشرع الرق بل شرع
تحرير الرقيق من مرد موجز لتاريخ الرق في العالم ، وسرد الأوصاف
المختلفة التي كانت قائمة ، والفلسفات والمطريات التي كانت
سائدة *

ثم سرد آيات القرآن التي جابهت كل ذلك ومركبه اقتضاضا
بركاتها . وأقامت بدله نظريات جديدة ليقوم عليها ماء سليم مزمه
س كل ما أصاب الامم السابقة من بلاء وشقاء في عصورها الفائرة .

ولعل الذي أوقع المحضعات الاسلامية فيما هي فيه من اختلال
بنايتها وتصنعه هو انها لم تنظر الى القرآن كلا لا يتجزأ . بل
نظرت اليه اجزاء متفرقة ، وانبعثت في ذلك سنن بني اسرائيل الذين
آمنوا ببعض الكتاب وكفروا بالمعظم الآخر . فأوقعها ذلك في
اضطراب الفكر وصوه الفهم . وانخرجت نتيجة لذلك في مسلكها
حتى ابتعدت عن طريق الجادة . ان كل نظام يقوم في أي مجتمع
لا عناصر من أن تحيط كلياته وجريئاته التشريعية بالمجتمع كما
تحيط الحلقة بالاصبع .

وما دام من المسلم به - بداهه - انه لا توجد مشكلة مجتمعية
قائمة بذاتها مستقلة عما سواها ، وأن جميع المشاكل مترابطة
بعض متوالفة عن بعض . فمن المحتم أيضا أن أي نظام يقوم
لحلها لا بد أن تكون تشريعاته متضامه يدعم بعضها بعضا في
المعنى والروح . لتكون الحلول منتجة فعالة ذات أثر عميق في
اقتلاع المشاكل من جذورها . فكذلك آيات القرآن متضامرة يستند
بعضها بعضا ويدعم اولها اخرها . لانه نظام كامل للحياة
الاساسية ، انظمت تشريعاته جميع شئوننا ومشاكلنا . فعلمنا أن
ستشفي روحه ومقاصده ، من هذا الترابط المعنوي بين الآيات .

وهذا ما احاول بيانه في هذا البحث . فاعلم أوفق في ذلك .
وأي استند المعون من منزل القرآن ومن نزل عليه القرآن . صاحب
القرن الاعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، كما استند
المعون من صحابته الاكرمين ، وأئمة المسلمين الذين فهموا القرآن
كما أنزل .

سكاريخ الاسترقاق

عرفت لسمرية منذ القدم الرق ، وليس لديه مرجع يحرم عن أول مجتمع عرب الرق على مرد أو علة من الناس .

ويكن يحدد في آثار عبور ما قبل التاريخ ما يدل على وجود الرق بصورة ما في تلك المجتمعات البدائية .

ومن المؤكد أن الحرية هي الأصل في حياة الإنسان ، ومن الديهي أن الرق لم يوجد إلا في تسلط قوى على صعيد وقادر على سحر وحاكم على محكوم ، وكلما تطورت حياة البشر تطورت مستلزماتيا . وتطورت معها لذلك أساليب الضعف في حاسب وأساليب القوة في جانب آخر . وتعدد زوائد الرق ومناخه وهي لا تتغير إلا في البيئات الضعيفة . ولا يستفيد من تفجرها إلا الأقوياء .

وقد عرفت الأمم القديمة في حضارتها أنواعا من الرق ، فكان لديها الرق لعمري . والرق الجماعي . والرق الإقطاعي . والرق الطبقي . والرق الكهنوتي .

أما أسبابه فهجر منابع الرق في الحضارات القديمة فهي محصر في تساد النظم الاقتصادية التي كانت قائمة ، وانتماع الناس في الترف والمونقات . ومصاد العوائد والغنيمات التي كانت سائلة . وشن الحروب العدوانية بين المجتمعات البشرية ، واعتبار السرق والغرصة والخطف من ضمن الجور التي يحتمها السلطان وتنظيمها الشرائع والقوانين . كما يتبين لنا ذلك هنا سنسرد الآن .

الرق عند الاغريق :

علامة الاغريقية التي أُنشئت مقراط ، وانفلاطون ، وإرسطو ، وصولون . وغيرهم ممن تركوا أثرا فكريا ضخما في حياة الإحيال

السيرة كما لا تتصور الحياة بعمر رقيق ولو كان ذلك المتصور
كبريا محضا لا يتصل الى واقع الحياة .

هذا ارسطو يوحى وجود الرق . ويرى ان التكوين الخلقى
محض البشر لا يرقى بهم الى مرتبة السادة لانهم فقدوا التمييز
والفهم فيجب ان يكونوا رقيقا ، فهو يقول . « لا يزال في العالم
ناس مخلوقون للسيادة وآخرون مخلوقون للطاعة ، وعكسهم في
ذلك حكم الآلات الحية الى تساق للعمل . ولا تدرى ما تساق
اليه » ثم تدركه الرحمة فيقول « ان للسيد الحق في تشجيع هذه
الآلات حتى تخرج من منزلة الآلة المسخرة الى منزلة الآلة المتصرفه
كما بدت فيها بواحد الفهم والمميز » وارسطو حينما يتحدث
عن هؤلاء المخلوقين للطاعة والخضوع كأنما هو يتحدث عن منجم يمد
الاعرق بهذه الآلات الحية لا عن اناس لهم ما له من الاحاسيس
والشاعر والافكار .

ولا بد ان لو عاش ارسطو الى الزمن الذى اغار فيه الرومان على
بلادهم واسمروا بى جسمه ، وفيهم كثيرون من امثاله . اكان يثبت
على فلسفته او كان يلقى آراءه . ويعرف ان من كان يتحدث عنهم
يسوا الآلات وانما هم بشر مثله .

اما افلاطون . فان جمهوريته لا يقوم بناؤها ان لم يكن فيها
رطب يقوم بالاعمال الشاقة ولذلك يمد أولا الى حرافة يروجها في
شعب جمهوريته . فيقول لهم : « كلكم اخوان في الوطنية ولكن الاله
الذى جلسكم وضع في طينة نحصكم ذمما ليسكنهم من ان يكونوا
حكاما هؤلاء هم الاكثر احتراما . ووضع في حيلة المساعدين قضة .
في العبيد لان يكونوا زراعا وعمالا . وضع صماما وحديدا » .

وبعد ان يعرض بمرآته هذه نظام الطبقات على الناس .
لا يحبذ النظام الديمقراطي في الحكم لانه يحشى ان يتناول العبيد
على حرية اسيادهم فهو يقول . « واقص ما يبلغ اهل هذه الجمهورية
من الحرية هو تناول العبيد على اسيادهم » وعلى سوء هذه الفاسفة
من فلاسفة الاغريق في اثينا تركب جميع المواقف لتوفير الارقاء
باحتسابهم . كما تركب جميع انواع التصسف في معاملة الارقاء
فكان للسيد مطلق الحرية في ازالة اى عقاب يريده برفيقه دون
حسب او رقيب .

أما أحوالهم في أسيرة غانيم وإن لاحظوا ما في الفوارق
الطبقية من أخطار تهدد كياناتهم ومن أضرار تلحق بهم ، حتى عملوا
إلى نظام الموائد الجماعية التي توضع لأطعام الفقراء من الشعب
إلا أنهم كانوا في نظرتهم إلى الرقيق أشد قسوة من الاثنينين .

فقد نظم صولون - وهو أحد حكام أسيرة ومشرعيها المتأخرين
- القرصمة لتوريد الرقيق بالسطو على الموانئ ، وسفن التجار ،
وخطف الناس وسرقتهم ، والاتيان بهم إلى أسيرة لاسترقاقهم .

بل أنهم كانوا يعتبرون العرصة والحظف مهمة الإشراف
والعظام . وقد ألفه صولون ، لتلك الصناعات بقانات لتزويدها
بما تحتاج إليه من سفن وسلاح ، وكانوا لا ينكرون سرقة النساء
والاطفال من القرى والندى وإن كانت يونانية ، حتى كثر الرقيق
لديهم كثرة فاحشة ، وكلما انتابتهم الخشية من هذه الكثرة عملوا
بمن العينة والعينة إلى أداة حمايات كبيرة من الرقيق بالقتل الجماعي
أو الحرق الجماعي ، بحجة أن كثرتهم تهدد أمن الدولة وقد أقر
مشروعهم استغلال الرقيق في البقاء ، وامتناع الصادة بالارباح ،
وقد أسسوا هنا العمل مرفقا عن مرافق الدولة القائمة ، لأن للدولة
جملا من هذه الارباح . وقد بلغ بالأسبرطيين حنون البقاء عن طريق
الرقيق أن حصوه قربي يقترب بها إلى الآلهة فيبغضون الفتيات
الجميلات إلى المعابد ليرتكب زوارها الفاحشة ممن على أن يكون
البخل لصندوق المعبد .

وقد أطرى مؤرخوهم هذا العمل واعتبروه من المشروعات
الوطنية الجليلة التي تحلب إلى بلادهم السياح وتزيد في الدخل
القومي .

وكان دعوس الناس وأغبياتهم يننون للآلهة حسناوات
الجوازي إذا تحقق عارب من مآثرهم ، حتى خصصت المعابد بالنساء
لارتكاب الفجور في تلك الأماكن ، وكانوا يسمونه البقاء الديني .

وكان إلى جانب الرقيق الفردي الرقيق الجماعي ، فكانوا
يضررون الرق على مدينة بأكملها أو على شعب بأسره إذا غلبوه في
حربهم .

وكأن للدائن استرقاق المدين إذا عجز عن مبداء دينه ، واسترقاق أسرته معه - وكان القانون يحظر على أى سيد يربد الاحسان الى أحد عبيده أو امائه بتحريره الا بشروط معقدة متفرقة ، وإذا أسر السيد على تخطى تلك المقبات القانونية فليس له ان يدع للدولة غرامه مالية لان تحرير العبد أو الأمة تضيق لحق من حقوق الدولة ، ومن ناحية أخرى تفرض على المعتوق واجبات واعباء كثيرة يؤديها للمصن وأعباء واحبات أخرى يؤديها للدولة .

هذه معاملة الرقيق عند الاغريق ، ومنك نظرتهم اليهم وهم من بلغوا من الرقى الفكرى المنزلة القصوى فى العالم المتحضر قديما .

وقد ذاق الاغريق وملاستهم ذل الرق ، فقد غزاهم الرومان واسترقوا عنهم عددا من الفلاسفة من أمثال أرسطو ، وأفلاطون ؛ وطبقوا عليهم نظرياتهم ، وحملوهم آلات مسخرة قبلما كسبوا كانوا يتنظرون الى الرقيق فى بلادهم ويستقد ان أرسطو وأفلاطون لو كانا عاشين لانتكرا نظرتهم الى الرقيق وتبرأ منها .

الرق عند الرومانيين :

وتشيع بالرومان وهى أمة اشتهرت بالنقض وما رالت القوايين الحديثة متأثرة بتقنيهم تأثرا بالغا . فمنظر ما صنع هؤلاء بهمة المشككة " كان انبعا السائد عند الرومان ان الرقيق يعتبر شيئا لا شخصا ، وعلى ذلك فليس له - على عكس الحر - أسرة ، واتصاله اذن بالنساء لا يعتبر زواجا قانونيا ؛ ولكنه يعتبر صلة واقعية ، وليس له ذمة مالية ، وليس من حقه اذن الامتلاك أو الاستمانة أو التسليف أو الوراثة ولم يكن من حقه ان يظهر أمام القضاء لان القضاء مفتوح للاحرار دون غيرهم ، فإذا جرح أو أصيب بأضرار فليس من حقه ان يطالب بتعويض بل كان من حق السيد - شأن الرقيق فى هذا شأن الحيوانات والجمادات التى يمتلكها السيد - ويصح ان يكون موضوعا للكية فردية أو جماعية يتصرف فيها صاحبها بكل حرية بل يصح ان يكون ملكية جزئية مجزأة بين عدة سادة ، وللسيد ان يترك رقيقه كالاشياء تمام فليس شيئا لاصاحبه له . هذه نظرة روما القديمة للرقيق " .

فلما دخلت المسيحية في الدولة الرومانية سمح للرق في
بالاشتراك في الطقوس الدينية ، كما كان يحافظ على قبره كما
يحافظ على قبور الاحرار . وله أن يمثل سيده في بعض العقود
القانونية باستملوته لشخصية سيده اذا كانت هناك قائمة للسيد ،
ثم سمح له أن يحل محل سيده في بعض العقود التجارية ، ثم حصل
تطور كبير في النصف الروماني - مرده سمحه من مساحه الدين
المسيحي - فصدر قانون يحرم على السيد قتل رقيقه بعد أن كان
القتل مباحا للسيد يقتل من يشاء من رقيقه وكيف يشاء . وكذلك
صدر قانون يحرم القاء الرقيق للحيوانات المترسه الا اذا كان يحكم
قصاصي . واخذت الامور تتطور في القانون الروماني لمصلحة الرقيق ،
فصدر مرسوم يوجب السيد الذي يقتل رقيقه بلا سبب للقتل ،
وسمح للقضاء بالرمي السيد الذي يعامل رقيقه معاملة قطة يبيعه .

ثم صدر مرسوم يسمح للرقيق أن يحرر نفسه من رقب سيده
بمبلغ من المال اذا كان في استطاعته فدية ما يبد منه مال ،
ويستطيع أن يحصل على المال بجهوده . وقد كان أهم مسعى للرقيق
عند الرومانيين حروبهم العنيفة التي كانوا يشنونها على حبايرهم
من الغالين ، وغيرهم .

ويقال ان قيصر روما عد . فتح بلاد الغال لم يولي على عبود
اسير وضرب عليهم الرق . وبذلك نزل سعر الرقيق حتى صار
لا يساوي الواحد منهم عشرة مروض ماعلة الحالية . ولقد تطور
امتلاك الرقيق عند الرومانيين فكانوا يتركون الرقيق يعمل في الارض
ثم احدثوا يهريهم الارض ويورثونها لاسانهم ليشتد تقاضي الرقيق
في حمله الارض وتملكهم بها ثم حرموا بيع الرقيق الا بالارض التي
يملكها وأدى هذا النظام الى نظام الرقيق الاقطاعي . فالسيد الذي يبيع
الارض بمن فيها من نساء ورجال وأطفال لان كل ذلك ملكه .
واتصفت الرحمة فصارت قسوة شائعة وكان القانون الذي صدر
لمصلحة الرقيق لم يكن الا تمهيدا لارتكاب جرائم افظع واشد .

وكان من مباح الرقيق عند الرومان أن ابن الرقيقه رقيق
بصرف النظر عن أبيه ولو كان حرا . وللقاضي أن يصدر حكما
بإسترقاق من فربوا من الجش ولو فروا من دفع الضرائب الحكومية

وإذا لم يمكن الحكومة من «تقصص على العائرين فلما أن مستشرق
أباهم ، و ن مسترق المدين إذا فر دائروهم والمسروق منه بالنسبة
للمارقي ، ومن قوانينهم ان المرأة الحرة إذا اتصلت برقيق لشخص
آخر رغم تحدير سيده لها تصبح مسوقة لهذا السيد ، وإذا رغب
السيد أن يستعيد رقيقه الذي حوره فله ذلك إذا أثبت أن رقيقه لم
يعترف بجسده أو سى « الى مولاه الذى حوره » .

هناك أمتان أوربيتان بلعا القمة . احدهما فى الفلسفة .
والاخرى فى التقسيم ، ومع ذلك لم نرهما تنظرا الى «رقيق نظرة
انسانية وحيدة ، او على الأقل تنظرا الى اليه على أنه من الآدميين .
بل يرى احدهما وهى الأمة اليونانية تعتبره آله حيه يجب أن
تستجدهم لصداقة المائدة . والاخرى تنظر اليه على أنه لا شخص .
وبستهي بها الامر الى أن يسبح الارض ومن عليها من أطفال وساء
ورحلا حتى لكأنهم قطعة من وحلها وطين تربها . ولقد سمي بعض
المؤرخين المدللرومانية « حلايا العاطلي » أى الفارغين الذين تفرغوا
للملاد والشعيرات وحلوا السيد اعياه معيشتهم .

الرق عند الاسبانين والطلين :

وكان الاسبانين والطلين مسلم مثل غيرهم من شعوب أوروبا
يكرهون آدمية الأرقاء ولا يكرهون مباح الرق السائدة فى العالم .
وليس للرقى أى حق مدنى أو قانونى . وكان من قوانينهم أن المرأة
إذا تزوجت برقيقها محرم مع زوجها على قيد الحياة ، اما إذا تزوجت
برفق غيرها فانه يفسخ الكاح ويحدد كل منهما بالسيطرة .

وإذا أحرم المدعى حق سيده فليس له الحق فى أن يذهب به
الى القاضى أولا ، وحيدته يصدر القاضى حكمه بحسب جرمته اما
خادا بالسيطرة ، او قتلا . ويسلمه لمسيء ليقوم بتنفيذ العقوبة على
عنه يده .

الرق عند الانجليز :

وكان الرقيق عند الانجليز ينقسم الى قسمين الرق الفردى
والرق الاقطاعى . والرقى الاقطاعى لا يباع بمفرده مجسدا عن
الارض بل يباع بالارض كأنه قطعة منها كما هو عند الرومان .

أما الرقيق الفردى ، فهو الذى يباع بمفرده . وكلا الصنفين من الرقيق يعتبر شيئا لا شتصا .

وليس له أى حق من الحقوق الإجمية . فهو كمتاع والآنك يفعل به ما يشاء ولحم شاء دون مؤاحسنه أو اعتراض من القضاء أو القانون .

وما زالت واسبب الماضى المظلم فى تاريخ الانجليز نسكم فى اخلاقهم ونعوسهم وتصرفاتهم الى اليوم . ولم تسع بريطانيا لالغاء الرقيق الا بعد أن استعمرت حائبا كبيرا من البلاد الافريقية واستولت على كثير من أراضيها الحصنة اغتصبا من احدى ملاكها الاصليين . فلم تعد الايدى العاملة الكافية لاستقلال الارض ، فحرمت اصطياد ابناء افريقيا السود لتوفر لمعسها الايدى العاملة فى مزارعها المغتصبة . ولم يكن تحريمها للرقيق الا صلتها الاستعمارية لا كما يظن بعض الساذجين أنها حرمت الرقيق بدافع من الاسابية أو التمدن . ودلنا على ذلك معاملة البريطانيين للسود فى بلادها وفى مستعمراتها من البلاد الاصنية للسود . فانها نتيج الآن وفى القرن العشرين فى معاملتها لهم شرمة من الطاغية البرهسى التى وضعا قبل الوقت الستين .

الرقيق عند الجرمانين :

كان الرومان واليونان والبيزنطيون . يعتبرون الجرمان برايرة . ومع ذلك كان المجنون والترف بلقا بالجرمانيين حدا كبيرا فاسروا فى اليسر واسرف اغنياؤهم فى الربا فاسترق اغنياؤهم فقراهم وبنح بهم هوس القمار أن كانوا يقامرون بنسائهم وأولادهم . تم بانفسهم . فيسترقهم قماروهم ولكن كانت معاملة الجرمانيين لرقيقهم اخف بكثير من معاملة الرومان واليونان . فكان السيد الجرمانى لا يكلف رقيقه الا بادارة اعماله . ويفرض عليه أن يقدم له قدرا مما ينتفع به مالا ، او مائسة ، أو شيئا من الملابس ، ثم يتركه حرا فى تصرفه .

وإذا غضب السيد على رقيقه عاقبه بما يريد . ولكن لم تبلغ القسوة به مبلها عند الرومان واليونان . ولعل ذلك راجع الى أن السيد والمسترق كلاهما جرمانى الا فى النادر .

الرق عند الغالين (١)

وكان الغاليون الذين ابتلوا باستعمار الرومانيين لهم معذاة امام جبروت روما . فهم لا يستطيعون لها صيدا ، وقد عزاهم قيصر روما واسر منهم مليون شخص صرب عليهم الرق حتى يبع الشخص منهم حتى اسواق روما مما يعادل عشرة قروش من العملة المعدنية كما قلنا .

وهؤلاء الغاليون على صعبهم قد عرفوا نظام الرقيق . وقد يبع بهم الترفع اذهم كانوا يملكون الى اعمال الزراعة من حرث وورع ، وحصاد . يقرر ويستكفون من مراولة الزراعة ، ويحكمون على من يزاولها بالذلة والاحتقار ، فاسندوا هذه الاعمال الى الرقيق .

اما السادة فكانوا يزاولون الحكم او البطالة ويعيشون على مجهودات الرقيق وعرقهم . رأينا اسلاء الله لهم بالرومان مسترقونهم ويزلون بهم الهوان .

الرق عند الهنود :

وإذا تركنا أوروبا وانتقلنا الى الشرق نجد الشرقيين مثل الغربيين تماما لم يظفروا الى هذه المسئلة نظرة الدين يريدون لها حلا أو نظرة الدين يريدون أن يتسموا بشيء من الرحمة حيال هذه الفئة المنكوبة . وانما نظفروا اليها على أنها نظام متبع يجب أن يبقى ونظفروا الى فئة الرقيق على أنها فئة لا تمت الى الاذميين بسبب .

ولنبدا بالرق عند الهنود من أهم الشرق :

دخل العنصر الآري الهند نائحا وتقلب على السكان الاصليين وحكمهم ، وقطع الغزاة العاتحون صلاتهم بجـنودهم الاول ، واستوطنوا الهند . ولكن اتساع الهند وغزوة سكانها أخافهم ، فان هذه الغزوة في السكان تهددهم بالابادة . اما عن طريق الكثرة والصف ، واما عن طريق الدواب التدرجي في العنصر الهندي

(١) الغاليون : السكان الاصليون لفرنسا ، وسكان ايطاليا الشمالية وسكان اسبانيا القديمة .

الاصيل فاذا ما مضى حيل او جيلان لا يبقى لمنصرهم طابع من
وينوب ذرياتها نهائيا وهم وان ارتدوا البقاء في الهند الى الابد فانهم
لا يريدون ان يحيوا حياة الامة الهندية ، ولكنهم يريدون ان يحيوا
حياة السادة الذين يستأثرون بكل شيء وللاحتفاظ ببقاء دمهم ودماء
عصرهم ، وطابعهم المميز . . . يقول « منو » وهو صانع الفلسفة
التي رآها كصفة مقائهم « لم تثبت كل بلد يولد فيه أولاد من
عرق متوالد معيد لعماد الطغاة ان تنقوض دعائمه وينحط سكرته
واسرة الرجل مهما تكن شريفة ممتازة لابد لهذا الرجل اذا كان وليد
طبقات مختلفة مختلطة من ان ينتقل اليه بالارث شيء من سلبية
ايويه وسوء خلقهما ، وما في الرجل من فقدان المضاعف النبيلة
وعقله الكلام والحلافة ، ولعميل الواحبات فموروث عن أم حديره
بالاحتقار » .

عند نظرية « منو » وعلى هذه النظرية وضع فلسفته وجعلها
دينا يجب ان يؤمن به الهنود ومن بينهم المنصر الآري المنطوق
في الهند ، ولقد قسم « منو » الامة الى أربع طبقات :

١ - (الكهنة) وهم رجال الدين أي حرمس صم الفلسفة .

٢ - (الكشترقة) رجال القتال (الجيوش) .

٣ - (الومشة) وهم الزراع والمزارعون والحداد .

٤ - (الشودرا) وهم العبيد الذين ليس لهم مهمة خاصة بل عملهم
جميعه الطبقات الثلاث والطبقات الثلاث كلها من المنصر الآري .
أما الشعب الهندي فهو من طبقة الشودرا أي أن (منو) ضرب الفرق
على الشعب الهندي باسمه .

وأباح فلسفته لرجال الطبقة الأولى أن يتزوجوا من نساء
الطبقتين ، ولكنه حرم على رجال الطبقات الثلاث أن يتزوجوا من
نساء طبقة الشودرا ، والذي يتزوج امرأة من طبقة الشودرا يصبح
ممنوع المستر ويعيبه الخزي في الدنيا والآخرة . ولذلك يطرد من
طبقة ولا يتنصب اليها وليس أمامه الا طبقة الشودرا .

وإذا قرأنا أسلوب (منو) لتقسيم الناس الى طبقات وجدناه

نسبه اسلوب افلاطون في جهودته كلاهما يصبه الى خرافة ويروجها بين الناس لتتمثل فلسفتها الى القلوب والافكار .

وقد رأينا فيما سبق ان خرافة افلاطون كانت قائمة على ان الله خلق بعض الناس من ذهب وهؤلاء طبقه الحكام الذين يجب طاعتهم واحترامهم ، وبعضهم من فضة وهى طبقه الجنود ، وبعضهم من نحاس وهم طبقه العبيد الذين لا يصلحون الا للاعمال الشاقة .

اما (مو) فيصبح خرافته نصيحة تتعلق مع طريقة الهندوس في تكبيرهم فيقول : « اراد الرب المولى تكاثر الجنس البشري فخلق من فمه (البراهمة) الذين هم الكهنة ، ومن ذراعه (الكشتريه) وهم الجنود وخلق من فخذه (الويشيه) وهم التجار والزراعي والمرابون ، وخلق من رجليه (الشودرا) العبيد . و اراد دوام هذا الجنس فجعل لكل واحدة من هذه الطبقات أعمالا خاصة . فعهد الى البراهمة درس سفار الديانة وتعليمها . وتقريب القرابين وإدارة صحايا الآخرين والعطاء والاخذ . - وعرض على الكشتريه حماية الشعب وممارسة الاحسان وتلاوة (الودا) وعسك الانتهاك في الشبهات . - وخصي الويشيه بتربية المواشي وابتغاء الزكاة والتصعيه وتلاوة (الودا) والتجارة ، والربا والحرف . - وأوجب على الشودرا عملا واحدا فقط وهو حمله تلك الطبقات من غير أن يحطوا من قدرها » .

ثم يقول مشرعا لهم امر الزواج : « يمكن المرء ان يولد من أب شريف وأم حقيرة (يعنى أمة) أن يكون شريفا بخصاله ، ولكن الذي يولد من أم شريفة (يعنى حرة) وأب حقير (يعنى عبدا) يصبه حقيرا كما هو القدر » ويقول : « لا يتنجل الشودري القى يتزوج بإمرأة من طبقه الكهان غير ولد أدنى منه ، وكل واحد من الأديله يتزوج بإمرأة من ذات الطبقات الثلاث لا يتنجل الا ولدا أدنى منه . . . ونلو حنم هي دار البرهمن الذي يتزوج بإمرأة شودرية فافلا ولد له ولد منها طرد من طبقه البراهمة » .

وهذا يبين لنا منابع الرق عند الهندوس ، فكل المواليد الذين آباؤهم من الشودريين وامهاتهم من الطبقات الاخرى يضرب عليهم الرق . . . وكل ولد يولد من أب برهمن وأم شودرية يضرب عليه

الرق ويلحق بطبقة السودا اوتوماتيكيا بحسب هذا التشريع
اخرى .

وبعد ان نعرب هذه الفريضة الرق على كل من يحالف تعالىمها
لا تكفى بهذا الاجحاف الذى يجعل المخالف خالدا فى نار جهنم .
بل تحل من الحياة الدنيا جسما اخرى ينطق فيها السودا انواعا
من العذاب التى لا يطاق . . وترفع الكهنة الى مقام الالهةيسة .
وترفع طبقة الجنود وطبقة التجار والمرايين والزراع ، فتضرع هذه
التشريعات :

• يؤجر الواهب مره على هبة المال لغير البرهمنى ، ويؤجر
مرتين على هبته لرجل يزعم انه برهمنى ، ويؤجر مره ألف مرة على
هبتته لبرهمنى متبحر فى كتب الديانة (الومدا) ويؤجر اجرا لا حد
له لبرهمنى متبطل الى علم اللاهوت .

• وادا ولد البرهمنى وضع فى الصف الاول من صفوف القديس ،
والبرهمنى اذ كان السيد الحاكم لكل مطوى وجب ان يحافظ على
كبر الشرائع المدنية والدينية ، والبرهمنى محل لاحترام لجميع
نسب نسبه لآلهه واحكامه حجة فى العالم والكتاب المقدس هو
الذى يصححه هذا الاعتبار ، وكل ما فى هذا العالم ملك للبرهمنى ،
والبرهمنى حق فى كل موجود بسبب الكبرية والنسب . والبرهمنى
اذا اقتصر حق له ان يمتلك مال السودا الذى هو عبد له من غير
ان يجازيه على ما فعل فالعبد وما ملك لسيده .

ولو يدس البرهمنى يدس ولو قتل اهل العوالم الثلاث يعصى
الطبقات الثلاث الذين هم دون طبقتيه ولا ينبغى لملك ان يجنى
خرجا من برهمنى عالم بالكتب للقمصة ولو مات للملك محتاجا ، ولا
يجوز للملك ان يصبر على جوع برهمنى من ولايته ، وليتجنب الملك
قتل البرهمنى ولو اقترف جميع الجرائم وليطرده اذا اراد من ولايته ،
على ان يترك له جميع امواله والا يصيبه نأفى .

والبرهمنى المحصن اذا رنى قص له شمره ، على حين يقتل
الزناة المحصنون من الطبقات الاخرى وعلى الملك ان لا يقطع امره
هابا قبل ان يستشير اكثر البراهمة ذاية .

وعلى الجنود أن يقوموا بأمر الحرب وحدها ، وإن ، بماضوا
حرفه أخرى ، وأوقات السلم أوقات البطالة وتقول شريعة (ص) :
لا فلاح للجنود بغير البراهمة ، ولا ارتفاع للبراهمة بغير الجنود ،
ولكن الجنود دون البراهمة بدرجات لأن البرهمن أب للكشمري ولو
كان عمر الأول عشر سنوات وعمر الثاني مائة سنة ، فعلى الكشمري
احترام البرهمن على هذا الأصل .

وتأتى المواد الخاصة بالشودرا (العبيد) فتقول

١ - خدمة الشودري للبراهمة هي الفصل عمل يعهد عليه ،
ولا أجر للشودري على أى عمل آخر .

٢ - لا يجوز للشودري أن يجمع ثروات زائلة ولو كان ذلك
من القادريين ، فالشودري إذا جمع مالا يؤدى البراهمة بقمته .

٣ - يجب أن ينفي الشودري الذى تحدته نفسه بأن يساوى
رجلا من طبقة أعلى ، بعد أن يوشم تحت الورك .

٤ - تقطع يد الشودري إذا علا من هو أعلى منه بسننه أو
عصاه ، وتقطع رجله إذا رمس من هو أعلى منه .

٥ - إذا دعا الشودري من ليس من طبقة باسمه باسم طائفته
بلهجة السخرية أدخل فى فمه خنجر محمى ثلاث الحبل طول عشرة
قراريط ، ويأمر الملك بصبي زيت حار فى فمه وأذنيه إذا بلغ من
الوقاحة أن يبنى رأيا للبراهمة فى أمور وظائهم .

٦ - يجازى بجزاء صارم من أكل شودريا أو جالسه على
فراش واحد أو ركب معه فى مركبة واحدة .



وطبقة الشودرا هي طبقة المنبوذين ، وما زالت هذه الطبقة
باقية حتى الآن ، وما زالت تعامل نفس المعاملة التى كانت تعامل
بها منذ (مئتي) من آلاف السنين ، ولم تفلح مسيحات المصلحين
والمصلحين فى القضاء على هذا النظام البغيض المتحدر اليهم من عصر
الهمجية والظلام . بل إن غامدى قتل حينما أراد أن يحررهم ويعيد
اليهم الاعتراف بأدميتهم والاستمتاع بحرمتهم كما يستمتع بها
بقية مواطنهم .

وبينما غاندى يقتال ويفتح صريح هدف انساني نبيل ،
برى بريطانيا تعتنق شريعة (منو) وتطبقها على سكان البوير في
جنوب شرق افريقيا .

وبرى أمريكا تطبق شريعة (منو) تطبيقا منطلعا على دنوج
أمريكا وهوونها الحمر . في هذا العصر القى يسمونه عصر المدنية
والور - وبلاون الفضاء يدعى حيايه الحره والانسانيه .

الرق عند الفرس :

كان الرقيق عند الفرس يقسم الى قسمين - الاول للقياسم
بالاعمال الشاقة ويتقون هؤلاء من ذوى البقاء المتين والعصبية
القوية . والثاني للزينة ومظاهر التفضية عند الحكام وذوى اليسار
وكانت معامله الفرس لرفيقهم حازمة قاسية شأنهم في ذلك شأن
الرومان والاغريق ثم صدر قانون يخفف عنهم وطأة القسوة عليهم
من حادتهم . -

من ذلك انه - لا يجوز لاي فارس محاقبه عبده على ذنب واحد
يعقاب بالث السنة والعرامة - ولكن اذا عاود الصيد المجرم عرس
حق سيده ان يعاقبه بأية عقوبه شاء ولو كانت العقوبة قتلا .

ثم اصطلح المجتمع الفارسي على ايجاد أوقات فراغ للرقيق
يستمتع فيها بالراحة والترفيه عن نفسه . وكانهم فطنوا
الى ما فطن اليه العصر الحديث الى أن أوقات الفراغ ضرورية للرقيق
لتجديده تشاطهم وزيادة انتاجهم . اما الارهاق فانه يقلل من انتاج
الرقيق ويقل تبعا لذلك انتفاع السادة بهم - وكانت متابع الرقيق
من حروبهم مع اخصامهم ومن توالد الرقيق .

الرق عند الصينيين :

وكان الصينيون يسترقون اسرى الحرب ، كما يسرقون
الذين الجانبهم الفاقة الى بيع انفسهم وبيع نساءهم واولادهم وكانوا
يستكثرون من الرقيق عن طريق التزاوج ويتصرفون فيهم كما
يتصرفون في الاثاث والناع . ولكن العقوبات التي كانوا ينزلونها
برقيقهم لم تبطل من القسوة مبلغها عند غيرهم - ثم اصدر الامبراطور
كوانجون - وكان رجلا رحيم - قانونا بالشفقة على الرقيق ومن

هواله التي تم عن اسمائه عاليه . (ان الانسان أفضل وأشرف المخلوقات التي في السماء ، والتي على وجه الأرض ، فمن قتل رقيقه ليس له من سبيل في اخفاء جرحه ، ومن أخطت به المرأة فكوى رقيقه بالنار حوكم على ذلك بمقتضى الشريعة ، ومن كواه مسيده بالنار دخل الجنة في عداد الوطنيين الأحرار) ، وانها لتضمة من مصحات النبوة لامست قلب هذا الامبراطور العظيم .

الرق عند المصريين :

وكان الرق عند المصريين على أنواع : الرقيق الاقطاعي وهو الذي يعمل في الحرث والزراعة والمصايد . والرقيق القسري . والرقيق الحكومي الذي ينوم بالأعمال والمشروعات الحكومية كإقامة الجسور وشق القنوات وجسج الاعمال الشاقة .

ويشبه الرقيق العردي عند قدماء المصريين الرقيق عند العرس فكانوا يتخذون من ذوي الرشاقة والجمال نساء كانوا أو رجالاً رقيقاً للزينة ومظاهر الابهة والصفحة والترف . وكانوا يعملون الرقيق تحسوة إلا أنها لا تبلغ حد الصرامة التي كان الرومان واليونان يعملون بها رقيقهم . وهناك الرقيق التي كانت تمد المصريين به هي الحروب والتواؤم فرضي النظام الطبقي الذي لا يسمح للطبقة الدنيا أن ترتقي إلى طبقة أعلى منها .

ولذلك فقد كانوا يحظرون تعلم القراءة والكتابة إلا على أبناء الكهنة وأبناء الملوك . ومن يتعلمها من غير أولئك يعاقب عقاباً شاملاً لا يقل عن القتل .

الرق عند اليهود :

والما تركنا المجتمعات التي لا تدب لبوة ولا تؤمن بكتـاب وتعامل الرقيق على ضوء من مصالحها وروحى من فلسفتها ونظرياتها المتحرفة . وانتقلنا إلى اليهود وهم - كما نعلم - شعب كثرت فيه النبوءات . وتحدثت في جنباته الوصايا الدينية وتراثيل الكتب المقدسة . نجسم متحرفين كثيرهم في معاملة الرقيق انحرافاً شديداً . بل أن انحرافهم يعتبر أشد وأفظع لانهم أهل كتاب . فلقد كان لليهود إذا انتصروا في حرب ، واستولوا على مدينة ضروا الرق

على أهلها جميعا رجالا ونساء وأطفالا . . وكانوا يبيعون ، لحطاف وانقرصه والقصصه لترويديهم بالرقيق ، وكانوا يستبيحون استرقاق الأسرة التي تلحقها الفاقة والهموز للاسترقاق . وكانوا يسرقون المدين الذي يعجز عن الوفاء بدينه بل يستبيحون بيعة وبيع أسائه وبناته وزوجاته لتسديد ديونه ، وكانوا يستغلون وقيعهم استغلالا ذمينا فيدفعون قنياتهم إلى البغاء للاستحواذ على أحرص . ولا شك أن شرائع بني إسرائيل السماوية نزلت عن الأمر بهذه المنكرات . وأما هم انصرفوا عنها وتعدوا حدودها وحرقوا مصوعها بما يتلأم مع أهوائهم وشهواتهم . ثم هم بعد ذلك كله مايزوا بين الرقيق فأحصوا من كان من اليهود بميزات لا يتلها الرقيق من غير اليهود وتوأمسوا بذلك . وقد جاءت في أسفار عبادتهم وأخبارهم بعض ما توجب هذا التمايز وتمرسه ، من ذلك ما جاء في سفر الخروج الأصحاح الحادى والعشرين : (إذا اشترى عبدا عبرانيا فبعت مسجى يخلف ، وفى السابعة يخرج حرا مجابا ، إن تحل وحده فوحده يخرج ، وإن كان يسل امرأة فتخرج امرأته معه وإن أعطاه سيده امرأة فولدت له بنتين وبسات فالمرأة وأولادها يكونون لسيده ويخرج هو وحده ، ولكن إذا قال العبد أحب سيدي وامراتى وأولادى ، ولا أخرج حرا يقدمه سيده إلى باب المدينة وينقب أدكه بالثقب فيخلعه إلى الأبد) .

هذا شأنهم مع الرقيق من اليهود . أما الرقيق من غير اليهود ، فلهم شأن غير هذا ، وقد جاء في سفر التثنية فى الأصحاح العشرين . « أمر الرب أن كل محاربة إذا انتصر عليها اليهود يكون جميع أهلها من رجال ونساء وأطفال عبيدا لهم يستخرونهم إلى الأبد . بدون شرط ولا قيد » وجاء فى الأصحاح التاسع . « إن الله حتم العبودية على أولاد كنعان بن حام » . هذه نظرتهم إلى الرقيق من غير اليهود وتلك آراؤهم فيهم (١) .

(١) انتهى آثره دين اليهودية من أن يأمر بهذا واعتقد أن هذه الأقاويل موضوعة ومصنفة باليهودية الصحيحة وأنا كمسلم لا يتم إيمانى إلا إذا آمنت بالكتب المنزلة ولا أعتقد أن لله يأمر بذلك فإن الله رحيم وهو مصدر جميع الأديان السماوية

أما معاملتهم للرفيق فلا شيء فيها من قسوة اليهود والرومان واليونان . ولعل قوانين انصافه التي تقتبس كثيرا مما جاء في التوراة لطغت من علوائهم فمن ذلك أنهم كانوا يمنحون الرفيق زمنا يستريحون فيه من عناء الأعمال يتراوح بين ستة وسبعة أسابيع ، وليس للسيد أن يضرب عبده ضربا مبرحا فإن هو فعل وتوب وإذا لم السيد ليعده عضوا أو كسر له عظما أو سنا عوقبه على فعله عقابا شديدا وليس للسيد أن يقتص من عبده إذا فعل ما يوجب القصاص إلا بعد حكم قضائي . وكانوا يروجون العبد بئنت سيده أن لم يكن له ذكر يخلعه . ذلك شأن الرق عند اليهود .

الرق عند النصارى :

فإذا تركنا اليهود ودها إلى النصارى وجدنا اتباع المسيح أبعد ما يكونون عن الرحمة والتسامح الذين أوصى بهما المسيح عليه السلام . والدين المسيحي لم يشرع شيئا فيما يختص بالرقق ولا فيما يختص بغيرهم لأنه لم يكن دين تشريع وإنما هو دين تهذيب وحب وتسامح . ولما نرى مواعظ القسوس والرهبان والبنائوات ، ليس فيها غير حق العبد على طاعة أسيادهم وترضيهم في ذلك بأمرار واستمرار . فهذا القديس بولس يوصي الرفيق بأن يطيعوا مواليمهم مع الخوف والرعب عنهم كما يطيعون المسيح عليه السلام ، وعليهم أن يعتبروا ساداتهم أهلا لكل شريف وتبجل ، وأن يبالغوا في خضعتهم إذا كانوا من اتباع المسيح ، ولكن لا تحد وصية واحدة تحض السادة على تحرير رقيقهم .

وأما مفكرو النصارى ومشروعهم فانهم قد افترقوا الرق . جاء في كتاب « الاسترقاق عند الأمم النصرانية » مؤلفه باتريس لاروك « أن الديانة المسيحية لم تحرم الاسترقاق نصا ، ولم تظه عملا » وهذا صحيح لأنه كما قلنا أن الدين المسيحي لم يكن دين تشريع وإنما هو دين تهذيب ورحمة وتسامح . فاحمد باتريس لاروك من ذلك حجة لاقرار الرق مع أن روح المحبة والتسامح يقضي بغير ذلك . وجله في كتاب (في تعاليم الديانة المسيحية) لنورثنييه « أن الاسترقاق من النظم المسيحية المشروعة » وهذا القول يناقض ما قاله باتريس لاروك الذي تقدم قوله (أن الديانة

المسيحية لم تحرم الاسترقاق بخاصة ولم تلغه عملاً ، ولم تذكر لنا دتييه نصاً من الإنجيل يؤيد قوله بمشروعية الرق في الدين المسيحي . إلا إذا أراد بسكوت الدين المسيحي عن الرقيق اقراراً بمشروعيتها مع أن روح المسيحية ومبادئها تقتضيان غير ذلك .

وقد افترت الكنائس الثلاث الكاثوليكية واليونانية والبروتستانتية الرق ونصحت الرقيق بأن يرضى بما هو فيه ونواطوا رجال الكنائس مع رجال الحكم والقانون على اقرار الرق . ومن العريب أن تقرر المجتمعات المتدبنة الرق مع أن جميع الديانات السماوية تحرم السرقة والعدوان وتعرض العقوبة الرادعة على المعتدين وهي تامة في الوقت نفسه أن من أهم مشايخ الرق اللصوصية والقرصنة والعدوان والخطف (١) . وأن تعجب قاعجب للمعتدين الذين يشهدون بقوة سارق المتاع والأثاث والمال والماشية . ولا يعاقبون سارق الإنسان . . أبلغ الهوان أن يكون الإنسان أقل قيمة من المتاع والأثاث ؟؟

ومن المؤسف المضي للوى القلوب والصمائر أن يكون في المجتمعات الإسلامية أناس يصنعون ما كان يصنع اليهود والنصارى منذ القدم . مشددون العقوبة على سارق الأثاث والمتاع ولا يعاقبون سارق الإنسان . . بل هم يشتركون في هذه السرقة ، ويشجعون عليها . ويتهافون على شراء المروقين من الأعمىين .

الرق عند العرب :

أما الرق عند عرب الجزيرة فكان شأنه شأن الرقيق في سائر الأمم . . اقرار له وعدم اتيار لمناصبه . فكانت المفارقات التي يشنونها على بعضهم تزودهم بالأسرى والسبياء ، وكان الخطف والقرصنة واللصوصية والاعتناء على قوافل التجار من الموارد التي تزودهم بالرقيق . وكل الرقيق لديهم من جميع الألوان والأجناس . وكانت النمرة الحاملة تحلهم يحتقرون الأجناس غير العربية ، ولعل ذلك من الأساليب التي تجعلهم يشهدون ويقسبون في معاملة الرقيق من غير العرب .

(١) انظر الدين المسيحي من أن يسمح باسترقاق الأعمىين .

وكانوا يتركون الارقاء للصقاة ، من زراعه وحريه وحصاد ودعى ماشية . وكان العربي يأخذ من مزاوله الحرف الصناعيه لذلك هم يتركون مزاولتها لمواليهم ، وكانوا يستقلونهم شر استعمال . قال حبيب استعمالهم للحرف التي يزاولها الارقاء كان بعضهم ينجح بفتيانته لبقاء للاستحواد على الارباح . واذا غضب السلاطه على عبيدهم عاقبوههم بأشد انواع العقوبات دون اى رادع من ضمير او قانون . وينحكمون فيهم كما يتحكم الانسان في ماشيته وائاته . وكان السيد يستنكف بنوة ابنه من امته فيلحقه برقيقه . ولكنهم كانوا لا يبيعون ابناهم اذا أصابهم محبصه او نزل بهم لملاقاة نفعه . بل كانوا يفسلون قتلهم على أن يتخلوهم في نطاق الرقيق .



هذا شأن الرق والرقيق في العالم بأسره . فمن ابتلى بالرق أصبح مطلوب الحرية مهدور الانسانيه غير معترف بأمنيته بله حقوقه ، ولم تصح البشريه شيئا لهذا النظام الجائر . . واذا كانت المجتمعات المختلفه في معاملتها للرقيق تصبنا بمعيجه في ضمير الانسانيه فإن الافجع من ذلك ما نراه من العلاسه والفكرين ورجال القانون الذين هم منارات الامم والشعوب من مواطنهم لمجتمعاتهم والانحراف بطسفاتهم الى تبرير هذا النظام البئيس والسكوت على القسوة والوحشية والصرامة التي يعامل بها الرقيق وعدم استنكارهم لموارده أو التعرض لبحث الأسباب التي تقذف بشبان كثيره الى محرقة الرق . واذا كان التفسير المادى للتاريخ يؤكد أن نظام الاقتصاد يعين المذهب الفكرى . أو أن النظام الاقتصادي يغير الافكار والشرائع لخصته . فإن ذلك يؤكد لنا أن الانسانيه عاجزه عن التغلص من أوضاع طبيعتها عالم طسها قبسه من روح الله تفض لها الطريق . وأن العالم في حاجه ملحه الى نفعه من السناء يشرق بها وجه الحياه .

قبسه من السناء :

وها هي قبسه من روح الله تشرق في الارض متشله في القرآن الكريم وآياته الخالده التي تهدي للناس اقوام . تتنزل

تباعاً على من أرسله الله رحمة للعالمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، لقد نزل القرآن الكريم وهو خاتمة الكتب السماوية لحل جميع المشاكل الإنسانية . ولهذاية الناس الى الصراط المستقيم الذي ان ساروا عليه حققوا لأنفسهم الحياة الجميلة الفاضلة . وقد وجه نصائته الى أم المشاكل وهي الشرك بالله . ليتفرد الباري بالعبادة فلا يشرك الناس معه الهة آخر حجراً كان أو بشراً . فليس في الأرض آلهة تعبد وليس في البشر أبناء للآله الواحد الأحد . فانه لم يلد أبناء ولا بنات والذين يسومون الناس الحسف والعسف ويستحوذون على الأرزاق ويستبدون بغيرهم من أمثالهم بدعوى انهم أبناء الآلهة يفنون على الله وليس له سدة ولا كهنة يحجبون رحمة الله عن خلقه إلا اذا كانت عن طريقهم . فيسوقون لأنفسهم بذلك أكل أموال الناس بالباطل . ويقذفون من يمتنع عليهم الى جهنم التي صنعوها بالبغي والعدوان في هذه الحياة الدنيا ويدعون فيها فريسة للفقر والجحمان والسودية والشقاء .

وبعد ان ذكر القرآن هذه الأسوار العاتية التي كانت تحجب انوار السماء عن أهل الأرض ، ودمر الحواجز المصطنعة التي كانت تقف عائقاً عن اتصال المخلوق بخالقه بدون وسيط ولا حاجب ولا سادن ولا كاهن حيث يقول الله تعالى : « وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي » واستجابتنا لله هي التحرر الاول الذي يحرر عقولنا وأرواحنا وأفكارنا من الأغلال التي كانت ترمس فيها ، فلا خوف من أحد الا من الله . وليس للناس على الناس سلطان الا فيما يرضى الله . وقد ورد عن النبي أنه قال : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » وتلك هي الاستجابة لله لانه ما لم تتحرر عقولنا وأرواحنا من التراث السخيف الذي ورثناه عن عصور الظلمة لا نستطيع رؤية النور الذي يجعلنا دعاة للحرية وانصلوا لها .

بعد هذا أحد القرآن بعدد بنا الى معارج الكمال . وللقرآن أسلوب حكيم في التدرج بالإنسانية من مرحلة فاضلة الى مرحلة أفضل . فهو لا يسر بها سرا مرهقاً في مراقب الكمال ولكنه

يسير بها الهوينى حتى تصل الى الراتب العليا في الكمال الانساني دون ان يدركها وصف أو وني ، ودون أن يصلحها فيما الفت بما لم تألف دون تمهيد أو اعداد رحمة بها وحفظا لها من الانتكاس .

لذلك على القرآن الكريم لم يحرم الاسترقاق ولم يحرم الرقيق الا بعد أن مهد الطريق لتحريمه وأعد نقوس السادة والأرقاء لمرحلة التحريم ، والتحرير . ونظر الى المشكلة من جذورها فتعقبها بطولها الحكيمه واسلوبه القويم ليكون قضاؤه على المشكلة قضاء مبرما لا رجعة لها من بعده .



وقد تبين لنا في ثنايا ما سردناه من تزيح الرق ان هنالك منابع للرقيق وأسبابا تتفجر منها تلك المنابع ، أما المنابع فتتلخص في :

أولا : الحروب العلوانية .

ثانيا : القرصنة والصومية والخطف .

ثالثا : الربا والميسر .

رابعا : توالد الوثيق .

وتتلخص اسباب تفجر هذه المنابع في :

أولا : التمايز بالوانه ، العنصرى ، والقللى . والطقى ، والدينى .

ثانيا : فساد النظام الاقتصادى ،

ثالثا : البمدام روح الرحمة والتعاطف بين الناس .

تكيف عالم القرآن ذلك لا ههنا ما مرناه في الفصول الآتية :

المساواة في خلق الانسانية :

ان التنبيه في آيات الله يرى ان الروح التى تنتظم القرآن من اوله الى آخره روح خيرة رشيدة تدعو الى العلم والعمل

والحرية والمساواة والعدل ، والرحمة ، والهدى ، والحق ،
والإحسان ، والإبشار والإنفاق . إلى غير ذلك من الفضائل
الإنسانية . وتنتهى عن الظلم والقسوة والفساد والجهل والآثمة
والشح والبغى والطغيان والتمايز والتعالي والتطاول وغير ذلك
من المساوئ ، وتقتضى الدعوة إلى كل هذه الفضائل ، أن تكون
التشريعات التى تصدر منها متماشية مع هذه الروح العالية
الجميلة . والإكاثرة مناقضة لنفسها مخالفة لمبادئها الأولية قيمها .
والمساواة فى خلق الإنسائية ، واضحة فى القرآن . يقول الله
تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة
وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . واتقوا الله
الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا » والأرحام
هى وشائج القرى بين الناس ، والأقرباء يتراحمون ويتعاطفون
ويشدون أزر بعض . وهذا ما يأمر الله به الناس لأر كل الناس
من رحم واحدة ومن أصل واحد . ولذلك يقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « كنتم لآدم وآدم من تراب » فليس هناك أناس
مخلوقون للسيادة وأناس مخلوقون للطاعة والخضوع كما يقول
أرسطو وليس هناك فريق من الناس خلق من الذهب والفضة
وآخرون خلقوا من الحديد والنحاس . كما يقول أفلاطون . وليس
هناك أناس خلقوا من فم الرب وآخرون من قدمه . كما يقول متو .
وليس هناك أناس خلقوا للسيادة وآخرون خضعت عليهم العبودية
كما يرعى اليهود ، والنصارى . فكل الناس خلقوا من نفس واحدة
وكلهم أقرباء بعض . وشائج الرحم بينهم قوية أصيلة .

وقد قضت هذه الآية الكريمة على كل الخرافات والمزاعم
التي كانت قائمة فى الأذهان وعلى كل الفلسفات المنحرفة التي
كانت سائدة فى المجتمعات والتي كانت البؤرة التي تنبع منها
التعصبات الطبقية والتمايز العنصرى ولا شك أن هذا هو أقوم
منطق تخاطب به العقول والأفكار لأنه منطق الحقيقة ، والقرآن
دائما يهدى النفوس إلى أقوم طريق كما يقول الله تعالى : « أن
هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم » .

تكريم الانسان :

والله الذي خلق البشر من طينة واحدة لم يحلقهم لاهاتهم ، ولا مهنان مريب وتكريم فريق آخر ، بل كرمهم وفصلهم جميعا ، فلم يختص بتكريمه وتفصيله امة على امة ، ولا عنصرا على عنصر ، ولا عربيا على اعجمي ، ولا اسود على ابيض بل شملهم جميعا بالتفصيل والتكريم فقال تعالى . « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر وورقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

والى جانب التفصيل والتكريم اللذين منحهما الله للجميع ، منح الرزق الطيب للجميع ايضا ، فليس لاي انسان ان يحتكر شيئا من ذلك لنفسه او لاسرته او لعصره دون غيره من الناس ، والا عد ذلك بغيضا عنه على اخوانه واجتراء كبيرا على خالقه ، وكما اوضحت لنا الآية السالفة الحقيقة في خلق الادميين لنظر الى بعضها بمعنى التساوى لاننا مخلوقون من نفس واحدة . فقد وضعت لنا هذه الآية سدا كريما يجب الا نغفله في صلاتنا ببعض ، لان تكريم الله لنا يشملنا جميعا على السواء . فكل ابن آدم كريم عند الله . وليس من حقنا ان نعتبر اى انسان شيئا لا شخصا عندما نحس مجالس التشريع والتقنين . كما كان يفعل الرومان مثلا في اعتبارهم الرقيق شيئا لا شخصا امام القانون . وكذلك ليس لنا ان نحظر على اى انسان طلب الرزق الطيب او بفعل ابواب الرزق في وجهه ، فان الرزق للجميع . وكل الناس في طلبه سواء . لا كما يقول « متو » في حظره طلب الرزق على طبقة السودراء - الرقيق حينما يقول : (ان السودري اذا جمع ملا فانه يؤذى البراهمة بقبحته)

المعايير الصحيحة للتمييز بين الناس :

لقد قرر القرآن الكريم ان الناس متساوون في اصل الخلقة فتكلم من نفس واحدة ، وعلى هذا تكل الناس لديهم ملكة الفهم والتمييز وليس هم كما يقول ارسطو : ان بعض الناس آلات حية لا لهم ولا تمييز لديها . ولكن اذا كانت المجتمعات تبنى الا

ان يكون بينها الكريم والاكرم . فان القرآن يعني للناس عوهم
 الذي القوة ولكنه يلقى المصائر الفاسدة التي كانوا يزنون بها
 بعضهم فيقول الله تعالى : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
 وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله
 اتقاكم » . فليس الاكرم عند الله صاحب السلطان ولا المقرب
 عند السلطان وليس الاكرم الاغنى مالا ولا الاعز نفرا انما الاكرم
 عند الله الاتقى . فعلى من يريد ان يكون اكرم من غيره فليتق الله
 فان التقوى هي الميزان الصحيح الذي يميز به الناس ، فالتقى
 يرعى الله في حقوق عباده فلا يظلمهم ولا يميل عن الحق في قوله
 وعمله ولا يؤثر نفسه على من سواه . ولذلك يقول الرسول الكريم :
 (لا فضل لمربي على اعجمي ولا لابيض على اسود الا بالتقوى)
 فالأتقى اولى بان يكون اكرم من غيره لانه أنفع للناس من غيره ،
 فلا ميزة في القرآن للون على لون ولا لحسن على حسن ، ولا لشي
 على غير ، ولا لحاكم على محكوم الا بالتقوى .

واذا كان للناس صفات اخرى لا حيلة لهم فيها تجعلهم
 يمتازون فيما بينهم بموجبها كالذكاء والغباء والكسل والنشاط
 والهي واللين ويطايزون نتيجة لذلك ذعة ورقعة وضئى وقبرا
 وطما وجهلا . فان القرآن لا ينكر ذلك وموقفه واضع من هذه
 الاعتبارات . فيقول تعالى : (قل هل يستوى الاعمى والبصير أم
 هل تستوى الظلمات والنور) ويقول تعالى : (اقمن يعنى مكبا
 على وجهه اعمى آمن يمشى سويا على صراط مستقيم) لا يستوى
 عند الله الاعمى والبصير ولا يستوى عند الله المهتدى والضال .
 وكذلك لا يستوون عند الناس ولذلك يقول الله تعالى : (الذين
 آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اموالهم وانفسهم اعظم
 درجة عند الله وأولئك هم الفاترون) .

ويقول الله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا
 العلم درجات » ويقول : (نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم
 عليم) ويقول (والله يصل بسفكم على بعض في الرزق) ففي هذه
 الآيات واشباهها امتراف بالمواهب الانسانية . لان الله الذي
 وهبها لأصحابها لا يمكن ان يحجبها . فهو وهبها لهم ، وجعل
 أصحابها محل اختياره ليرى أى طريق يسلكون بها ، ولذلك قال

الله تعالى : (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ذلك سريع العقاب . وأنه لغفور رحيم) .

فمن وهبها قلاد على سلبها وهو سريع العقاب . فليس لمن وهبه الله شيئاً من قوة نال بها حكماً أو مالاً ، أو علماً ، أو جاهاً ، أو نفوذاً أن يحتقر الغير ، أو يظلمه ، أو يؤذيه ، أو يستبد به ، أو يعتدي عليه . أو ينحرف عن طريق الصلاح . فليس معنى هذه الآيات أن تحتكر مصائد الثروات لفريق من الناس أو تحتكر الوظائف الكبرى في الدولة لأسرة أو لعشيرة أو لقبيلة أو لأبناء طائفة أو إقليم دون غيرهم أو تحتكر القرس فيفتح للوصوليين والانتهازيين وينترك من عداهم فلا يجدون الفرصة متاحة لهم كما يحلو لبعض تفسيرها بذلك واتهام النافعين على الأوضاع القائمة بالفساد وبشتى التهم المثقفة . كلا فإن ذلك ظلم . ولذلك يقول الله تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) .

ولن يستوى عند الله الفنى الخير والفنى الشرير ولا الحاكم الفاضل والحاكم الظالم . ولا العالم الذى يعمل لخير الإنسانية بالعالم الذى يعمل لإيقاع الناس في الشرور . ولا يتساوى المنافقون بالخلقين . يقول الله تعالى (أحصم سقاية الحاج وصبرة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستور عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) .

فالمسجد الحرام الذى هو قبلة المسلمين كافة وهو أول بيت وضع للناس وعسارته واجبة على المؤمنين جميعاً ، وسقاية الحاج الذين هم ضيوف الله وروار بينه من أعظم العبادات عند الله ومع ذلك فإن هذه الأعمال إذا صدرت من كافر أو من ظالم يأكل أموال الناس بالباطل ويهتر دماء الأبرياء ، ويسوم الناس الخسف والسم ، ويقم الحدود على الضعفاء وبعض الأقوياء منها . ولا يعنى إلى دعوة الحق ، ويحقد على المصلحين ولا يصغى إلى إرشادهم . ولا يقف إلى الله في أمر من أموره ، ويؤله نفسه حتى تكانه شريك له في ذاته وصفاته فيفرض على الناس أن

يدعوه بما يدعون به الله . ان هذا وامثاله لا تفنيهم عما ارتكبوا
 للمسجد الحرام ومقابلة الحاج . لان الله لا يهدي الظالمين وهو
 يحبط عمل الطغاة الباغين (ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد
 الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار
 هم خالدون) انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام
 الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من
 المهتدين (فعمرارة المساجد تكون حسنة اذا كانت ممن يؤمن بالله
 واليوم الآخر وقيم الصلاة لان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
 والبغى ، ويؤتى الزكاة ولا يضمنها عن اصحابها ولم يخش الا الله ،
 وخشية الله لا تتحقق الا ورعاية حقوق الناس والحفاظ عليها .
 والحاكم الذى لا يرمى العدل فى الاحكام ولا يتحصى العدالة فى
 الاموال لا يخشى الله وان صلى وصام والقضى الذى لا يؤدى الزكاة
 وما عليه من تبعات الثروة لا يخشى الله ولا تنفعه صلاته
 ولا صيامه ، والعالم الذى لا يقول الحق ولا يقف عليه لمصلحة
 الناس لا يخشى الله وان تقوس ظهره من الركوع والسجود .
 فالحشية من الله لا تتمثل بأجل ما تتمثل به الا فيما يصدر من
 الانسان حيال معاملته لغيره من الناس . ولذلك قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم (الدين المعاملة) -

لقد كان من الضروري لمصلحة الانسانية ونفعها اتحاء القرآن
 الى تصحيح المفاهيم واصلاح المعايير البشرية التى توزن بها اقدار
 الناس . ليكون تحرير الرقيق نائما من قلوب المؤمنين وما فيصة
 تحرير الرقيق بمرس القوانين . وهل تصلح القوانين المفروضة المفاهيم
 المعوجة والاضاع الفالسة التى كانت قائمة . وكيف تم الفاد
 الرق من اسلمه وبنائحه ما زالت غزيرة متفجرة واسباب
 تفجرها ما زالت قائمة كزعوس السلاطين ، فى كل ذلك مضافا
 اليه النظام الاقتصادى السائد فى المجتمعات البشرية على اختلافها
 وما زال هذا النظام الفاسد يرتكز على الرقيق ارتكزا شديدا
 وعميقا فالغلو يحدث هذه عيعة ثم لا تثنى بالنتائج المشوذة .

وهناك غير هذا أصناف مسكولوجية جديدة بالصناعة عليه

الخطوة هذه الخطوة ٠٠ خطوة تحرير الرقيق وإبطال الرق . وقد علمنا الله التدرج في معالجة المشاكل بما أرانا من أسلوبه الحكيم في قرآنه عند معالجة مشاكلنا وعلينا أن نسير آياته ونستشف الروح الذي ينتظم القرآن في كل تشريعاته .

قآياته لا تتناكر ولا تنجزا وإنما هي موحدة في أهدافها المعنى بالروح وبالجسد وبالتفكير وبالسلوك . ليقوم عليها نظام متكامل منسجم لا تتنافر فيه أوجه الشكليات الإنسانية . ولا تختلف اتجاهاتها في السر وفي العلن وقد نهانا الله أن تكون كبنى إسرائيل تؤمن ببعض الكتاب وتكفر بالبعض الآخر ..

ومشكلة الرقيق مشكلة تتصل بمشاكل كثيرة . ولم نشأ إلا عن الفساد والانحراف اللذين شملا التفكير والمسلوك . فلهذا كان إصلاح ما قسد من كل ذلك أمرا محتما . وكان من المحتم أيضا عليا في هذا البحث أن نلم بكل ذلك ، لأعطاء صورة واضحة كأنهم ما يكون الوضوح لازالة الغربة المفترة على القرآن في التأمله بضرب الرق على أفراد أو جماعات أو أجناس .

وبعد ان أبنا تصحيح القرآن للأفهام وإقامة المعايير الصحيحة لوزن أقدار الناس وتمايزهم وتطهير البؤرة التي تنبع منها للغاسد الاجتماعية - بما سردناه من الآيات الخاصة بذلك علينا سرد الآيات التي أراد منها القرآن الكريم إشاعة روح الرحمة والتعاطف بين الناس ، لأن هذا الروح الكريم كان منعكسا ، وانتماده طبع المجتمعات بطابع القسوة التي تسبب في كثير من المآسى والموتى . وهل أفسى من أن تبيح المجتمعات للدال إذا عجز المدين عن الوفاء بدينه استرقاقه واسترقاق آله وذويه أو بيعه وبيع أبنته وبناته وزوجاته كما تباع الماشية ؟ لو أن روح الرحمة والتعاطف شائع بين الناس لكان يحدث هذا العمل الوحشي تحت حماية السلطان وإقرار القانون ، ورضا المجتمع

محبة روح الرحمة والتعاطف بين الناس :

حب الإنسان للإنسان وتكأله على جمعه ثم حرصه عليه وشحه به أدى الى كثير من القبايح ، وطبع المجتمعات بطابع

الفسوة والغلظة . لا حب المال اذا تمكن من اساس سلبيه معاصي
الانسانية والرجولة . فكثيرا ما رأينا عباد المال لا يعرفون للرجولة
معنى . فيفترطون حتى في امراضهم لان القيم الانسانية حينذاك
تدوب في موسمهم . ولا يبقى قائما امام اعينهم الا عيصة المسال .
فهم لا يبالون ما يرتكبون في سبيل الحصول عليه . يطعمون في
الكيل ، ويقتصون في الميزان . ويفشون ويخدعون ويخسبون
الناس اشياءهم ، ويقلعون بالهد ، ولا يعرفون للصداقة معنى ،
الا اذا كانوا يتفاوضون ثمنها ، ويفترطون في الامراض ولا يحفظون
بمروءة ، او نجدة ، او اغانة ملهوف ، ويسرقون ويختلسون
ويقتلون ، ويرتسون ، ويرابون ، ويقلعون ، ويقسبون على من
يعملون فيبخلون على انفسهم واولادهم وابائهم وامهائهم وزوجاتهم
ويقتلون قلوبهم ، ويصمون آذانهم ، ويمصون عيونهم ، فلا يفقهون
الا لغة المال ولا يسمعون الا رنين المال ، ولا ينظرون الا الى هيج
المال وبريقه . ويسخرون بكل شيء الا بالمال وصاحب المال . وقد
توعد الله من كانت هذه حالهم بقوله تعالى : « ويل لكل همزة
لمزة التي جمع مالا وعدده يحسب ان مساله اخله كالا لينبئن
في الحطمة وما ادراك ما الحطمة نذر الله الموفدة التي تطلع على
الافئدة انها عليهم مؤمنة في عهد ملة » وقوله : « فاما من نفل
وامستقى وكذب بالمسعى فسيهره لأمري وما يقى عنه ماله
اذا تردى » وقوله : « ويل للمطففين الذين اذا اكنالوا على الناس
يستوفون واذا كالوهم او ورنوهم يحسرون الا يظن اولئك انهم
محبوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين كلا ان كتاب
الفجار لفي سحج وما ادراك ما سحج كتف مرفوم ويل يومئذ
للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكتف به الا كل معتد اثيم
اذا تنلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ محجوبون ثم انهم لصالوا
الحجيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون » .

وعيد شديد للذين ران على قلوبهم حب المسال حتى كفروا
بالله ، وبابليص وبمسالة الرسول . وقالوا ان هذا الا اساطير
الاولين . لقد حجيم ظلام المال من الحقيقة فضلوا الطريق ،
وحادوا من الجادة وهؤلاء احط الناس واقلهم لانهم بانموا كل

شوه بالمال . ولتركبوا كل منكر لا كتابه حتى الكفر بالله وبالعبد
وبالنشور وبالحساب في اليوم الآخر .

وعريق آخر من الناس يجمعون المال ويشتدون في طلبه
وجمعه ، ثم يشتدون في النج والحرص عليه الا لتزوق من بروات
نفوسهم المظلمة ، فهم يذلون المال لطلب الشهرة الزائفة والمجد
الرخيص ويسعون به في هذا السبيل . ولكنهم يخطون به أشد
البخل إذا طلب منهم الانعلاق في سبيل الخير ومساعدة المحتاجين .
وقد سئى الله هذه التزعة عقبة وحصمهم على اقتحامها فقال
تمالي : لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ، ووالد وما ولد ،
لقد خلقنا الانسان في كبد يحسب أن لن يقدر عليه أحد . يقول
أهلك ما لا لبدا . يحسب أن لم يره أحد اله نحمل له عنينا
ولسانا وشفتين وهديناه النجدين . فلا اقتحم العقبة وما أدراك
ما العقبة فك رقبة أو أطعام في يوم ذي مسقة . يتيما ذا مقربة
أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالمسير
وتواصوا بالرحمة أولئك أصحاب الميمنة ، والذين كفروا بآياتنا
هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة .

فالذين ينفقون المال التلب الكثير في سبيل الشهرة والمجد
الرخيص لا يتفهم انماهم . لأن هذا المال لا يصل الا الى ابدى
الانهارين والوصوليين والمتافقين والمنفقين ، وهؤلاء لا تواصون
بالرحمة ولا ينفقون المال في سبيل الله ولكنهم يتفوقه في سبيل
الشیطان . أما الذين ينفقون الاموال لليتامى وللساكنين وللحجاج
ولفك الارقاء من ذل الرق أولئك هم أصحاب الميمنة ، لانهم
يتواصون بأعمالهم وأقوالهم بالرحمة بين الناس . وذلك ما يريد
الله ويرضاه . والآيات التي تهدف الى تنبوع الرحمة والتعاطف
والاحسان كثيرة في القرآن منها قوله تعالى : * وقضى ربك الا
تعبوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلى عندك الذكر احببنا
أو كلاهما فلا تقل لهما أم ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ،
وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني
حزرا ٤ .

فالاحسان بالوالدين يأتي في المرتبة الاولى لانهم أحق بعطف

الابن واحسانه من غيرهما بل ان ذلك فرض انساني محتم على كل ابن لأبويه .

وأذا رجع حال الابن ابويده احسانا وفاض طعن عداهما من الناس الاقرب بالاقرب يؤيد ذلك قوله تعالى : « وأعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » وبالنوالدين احسانا وبلمدى العربي واليتاسي والمسابين والجناد ذى العربي والجبار الجنب والمصحب بالجانب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » والله تعالى يامر بالاحسان الى كل الناس فهو يذكر الاقرب فالاقرب حتى اذا انتهى مهم امر بالاحسان الى ابن السبيل والارقاء . على ان يكون المحسن في احسانه الى كل اولئك متواضعا مهذبا . لا مختالا ولا مغتورا لان الله لا يحب من كان الاحتمالا والافتخار من حساله . . يقول الله تعالى : « لا حير في كثير من نجواهم الا من امر بصفعة » او معروف او اصلاح بين الناس . ومن يعمل ذلك ابتغاء مرضاة الله فهو ثوابه اجرا عظيما » ويقول : « ومن احسن ديننا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا » . فالخير كل الخير عند من يأمرون بالصدقة على الفقراء ، والمعروف للناس اغنياء كانوا أو فقراء والاصلاح بين الناس على ان يكون ذلك لا لشهرة ولا لجاه ولا لنسوة او شهوة وانما هو لوجه الله يعمل الخير للخير ولا شيء الا الخير . وليس احسن ديننا ممن اسلم وجهه لله ويحسن للناس . ويشير الله بهذه البشارة الذين يؤمنون به ويرسله وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويقرضون الناس قرضا حسنا ويعلمهم كانا هم يقرضونه تعالى فيقول جل جلاله : « وقال الله اني معكم لن أقمت الصلاة وآتيت الزكاة ، وآمنت برسلي وعزرتهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لا كفرن عنكم سيئاتكم ولا تخطنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل » .

وانما لبشرى تهش لها قلوب المؤمنين بالله وای مؤمن لا يطمئ فرحا اذا كان الله معه في هذه الدنيا يحفظه ويرعاه ويكفؤه . ثم يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ، وما تم كل ذلك ؟ ايمان بالله برسله وتميز لهم واقامة الصلوات واداء الزكاة لاصحابها .

وأفراص المحتاجين قرصاً حسناً لا يشعشع بذلك ربها ولا عفتها
إلا ما وعده الله من الربح والمغنم اللذين هما عون الله له في الدنيا
وإدخاله الجنة في الآخرة .

ويحث الله على الإحسان نشتى أنواعه فإن كان لديك ما تعطيه
للسائل والمحروم والفقير فيها ، وإن لم يكن لديك شيء فالكلمة
الحسنة والمخالقة الحسنة يرضاها الله إحساناً ويثبت فاعلها .
ويشبه جل جلاله عن الامانة لأحد فيقول جل وعلا : « فاما اليمين
فلا تنهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنصه ربك فحمت » وأما عن
ملءوا المراتب العليا في توتى الشح والابتار بالوجود ولو كان بهم
خصاصة فأولئك هم المفلحون يقول الله تعالى : « والذين آمنوا
والذين أوتوا من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في
صُدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

ويؤلف الله البشرى لمن يجاهد بماله وبمنه في سبيل الله
بأسلوب مشوق فيقول : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تحارة
تفجيك من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل
الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم
ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في
جنات عدن ذلك الفوز العظيم » ذلك أكبر نور وأعظمه عند
المؤمنين ولكن الله يقول لهم : « وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح
قريباً ويشر المؤمنين » .

فالجهاد بالنفس والمال في سبيل الله ، وإطعام الطعام ، ودفع
المعاجة عن الناس ، وفك الرقاب ، والإحسان إلى الوالدين والأقرباء ،
والإصحاب ، والقرى الحسن ، والتواصي بالرحمة كل ذلك يحبه
الله ويحث عليه . أما البخل والشح والاختيال والافتخار ، وأنفاق
المال في سبيل الشهرة والمجد الكاذبين فذلك مما يكرهه الله .
تلك هي دعوة القرآن إلى التعاطف وأسلمة روح الرحمة حتى
تزول أشباح الخوف والذل التي تهدد المجتمعات وتهدد آدمية
الأمميين . والقرآن الكريم مشحون بدعوة الناس إلى الرممضهم
والشفقة على بعضهم ، ومن روح الايات الكريمة الداعية

الى الرحمة قول رسول الرحمة : « ارحم من في الأرض يرحمك
من في السماء » والراحمون يرحمهم الرحمن » .

ماستشعار روح الرحمة يجعل الإنسان لا يتكالب على جمع
المال ، ولا يتدنى في سبيل الحصول عليه ، كما أنه لا يرضى به على
المحتاجين . ليس كل ذلك اعدادا للنفوس حتى تقبل الخير ، وتنتج
الى طريقه وتنتهي عن فعل الشر ولا تسلك سبيله ؟

ان من يستشعر الايمان يستشعر هذه المعاني الجليلة والعظيم
المالية في نفسه فلا يقسو على عبد ، ولا يبخل على فقير ، ولا ينهر
سائلا ، ولا يتهرب يتيسا . وبذلك نزول الميافة التي يعصى بها
الأرقاء وترتفع معنوياتهم فينتسمون نسيم الراحة من الكابوس
الحائق الذي كان يكبس على انفسهم اجبالا طويلا . وتهب
انفسهم للمرحلة التي تنتظرهم مرحلة الحروم الرق ، والتحاقهم
بطيعة الاحرار . كما تطمئن نفوس الفقراء فيرول من اذهابهم شبح
الخوف الذي كان يهددهم دائما بالرق والذل والهوان ، لا بهم
يحسون بان الحياة التي يعيشونها بعد نزول القرآن تختلف عن
حياة الجاهلية ، فلمد كانوا يعيشون في مجتمع لا يعرف الرحمة
ولا يعرف شيئا اسمه القيم الروحية . مجتمع قاس غنيظ .
لكنهم الآن يعيشون في مجتمع رحيم كريم لا يبخل ولا يفسو
ولكنه ينقي ويدل ويتصدق ويحسن والناس فيه متعاطفون
متعاونون يرحمون الفقير ويضعفون الجائع ولا ينهرون السائل
ولا يتفخون على ما يتفخون أحمررا ولا دسرا ولا موسا وانما هم
يريدون الأجر من الله .

مجرد الإحساس بهذه المعاني هو انتقاد كبير للنفوس المملدة
باحساسها المخيف المزعج الذي كان مهيمنا عليها من قبل .

وانها الدعوة كريمة من القرآن الكريم . وهو يحث على الخير
تارة بالترغيب وتارة أخرى بالترغيب . ولم نجد مثل هذه الدعوة
في فلسفة من الفلسفات التي كانت سائدة قبل القرآن في شتى
اقطر الأرض .

اصلاح الفساد الاقتصادى :

ان القرآن الكريم لم يقتصر على الدعوة الى البر بالقرءاء والأرقاء واليتامى والمحتاجين بالترغيب فى ثواب الله تارة ، وبالترهيب من عقاب الله تارة أخرى مكتفيا بذلك تاركاً الشؤون الاقتصادية على ما كانت عليه من فساد واحداث ، بل وجه القرآن عنايته الى اصلاح النظام الاقتصادى الفاسد الذى كان قائما . ووضع للناس نظاما اقتصاديا عادلا والزم دولة المؤمنين بالقرآن بتنفيذه . والا اعتبرهم ملوكين من هدى القرآن لحجب محاربتهم وانتزاع السلطان من ايديهم .

نظام الحكم فى القرآن :

ولذلك فالقرآن لا يحيد النظام الملكى فلم يختر رسول الله حينما خيره الله بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا لله كسائر الناس فاختر صلى الله عليه وسلم ان يكون نبيا عبدا لله كسائر الخلق وسار بسيرة الخلفاء الراشدين فلم يحن أحد منهم الى النظام الملكى . لان النظام الملكى - كما دلت التجارب الطويلة التى مرت بالجيال الامم فى شتى الاقطار - نظام وراثى يدع السلطة بطبيعة الوراثة تتركز فى امرة او عشيرة . وتتركز السلطة تتركز القوة وامبارها فى ايد قليلة . ويعود ذلك بالناس الى نظام الطبقات ، ونظام الطبقات يحجر الى الاستبداد والاستغلال ، والترفع ، والاستخفاف بالحقوق والواجبات وينشأ عن ذلك النظام الكهنوتى فى الدين اذ تنشأ طبقة من العلماء تفتى بحل كل ما يضمن مصلحة السلطات ويفسد شئون الأمة . ويرتاج الحكام لهؤلاء المدلسين فيضحكون على الجماهير وتلاعبون بحقوقها مستندين الى الفتاوى المنحرفة . ويخترعون لهم وظائف دينية يستندون بها اليهم ثم لا يؤخذ الا براهم ويممن هؤلاء وهؤلاء فى التسهيل والتفريط فيلقى الدين ويحل محله آراء هؤلاء المنفيين فكلامهم يستحيل الى دين يجب ان يتبع ، واشخاصهم تستحيل الى آلهة يجب ان تقدس . ويضاف الى الاسترقاق المادى الذى يحارب به القرآن الاسترقاق الروحى الذى لا يقره القرآن بوجه من الوجوه . ويؤدى ذلك حتما الى حقد الطبقات الفقيرة وتشجيع روح العداوة

، بالقبضه بين الحاكم والمحكوم . ويؤدى ذلك الى ضعف الدولة
وتوتب امدائها عليها . أو يجر الى الصروب الاهلية اذ تتجم
المذاهب الغريبة التى يتلدرج بها القلوبون على أمرهم فى ثوراتهم .

وقد اعتنقت اعتنا فى القديم شتى المذاهب وقامت عنة
ثورات بعضها بحج وبمضا مثل ولكن الكارثة هى وحدها التى
نجحت على طول الخط فحل بنا الضعف والتأخر فى شتى الميادين
وغزانا الصليبيون والفتار وهدموا مساجدنا ومعادنا . ودمروا
حضارتنا وأحرقوا مؤلفاتنا التى كانت تحوى علومنا ومعارفنا
ثم وثب علينا الاستعمار التركى ثم الاستعمار الغربى . وأعطيت
قسطى لليهود وغير ذلك من المآسى التى جلب بنا . وبذلك تبين
لنا قساد النظام الملكى الذى لم يؤد بنا الا الى هذه النتائج .
وسجلت لنا حكمة حبيبنا ورسولنا محمد بن عبد الله صلى الله
عليه وسلم فى عدم اختيار الملك وتفضيل الصودية لله على صولحان
الملك وباجه . وكذلك تجل لنا عمق التفكير وعنفوى الإخلاص
لأمة اللدس امتاز بهما الخلفاء الراشدون فى عدم توريتهم الحكم
من يدهم لابنائهم .

لقد ارتضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره الله به
اذ قال له : « وشاورهم فى الامر » وأرغضى أصحابه أن تكون
الشورى هى السلطان المهيمن كما قال الله تعالى : « وأمرهم
شورى بينهم » اذ فى ظل الشورى لا تستطيع طبقة ولا حفنة من
الرجال ولا حفنة من المائلات أن تستبد بالأمة وأمورها وأموالها
وما منحها الله من حيرات الى الأبد وأذا استبدت فما أسرع
ازالتها . ونظام الخلافة قديما هو نظام الجمهورية حديثا . الا
ما كان من تعديد مدة رئيس الجمهورية فى النظم الحديثة . أما
الخلافة فان مدته لا تنتهى الا بموته ما استقام على تنفيذ ما أمر
الله به ورضاء الجماعة عن سيرته وأحكامه ولكن تطور الرمن ادى
الى تعديد المدة التى يحكم فيها رئيس الجمهورية وما دام ذلك
للمصلحة العامة فان الإسلام لا يعارضه . لأن الرسول يقول :
« ما يراه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن » .

ولقد ذم الله النظام الملكى بقوله تعالى « ان الملوك اذا دخلوا

قربة ألبسوها وحملوا امرء أهلها أذلة وكذلك يفعلون ، على مدى
الآزمان .

وقال تعالى : « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا »
فالفساد وأذلال الأمرة من أروميات النظام الملكي - وكل الناس
امرة مكرمون - لأن الله يقول : « ولقد كرمنا بني آدم » والمكرم
عند الله عزيز عليه . فالظلم والغصب وغير ذلك مما في هذا المعنى
أسند الله إلى الملوك . ومضى هذا كفاية لأن تنته أدياننا إلى ما في
النظام الملكي من أضرار تحيق بالناس ، ومفاسد تحيط بهم .

وكذلك ذم الله المترفين وجعلهم إشارة لحلول غضب الله
وتقته قال تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها
ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » وفي بعض
القرآيات أمرنا بتشديد الميم فلذا ولي الإمارة المترفون يفسدون
فيحق على من أمروا عليهم القول فيدمرهم الله تدميرا . نموذ
باله من سخطه وتدميره .

وهل رأى الناس من ملوكهم إلا الترف ؟ وترف الملوك
والأمراء هو دامية السخط ومجلبة النقمة لأن ترفهم لم يكن إلا
من احتوائهم على حقوق الناس واستبعادهم لخصائص الدولة
ومواردها . وما كنا لمعرض لنظام الحكم في بحثنا هذا لولا أنه شديد
الصلة عميق الأثر في التأثير على النظام الاقتصادي . ولا يترب
الخلل إلى الاقتصاد إلا من قيام هذا النظام . فلهذا حذرنا
القرآن الكريم منه . لأن خلل النظام الاقتصادي هو الذي يوقع
الناس في الرق عن طريق الفقر والحرمان الباتحين من استبعاد الملوك
وأعوانهم .



لقد كان يسود المجتمعات نظم اقتصادية فاسدة تحميها
نظم الحكم الملكية أو الشبهية الملكية حيث يتوارث السلطان
الاستبداديون أو من كانوا يسموهم بالاشراف والنبلاء - وهم
لم يكونوا شرفاء ولا نبلاء - بالمعنى الصحيح لهاتين الكلمتين وإنما
هي مجرد أسماء كانوا ينحلون بها أنفسهم مثل لقب جلالة ، وباشا ،

وبك ، ومركيز ، وكوت ، ولورد ، وبرس ، وامر وغير ذلك من
الاسماء التي هتميت لها (١) ،

وكان هؤلاء اقطاعيين يحتكرون الارواق ومصادرهما ويبسطون
حمايتهم على اراض شاسعة ، ويستغلون حاجة الناس اليها والى
ما فيها من خيرات ، ومن اهمها الماء والكلا والملح والوقود فلا يتال
اتساق منه شيئا الا بالتس الذي يفرضونه .

وكانت اغبارتهم على بعضهم البعض - ظلما وعسوانا -
ديديهم ، لانها من اهم مصادر الثروة لديهم . ولم يكن ذلك
مقصورا على العرب وحدهم ، وانما كان يمتثلهم في ذلك كل
الشعوب ، ويستولي الثالين على اموال المفلولين ، ويسترقون
الرجال والنساء والاطفال ، ويهيدون اليهم بالاعمال في شتى المن
اما الحالين ، فيعتبرون انفسهم السادة المالكين - فينصرفون
الى اللهو واللعب بالاموال والمعاد والاعراض . وتلك هي مهنة
الفارغين المترفين .

وكانوا يكتزون الفائض من الذهب والفضة . وكان القمار
من مصادر الرزق بالاضافة الى انه لعبة محببة الى نفوسهم .
وكان الربا اساس التعامل بين الدائن والمدين ، وكانوا يحظرون
طلب الرزق الحلال على طبقة مخصوصة من الناس - كما فعل
البراهمة مع السودرا - واذا جمع السودري هالا ، استولى عليه
البرهمن دون أن يكون للسودري حق الاعتراض او حق المقاضاة ،
وكانت اللصوصية والفرصنة وحطف الناس الامنين لاسترقاقهم
يعتبر عمل الاشراف والمظماء كما كان يفعل الاسبرطيون . ومع
كل ذلك فقد كانوا لايمرون الزكاة او حقوق الفقراء في اموال
الافنياء .

الى غير ذلك من النظم المجحفة التي كانت صائفة قبل
القرآن وسواء في ذلك الشرق والغرب والعرب والعجم . فلا بدع

(١) ان القضاة على هذه الاقارب مشروع واجب الاتباع .
وقد فطنت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لذلك ففقت عليها واتخذت
بما بعض الشعوب العربية السائرة في الطريق الصحيح .

إذا اجتاحت الاملاق والمسقية الضمهاد ، فيقتلون أبناءهم أو يبيعونهم
ليدخلوا في زمرة الارباء . ولا بدع إذا ما شئت المجتمعات في قلق
مستمر لا تصرف للاستقرار معنى .

فأبأ تعالى الله عن قتل الاولاد خشية الاملاق حينما يقول
تعالى : « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقكم وايامكم »
فان الله لا ينهى عن شيء ويترك أسبابه قائمة لاحلول لها .

وقد سن الله نظاما اقتصاديا عادلا لم تعرف البشرية نظاما
مثله يستطيع البشر بواسطته الحصول على الرزق في أمن وطمأنينة
وحرية وكرامة .

وقد رأينا فيما تقدم كيف عمل القرآن على اشاعة روح
الرحمة والتعاطف في المجتمعات .

وتحدث الآن عن النظم الاقتصادية التي قرصه القرآن
للخلفاء على كل ما كان قائما من النظم الاقتصادية العاسدة ،
ليأخذ كل ذي حق حقه من رزق الله الذي وسع الجميع ،
فلا يسترق انسان انسانا مثله لانه جائع ، او لانه فقير ، او لانه
عجز عن الوفاء بدينه ان كان مدينا .

نظرة القرآن الى الارض :

ولما كانت الارض هي المصدر الاول لكل أرزاق الناس بل
هي المصدر الاول لكل أسباب الحياة فقد احتفل القرآن بها فجاء
ذكرها (في ثلاثة وستين وثلاثمائة موضع) .

والاستشهاد في هذا البحث لا يقتضي ذكر الآيات الخاصة
بالارض جميعها . فتكتفى بما ينير لنا الطريق ويرشدنا الى ما يجوز
من امتلاك الارض وما لا يجوز ، ولما يكون حق الامتلاك ، ومنه
يمتلك وكيف يمتلك ؟؟

ان الارض في القرآن ليست ملكا لاحد ، وانما هي ملك الله
والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها هذه الآيات :

م ٤ ، ٥ - لا روق في القرآن

- ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض .
- والله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير .
- لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء .
- يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فاعبدون .
- والله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون .
- له مقاليد السموات والأرض .

الى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الأرض ملك الله وفي الحديث الشريف « أن الحلق عيال الله » وقد وضع مالك الأرض أرضه لمياله . وجعل كل ما فيها لهم قتل تعالى : « والأرض وضعها للأنام » وقال : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا » وقال : « كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين » وهو إذ نهانا عن الإفراط فيها طلب إلينا عملها فقال : « هو أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها » وجعلنا سبحانه خلائفه الأرض ليلبونها فيما آتانا فقال : « وهو الذي جعلكم خلائف الأرض وورث بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » .

وترك لنا أمر الولاية عليها وتوعدنا أن نحن أقصدنا ، ووصف المفسدين بالصم العمى المفلتة قلوبهم المملوثة فقال تعالى : « فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ، أفلا يتدبرون القرآن لم على قلوب أقفالها » .

وواضح من هذه الآيات البينات أن الله هو مالك الأرض وقد وهبها للناس جميعا ، لم يختص بها ناسا دون آخرين . وأباح لهم الانتفاع بكل ما فيها وجعلهم خلائف عليها ، وأمرهم ألا يفسدوا فيها ويقطعوا أرحامهم والناس كلهم ذور قريى نكلهم لآدم وآدم من تراب . فطلب منهم عمارتها . . وولاهم أمرها وأمر تدبيرها بتدبير القرآن ووجب لهم الاسماع والأبصار والقلوب لئلا تكون لهم حجة يحتجون بها على الله بل له الحجة البالغة عليهم . وقال لنا سبحانه : « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقد بين لنا الرسول ما نأخذ وما ندع فقال صلى الله عليه وسلم :

والباس شركاء في ثلاث : الماء ، والكلاء ، والبار . وسئل أحد الصحابة
الرسول عما لا يحل بيعة فأخذه عليه السلام « الماء والمسلم » .

فأصبح لدينا أربعة أشياء لا يجوز لأحد احتيازها لنفسه
وعيد غير عنها .

اولا : - مايت الكلا وهي تشمل الجبال والاحراش وبطون
الادوية (والكلا) ماأكله الامام من عشب وحشائش ، يقول الله
تعالى : « والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها ،
والجبال أرساها متاعا لكم ولانعامكم » - ويقول : « الذي جعل
لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وارسل من السماء ماء
فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا واربعوا انعامكم ان في ذلك
لايات لأولي النهى » ويقول - « او لم يروا انا نسوق الماء الى الارض
الجرى فتخرج به زرعاً تأكل منه انعامهم وانفسهم أفلا يبصرون »
والارض الجزر التي لايت فيها . هو جل شأنه الذي يرسل
اليها الماء من السماء وينتها بقدوته نباتا فيه متاع لنا ولانعامنا
ولم يبدل انسان جهدا في ذلك فالتاس فيها شركاء ومن احتجزها
لنفسه واستغل حاجة الناس اليها ، يعد معتديا على حقوق الله
التي وهبها لصلاده .

ثانياً : - منابع المياه وهي تشمل البحار ، والأنهار ، والآبار ،
والعيون . يقول الله تعالى : « وسخر لكم الفلك لتجري في البحر
بأمره وسخر لكم الأنهار » ويقول حل وملا : « وهو الذي سخر
لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتتخرجوا منه طيبة تلذثونها
وترى الفلك عواصر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
والتي في الأرض رواسي أن تعبد بكم وأنهارا وسيلا لعلكم تهنئون »
ويقول : « الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره »
ويقول : « وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح
أجاج » ويقول : « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء
فأسقيناكوه وما أنتم له بخائرين » ويقول : « وجعلنا الأنهار
تجري من تحتهم » ويقول « وهو الذي مد الأرض وجعل فيها
رواسي وأنهارا » يقول : « آمن حمل الأرض قرارا وحمل خلايقها
أنهارا » ويقول : « أفراستم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من
السموات أم نحن المنزلون » لو نشاء جففناه أحلاماً فلاولا تشكرون »

ويقول : « وفجر ما الأرض عبونا فالتقى الماء على أمر قد قدر »
 ويقول : « هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه
 شجر فيه سيمون » ويقول : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء
 فسلكه ينابيع في الأرض ، إلى غير ذلك من الآيات »

ينابيع الماء وما فيها من أسماك ولؤلؤ ومرجان وغير
 وأصداف وغير ذلك من حيرات البحار والأنهار وما في الجبال
 من معادن كل ذلك للناس جميعا ليس لأحد على أحد فضل فيها
 يأخذ منه الناس كما شاءوا وليس لأحد أن يمنع أحدا منها .
 وليس لذلك قيمة إلا قيمة الجهد المدلول من فرد أو جملة لأن
 من حصل على شيء من هذه الأشياء لم يحصل عليه إلا بسبل
 الجهد والعمل فإن ملكه فأنما ملكه لما بذل من جهد لا لأبى رقب
 عليه ، وما يطبق على ذلك يطبق على الكلا والاختلاف وماشاكل
 ذلك ، كما سيأتي .

ثالثا : - مصادر الوقود وتشمل : الشجر ، والفحم الحجري
 والنفط ، والقوة الكهربائية ، يقول الله تعالى : « أفرايتم النار التي
 توردون أنتم أشجاركم شجرتها أم نعرس المنشثون نحن حطائهم »
 تذكرة ومتاعا للمقوين »

و « المقوين » الحاضرون والمسافرون من غني أو فقير .
 فإن الجميع محتاجون إليها للطبخ والتدفئة والاضطائة وغير ذلك
 من النافع ، كذا قال المفسرون فيما يخص بالشجر عند تفسيرهم
 « للمقوين » . أفلا يحق لنا والحالة هذه أن نقول : وحكم الفحم ،
 والنفط ، والقوة الكهربائية كحكم الشجر ؟ وإن كان في استخراج
 الفحم والقوة الكهربائية والنفط جهد إنساني مبذول ، ولا بد لهذا
 الجهد من ثمن - معني الدولة أن تشرف على استخراج هذه الأشياء
 وتقدمها للناس بشئ لا يهظم ولا يرهقهم ، ثمنها يستطيع دفعه
 الفقير قبل الغني وإن لم يكن للدولة حاجة إلى الثمن فعليها أن
 تمنحهم ذلك مجانا ، لا أن يكون لفرد أو لشركة تمتثل حاجة
 الناس إلى هذه الأشياء استغلالا فظيما ، يرهق الناس ويكبدهم
 مالا طاقة لهم به ، ثم تسرب الإلحان الباهظة إلى حفنة قليلة من
 المستغلين والمحتكرين لحيرات الله التي وهبها لعباده » .

اما ما عاصر عن حاجة الناس فنرجع اثماته للحملمة . تصرف
 على مرافقتها واحتياجاتها من تعليم وتصنيع وعلاج وتنمية لموارد
 رزقها ، كالزراعة وتمديد الطرق وتنظيمها ، وامانة المحتاجين ،
 ورفع المستوى المعيشي والثقافي والصحي للحاضرة البادية على
 السواء ، حتى لا يبقى في الجماعة محتاج أو محروم ، أو من تدفعه
 المسغبة والهجرة الى أن يدخل نفسه نو «ساء في حظيرة الرق من
 أي نوع كان . وذلك ما صممه ويصنعه المنصفون من الناس . فما
 بالك من يدب بالقرآن ويحتكم اليه ويحمله . ان اتباع القرآن
 أولى من غيرهم باتباع كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل - بل ان
 الواجب أن يكونوا هم قهوة الناس حتى لا يفتوا الجاهلين بالقرآن
 والمنسبين اليه يستوردون المذاهب الاقتصادية والاجتماعية
 من الشرق أو الغرب . هل في قرآننا من النظم مالمو اتبعناه لكنا
 قبيلة الناس ومحل اقباسهم وتقليدهم والأحد ما والنقى عما
 لان ذلك حكم الله . وحكم الله ليس فيه احصاف على أحد « ومن
 لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الملعونون « والقرآن وسي
 القرآن يحثنا على النظر والتفكير وتحري العدل في الأحكام
 والمعادلة في الارزاق ، ولم يأمرنا بتحميد أفكارنا ومطيل أدهاننا
 عن أعمالها وتوحى المصلحة العامة والقرآن مشحون بالآيات التي
 تحثنا على التبصر والتفكير والتدبر ونبي القرآن يعدد الاحتداد في
 توحى المصلحة العامة توفيقا من الله . فقد قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لماذ ين حبل حينما بعثه قاضيا على اليمن . « ثم
 تقضى मामلا لا فقال : بما قضى به الله تعالى . قال الرسول ان لم
 يكن . فقال : بما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال
 الرسول . فمن لم يكن . قال : أحتهد ولا آلو . فقال : الحمد لله
 الذي وفقى رسول الله الى ما يرمي الله ، فالاجتهاد في
 تحري العدل والمعادلة والمصلحة العامة توفيق من الله . أما ترجيح
 مصلحة فرد على مصلحة الجماعة فذلك زيغ وانحراف عن كتاب
 الله وسنة رسوله . وبخاصة فيما سر اردافهم ومعايشهم .
 وحرمتهم وكرامتهم . لأن الله كرم الجميع ، ولم يخص أحدا
 بميزة الا ميزة التقوى والتقى لا بالتعدي على الحقوق والواجبات .

وايضا : — مناحم الملح ويشمل ما في البحار وما في الجبال .

وقد ورد في الآثار أن النبي صلى الله عليه وسلم منع بيع الماء
والمح .

هذه الأشياء الأربعة ضروريات أولية للحياة ، الناس كلهم
فيها سواء . إذ هي ورق الله من صنع يديه وهبها لخلقهم . وقال
الله تعالى في شأنها : « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا
فيها من كل شيء موزون . وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له
برازقين » وقال المصرون : « إن الحسن وعكرمة وابن زيد قالوا
في تفسير « من كل شيء موزون » أنه عني به الشيء الموزون كالذهب
والفضة والرماس والكحل والحديد وسوا ذلك . وأدخل بعضهم
الزعران . فإله تعالى هو الذي أتيت لنا هذه النعم ، وجعلها
معايش لنا ولعائلتنا ومن لم يرزقهم ممن لم يكلفنا يرزقهم فإن لهم
حق الارتفاق منها وليس لأحد أن يمنعهم عن الارتفاق لأن الله
يقول : « ومن لستم له برازقين »

تقد كان الطغاة والظلمة يحمون منازل القطر ومنابت الكلا
قديما وما زال الطغاة والظلمة يحبون موارد الرزق ومنابع الكنوز
وانحجرات حديثا ، ويستغلونها لأنفسهم ولن يوالهم والاسلام
يمنع ذلك إذ يقول الرسول الكريم : « لا حمى إلا لله ورسوله »
وما كان الله ورسوله فهو للناس جميعا وليس للدولة أن تحمي
شيئا إلا إذا كانت المصلحة العامة تقتضي ذلك . كان تكون الجماعة
في حالة حرب مع غيرها . فلا بد أن تحمي كل ما يكفل النصر على
الأعداء والحماية تفرض على ما كان مشغلا بين كل الناس وما كان
ملكاً وذلك ما فعله عمر بن الخطاب والحاكم لا يحمي لنفسه ولكنه
يحمي لنفع الجماعة . ولا يمنع الضعفاء وأصحاب الملك أن حمى
ملكاً لأحد . فقد قال عمر بن الخطاب حينما حمى (الشرف
والريذة) لمن وكل إليه الحماية : « أضمت جناحك عن المسلمين
وأبق دموع المظلوم فإن دعوة المظلوم محابة وأدخل رب الصريمة ،
ورب النسيئة ، وأياك ونعم بن عوف ونعم بن علفان فأنهما ان
تهلك ما شيتهما يرجعان إلى تخل ودرع . وإن رب الصريمة ورب
النسيئة أن تهلك ما شيتهما يأتيا نبي سينة يقول يا أمير المؤمنين
افتاركم أنا ؟ لا أمالك فالسوء والكلأ أسير على من النعب والورق
وأيهم الله أنهم يرون أنني ظلمتهم وأنها لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية

وأسلموا عليها في الإسلام . والذي نفسى بيده لولا المال الذي أحل عليه في سبيل الله ما حبيت على الناس بلادهم . وهذا صريح في أن الحاكم ليس له أن يحمي لنفسه ولا لمشيرته وما حمت عمر الأرض المتسامة إلا لمصلحة المسلمين . وتقوية المجاهدين في سبيل الله . ولكنه في نفس الوقت لم يمنع من لديه ماشية من أن يرعاها وبخاصة إذا كان صاحب الماشية ثابا لميسال لأن منعه من رعي ماشيته . يفرض على عمر إعطائه مالا لئلا يموتوا جوعا فعلى الحاكم الذي يريد أن يحمي للمسلمين ألا يضرب أحدا بما حمت وهذا على ما فعله الأمم الحديثة في زمن الحرب . فأنهوا تسع يباعا على جميع مرافق البلاد لضمان الانتصار على الأعداء .

أما تملك الأرض المستثناة من كل ما قلنا فلا يكون إلا لمن عمل . ناله سبحانه أجل من أن يحرم العامل ثمره عمله ، يقول الله تعالى : « وآبأ لهم الأرض الميثة أحييناهما وأخرجنا منها حبا فمنه ياكلون . وجعلنا فيها جنت من نخيل وأعاب وقجرونا فيها من العيون لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون . »

فعمل اليد هنا هو ذرع الأرض وحرتها وحصادها وغرس الأشجار ونصبها وكل شيء يذل الإنسان فيه مجهودا كتقليح الأشجار وتوير النخيل . ورعاية كل ذلك وتعهده حتى يبلغ الثمر متناه . فمن يعمل كل ذلك لا يمكن أن يذهب عمله سدى ، أو يتساوى مع غيره فيه ممن لم يعمل ولم يذل جهدا . ولذلك ضمن القرآن جزاء العمل فقال : « ولن يترككم أعمالكم » أي لن يسلبكم أباهم بل يوفيكهم ثوابها . ولا ينقصكم منها شيئا ويقول تعالى : « أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » فحقوق العمل محفوظة للذكر والأنثى على السواء . ولا يمكن أن يتساوى العامل المجد بالجهل الكسول .

فلذا وضع الله الأرض للإنسان ، وجعل لنا كل ما فيها من خيرات طاهرة ومحزونة ، فقد أبان الله ورسوله لنا سبيل الملكية فيها . فكل ما لا يحتاج إلى بذل الجهود الإنسانية في إيجادها فالتاس كلهم فيه سواء . ومن رحمة الله بعباده أن الضروريات الأولية لا تحتاج إلى جهد للحصول عليها ، كالأرض ، والماء ، والهواء ، والملاح ، والكلأ ، والنار . فعلى الأرض نجيا ، وفي جوفها نفوسا

موتنا ، وبها نتحصل على اقواتنا ومعاشنا . ويقام على ذلك كل شيء تحتاج اليه حياة البشر في كل مراحلها ان كانوا بدائيين ، او متحضرين ، اما ما كان يأتي من ضروريات حياتنا في المرتبة الثانية فان ذلك سبيله الجهد والعمل ومن هنا كان التفصيل في الرزق وذلك قوله تعالى « والله فضل بمعكم على بعض في الرزق . فمن جهد اكثر نال رزقا اكثر فاذا اردنا الكساء فمسبيله الغزل والنسيج ، واذا اردنا المأوى فمسبيله التعمر ، وكل المواد الصالحة لذلك موفرة (مجانا) لمن يعمل - واذا اردنا الخير فمسبيله الزراعة واذا اردنا اللحم فمسبيله الصيد في البر والبحر . فمن عمل قلبه ثمره عمله حقا شرعا يمتلكه . وقد احل الله لنا الصيد فقال : « احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة » ، وقال : « فاذا حلتكم فاصطادوا » وقال : « احلت لكم بهيمة الانعام » .

واحل لنا الزراعة فقال : « وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون » وحملنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون . لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون » .

وطلب البنا عمارة الارض « واستعمركم فيها » .

ومن اصطاد او زرع او عمر فله ان يمتلك سيده او رعه او عمارته وحشنا على العمل فقال : « وقل لعمالكم فسيرى الله عملكم ورسوله » .

وهو اذ يحل لنا كل ذلك ويحضننا عليه يامرنا ان ناكل من طيبات ما رزقنا وينهانا عن الطغيان فيه فيقول « كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطفوا فيه فيحل عليكم عصى » اما العمل المشروع الذي لا طغيان فيه فهو محطة لرضاء الله علينا .

والتحليك نتيجة العمل المشروع امر مشروع في القرآن وقد قال من لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى : « من احيا ارضا ميتة فهي له » وقال : « من عمر ارضا ليست لاحد فهو احق بها » وقضى عمر بن الخطاب بذلك في خلافته . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من احاط حائطا على ارض فهي له » .

ومن أقطعه الجماعة متعلقة في حكومتها أرضاً فهي له على شرط أحيائها فإن صحت عليه ثلاث مسننات دون أن يحيطها أو يصرعها فله الجماعة متعلقة في حكومتها انتزاعاً عنه . فإن أحيها جانباً منها فله بقدر ما أحيها أو صرع : وينزع ما بقى ويتقسم على غيره من أفراد المحتاجين لأن القصد من الاقطاع التصحر والاحياء والانتفاع وإعادة المجتمع من ذلك . وليس المراد منه الاحتكار والامتلاك . أما ترك الأرض موتاً فذلك نقص في كفاية المجتمع ودليل على أنه مجتمع مجذب من الجهود الانسانية والأيدى العاملة والأذهان المتفتنة . وما جذب الأرض الا دليل على جذب النفوس من الحركة وحسب العمل ، وما من مجتمع نشيط عامل مجد ، الا وهو في حصص ورخاء . ونماء مطرد ، وما من مجتمع كسول خامل الا وهو في جذب وجوع وذل وخنوع . والحكومة الرشيدة هي التي تمنع لذلك ولا تدع الجمود يقف بها ومجتمعها موقفاً حامداً غير متحرك .

وهذا ما فطن اليه عمر بن الخطاب فقد انتزع الارض من مالكا حينما عجز عن تصهيرها وأحيائها . وقصة ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع بلالا بن الحارث المزني (العقيق) أجمع فلم يستطع تصهيره . فلما تولى عمر بن الخطاب الخلافة دعا بلالا اليه وقال له : « يا بلال انك استقطعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاً طويلة مريضة » وإن رسول الله لم يكن يمنع شيئاً يسأله ، وأنت لا تطيق ما في يديك . فقال بلال : أجل . فقال عمر : فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه ، وما لم تطق ما دفعه البنائسمة بين المسلمين . فقال بلال : لا أفعل شيئاً أقطنته رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر : « والله لتفعلن » ثم أخذ ما مضى من عمارته وقسمه بين المسلمين « هذا فعل عمر رضي الله عنه في أرض أقطعتها الرسول لرجل من أصحابه . . وما كان لعمر أن يفعل لولا تفتنه للهدف الذي يهدف اليه الرسول من هذا الاقطاع وهو الاحياء والتعمير . فلما لم يحقق الرجل أهداف الرسول انتزع عمر منه الأرض الزائدة عن حاجته . وأعطاه للمسلمين ليتحقق هدف النبي صلى الله عليه وسلم والتي يقول : « هادي الأرض لله ولرسوله ثم لكم من بعد فمن أحيأ أرضاً ميتة فهي له ، وليس

لحجز حق بعد ثلاث سنين ، رواه أبو يوسف في كتاب الخراج
عن ليث بن طلوس .

وهذا التصرف من جانب عمر تصرف سليم لهم صحيح
مستقيم ، يتماشى مع روح القرآن الكريم ، وأهداف الرسول
الاصلاحية . والرسول يقول : « الحق يدور كيفما دار عمر » .

وإذا كان الحاكم لا يمثل الجماعة كأن يكون حكمه لهم دون
رضاهم وانما حكمه لهم بقوة الحديد والمار ، والسيوف المصلته
والسجون المطقة فلا حرمة لما يقطع من ارضي ، وما يهب من مال ،
لان مثل هذا الحاكم لا يرضى الله في خلقه . فان وهب من مال الدولة
او اقطع شيئاً من اراضيها فهو رد . لانه انما يقطع ويهب الاهل
والاشياع ومن ليسوا في حاجة . ورأى من وراء ذلك تقوية
مركزه لا المصلحة العامة ، وعلى القضاء الحكم برد الحقوق
لاصحابها ولو بعد زمن طويل ، وذلك هي شرمة القرآن التي حكم
بها الخلفاء الراشدون والقضاة العادلون .

لهذا عمر بن عبد العزيز - وقد اجمعت الامة والاجيال
التماقبة على انه خامس الخلفاء الراشدين - ينزل على حكم
القضاء العادل ويرد ارضا ورثها عن ابيه ، لان امتلاكها كان في
الاساس بطريقة غير مشروعة . وقصة ذلك ان عبد الملك بن مروان
اهدى لاخته عبد العزيز ارضا بطوان مصر . فآخذ عبد العزيز
ينفق عليها ويستثمرها ، فلما مات آلت لعمر ، فلما ولي عمر
الخلافة جاءه صاحب الارض واخبره ان عبد الملك اغتصب ارضه
واهداها لاخته عبد العزيز وقد آلت اليك - يا امير المؤمنين -
فاعد الى ارضي . هذا ما قاله المصري لعمر . فاجابه عمر بقوله :
« نحكم الي ، قاض مريم قضاة المسلمين ليحكم بيننا بما أنزل الله ،
فان لي شركاء اخوة واخوات ، لا يرصون ان اقضي فيها بغير قضاء
قاضي » .

ووقف الخليفة مع المصري في ساحه القضاء موقف الانداد ،
وتكلم كل منهما بصحته ، فقض القاضى برد الارض لصاحبها .
فقال عمر : قد أنفقنا عليها ألف ألف درهم فقال القاضى : « لقد
اكتلم من غلتها بقدر هنا » فاطمأنت نفس عمر وأعباد الارض

لصاحبها ، وقال القاضي : « لو حكمت لى لما وليت لى جملا ، وهل القضاء إلا هذا ؟ »

فهاتان حادستان تربنا احداهما انتزاع الارض ممن لم يستطع اصلاحها «تقسيمها على المسلمين ، كما فعل عمر بن الخطاب مع صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بلال بن الحارث المزني .

وتربنا الثانية انتزاع الارض مع القدرة على اصلاحها لانها احدث فصبا ، وردھا لأصحابها كما فعل عمر بن عبد العزيز عند نزوله على حكم الله الذي نطق به قاض من المسلمين .

فالقرآن الكريم يحرص على المصلحة العامة حرصه على مصلحة الفرد ، وكل ملكية فيها بني على الصامل ، أو فيها بني على مصلحة الجماعة لا يقرها القرآن . فالقرآن لا يحرم المثلل من عمله . وكذلك لا يقر العاجز على امتلاك ما صحت عنه قدرته ، ويقف في وجه التعدي أين كان ومن كان . والحكم في القرآن أمين على المحكومين ، حريص على حقوقهم ، يعمل لمصلحتهم ، ويرد عدوان المعتدين عنهم . أما أنا كأنا الحاكم هو المعتدي فانه يرى من القرآن ، ومن نزل عليه القرآن ، ومن يدينون بالقرآن لان اعتداء الحاكم ومماقة القضاء له يصيبان المجتمع بكثير من الآسئ المقبحة ، وانجع مآسئ حالة المجتمع الى قطيع من الهائم أو جماعات من الرقيق المستعبد تسوقها طبقة الحكام والقضاة الى مايزوى بالانسانية ، وحينئذ يستحيل المجتمع الانساني الى شيء لأشخصية له ، وذلك يتناقى مع تكريم الله لخلقه .

والمجتمع الذي يرضى بذلك يكون مسئولاً عن تعريضه فيما اكرمه الله به لانه لم شب للدفاع عن كرامته ، وللاحتفاظ بما منحه الله من حوبة وتعزيل وبما انعم الله عليه من خيرات الارض الظاهرة والخزونة ، وبما أعطاه الله من حق المشاركة في الحكم ، والمساورة في تدبير الأمور . وهو مسئول عن سكوته على عبث الماشين ، والفساد المفسدين لأموره .

ومادام الفرد بايى إلا أن يدافع عن ماله وعرضه ودمه . والشرع يقره على ذلك — أفلا يكون دفاع المجتمع عن الانفس

والأموال والأعراض والنفاء مشروعا ، بلى ! بل إنه أكثر مشروعية
وأشد حتمية .»

ونعود الى حديثنا عن الأرض . فلقد تبين لنا ما تعمم أن
من أحيا أرضا أو عمرها أو أحاطها بحائط فهي ملك له - على أن
لا تطمس هذه الملكية على حقوق الجماعة ، ولا تصحف بمصلحتها ،
ولرسول القرآن هدى في ذلك لابد من بيانه لنرى إلى أى مدى
بلغ الحرص على المصلحة العامة في الإسلام .

جاء في الجزء الثالث من صحيح البخارى ، حديثا لمحمد بن
معاقل أخبرنا عبد الله أخبرنا الأوزاعي عن أبي النجاشي مولى رافع بن
خديج سمعت رافع بن خديج بن رافع عن عمه طهير بن رافع
قال طهير : لقد بهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان
بنا رافقا . قال : ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق
قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ماتصنمون
بمخافلكم ؟ » (المخافل : حقول الزراعة) قلت : تؤجرها على
الربيع ، وعلى الأوسى من التمر والشعير . قال : لا تفعلوا . أزرعوها
أو أمسكوها ، قال رافع قلت : (سمعا وطاعة) .

وجاء أيضا في صحيح البخارى في نفس الجزء الثالث
(حديثا لعبد الله بن موسى ، أخبرنا الأوزاعي عن عطاء بن جابر -
وعنه الله عنه - قال : كانوا يزرعونها بالثلث ، والربيع ، والنصف)
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من كانت له أرض فليزرعها ،
أو ليعملها ، فإن لم يفعل فليمسك أرضه » .

وجاء أيضا في صحيح البخارى « قال الربيع بن نافع أبو
توبة : حدثنا معاوية عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة -
رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من
كانت له أرض فليزرعها أو ليعملها أو ليعملها . فإن أبي فليمسك
أرضه » .

هذا هو هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في شأن الأرض
الملوكة المصلحة للزراعة الفائضة عن حاجة صاحبها ، أما أن
يوزعها بنفسه ، وأما أن يمنحها لآخيه ممن لا يملك أرضا ليزرعها

ويسمع بها . وأما أن يملك أرضه . فإذا امسكها انعلم بمعبه
ملكيتها ، وحينئذ تكون النجحة أولى من اعمالها . وحينما علم
عبد الله بن عمر نهي الرسول عن كراء المزارع ترك كراء مزارعه .
وقال : كنا نكرى أوصنا ، ثم تركنا ذلك حينما سمعنا حديث رافع
ابن خديج .

وجاء في المحلى لابن حزم بالجزء الثامن (ومن طريق أبي
داود والسيوطي . قرأت على سعيد بن يعقوب الطالقاني قلت
أحدثكم : عبد الله بن المبارك من سعيد أبي شعاع ، حدثني عيسى
ابن سهل بن رافع قال : أتى يتيم في حجر جدي رافع بن خديج
وحجبت معه فجاء أخى عمران بن سهل قال : « أكرىنا أرضنا
فلانة بمائتي درهم » فقال : دعه فإن النبي صلى الله عليه وسلم
هى عن كراء الأرض ، وعن عيسى نافع نحوه « ولقد كان السلف
الصالح ياتمرون بأمر النبي ويتهون عما بنهى عنه ، وكان عطاء
ومكحول ومجاهد والحسن البصري - وهم من أئمة السلف -
يقولون : لا تصلح الأرض البيضاء بالدرهم ولا بالدنانير ولا معاملة
إلا أن يزرع الرجل أرضه أو يمنحها ، وقال الشعبي : فذلك الذي
معنى ، ولقد كنت من أكثر أهل السواد شيعة » .

والحكمة وأصح في هدى الرسول صلى الله عليه وسلم .
ممالك الأرض لا يملك إنسانها ، إنما الذي يملك ذلك الله تعالى ،
وقد جبل الله الجهد الإنساني سبب الإيثار ، فإذا بذل الإنسان
بجهوده في إنبات الأرض قبلى حق يشاركه إسمان آخر في ثمرة
جده وعرقه ؟ إن أساس الملكية العمل ، فلا بد لمالك الأرض أن
يشارك بجهوده لتحقيق له المشاركة في ثمرات الأرض ونتائجها ،
فلذا دفع ثمن البلور الزراعية ، أو أسهم مع الممل في الأرض
بجهوده ، أو في إحضار ما تتطلبه الزراعة من أدوات كان له
نصيبه مما تنتج الأرض ، من ثمر ونبتات ، بحسب الشروط
المستترطة بينهما .

ويقول السيد عبد الحميد الخطيب في كتابه « أسامي
الرسالات » : (ولقد أثبت الأيام ، ودلتنا التجارب على أن تأجير
الأرض بالمزراعة سبب تكاسل ملاكها من العمل باستثمارها

بأنفسهم معا تنزه الزراعة على المزارعين من أموال وخيرات كثيرة
وأدى الأمر إلى وجود طبقة عاطلة من العمل تعيش في الحياة على
مجهود غيرها من الأيدي العاملة . لهذا هي المعنية بقول بعض
الحكماء : رجال الأعمال في الدنيا ثلاثة : التاجر في متجره ، والمزارع
في مزرعته ، والصانع في مصنعه . ومن عداهم عالة عليهم كشجر
اللباب .

وحكمة أخرى تشرق على الإدهان من هدى الرسول الكريم
ﷺ أرسل رسوله وحيمة للمالين إذ يقول تعالى : وما أرسلناك
إلا رحمة للعالمين) وجاء الإسلام لمحاربة الرق في كل ألوانه
واشكاله ، فإذا كان مالك الأرض أن يؤجر أرضه : فإنه يستكثر
من الأرض بما يتضخم لديه من محصولاتها مما يزيد من حاجته ،
ويؤدي ذلك إلى نجوم الإقطاعات الكبيرة حيث يتضخم الثراء في
أيدى فئة قليلة ، وتظل علينا نتيجة لذلك مأساة الرقيق الإقطاعي
الذي تأباه روح القرآن العادلة الرحيمة .

أما إذا لم يستطع مالك الأرض رعايتها عجزاً أو استغناء ،
وفي نفس الوقت لا يستطيع تأجيرها لأنه ممنوع شرماً عن ذلك ،
فليس أمامه إلا منحها لمن لا أرض له ، أو أملاكها ، فإن أملاكها
ومرت ثلاث سنوات على ذلك فللجماعة بوساطة مثاليها الحق في
اتخاذها منه — كما فعل عمر رضي الله عنه حينما انتزع أرض بلال
كما رأينا آنفاً — وأعطائها لمن هو في حاجة إليها لأن تركها بدون
أحياء ليس من مصلحة الجماعة في شيء بل هو ضار بالمجتمع إذ
تصيبه بالجدي ، وتقف حائلاً بينه وبين النماء والرخاء .

أما الذين يستغلون على جواز تاجير الأرض بأن النبي صلى
الله عليه وسلم اتفق مع يهود خيبر على إعطائهم الأرض على أن
يقوموا بسقي النخيل ولهم نصف الثمر ، فانهم يخطئون بين النهي
عن المزارعة من جهة ، وبين إقرارها من جهة أخرى ، ويقولون :
إن هذا العمل نسخ أقوال النبي ، ويشيرون مشاكلهم ونحن في
غنى عن إثارتها لأنها نتيجة لسوء الفهم .

لقد آلت خيبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
طريق الجهاد في سبيل الله فقسمها فيما بين المجاهدين ، أما الحسبي

الذي هو الله ولرسوله فقد أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يهود خيبر على جعلته نصف الثمر . لأنه للجماعة ، وليس لفراد
 من الأفراد فتحكمها حكم الثروة الموزعة التي تنفق على المصالح
 العامة ، وصفا الاتفاق على المعاهدتين في سبيل الله ، والمجاهدون
 هم الذين يردون أغارة المبرين وعدوان المعادين . ولم يخرج هؤلاء
 اليهود عن اعتبارهم مواطنين اعفوا من الجهاد ليعوموا بواجب
 الزراعة ، فإن أخذ الرسول نصف مجهود المزارعين فانما يأخذه
 في مقابل مجهود الحماية ، وبمكس المزارع المسلم ، فإن عليه أن
 يخرج للجهاد ويترك زراعته لأنه لم يعف من التحديد للجهاد ،
 ويؤكد هذا ما قاله عمر بن الخطاب « لولا آخر المسلمين ما تحت
 قرية إلا قسمتها بين أهلها - أي المجاهدين - كما قسم النبي
 صلى الله عليه وسلم خيبر » لأن عمر لو تآى تأميم أرض القرية
 حينما فتح العراق والشام وحينما روجع من بعض فقهاء الصحابة
 رضوان الله عليهم قال ماضاه : انى ان قسمتها على المجاهدين
 فمأذا يجد أبناء المسلمين ممن يأتون بعدنا ؟ .

وهذا الرأي يتماشى مع قوله تعالى (لتلا يكون دولة بين
 الاقبياء منكم) لقد رأى عمر المسلمين في اوردباد ودولتهم في اتساع
 وسيزداد توالد المسلمين على الايام ، فان قسم الأرض على
 المجاهدين توارثها أنفؤهم من بعدهم . وبذلك يصبح في الأمة
 فئة قليلة تملك الأرض - والأكثرية لا أرض لها . فيختل توازن
 المجتمع . وهدى القرآن ورسول القرآن يهدفان الى تعادله لالى
 اختلاله ، ولقد استشف عمر روح الشريعة الإسلامية ، ورأى على
 ضوءه رأيا مائليا فامضاه ، وعمر هذا كان ينزل القرآن موافقا
 لرأيه في حصة الرسول ولقد حسبته له سبع عشرة آية كانت
 موافقة لما أراداه عمر . ثم ان عمر لم يستبد برأيه وانما أجمع
 الصحابة على امضاه عمله والاحصاء من أمثال هؤلاء الذين لا يلتزمون
 ولا تأخضهم في الحق لومة لائم . تشريع واجب الاتباع . وهذه
 هي القصة نقلها بنصها : قال عمر - لما قسم الله على المسلمين
 العراق والشام ردا على من أرادوا قسمة الأرض بين فاتحيها ،
 والاحتفاظ بالخمس فقط للمصالح العامة - فكيف بمن يأتي من
 المسلمين فيجدون الأرض بطولها قد اقتسمت . ووردت من

الآباء ؟ ماذا برأي ! » فقال له عبد الرحمن بن عوف : (فما الرأي ما الأرض والعلاج إلا ما آفاه الله عليهم) فقال عمر : (ما هو إلا كما تقول ، ولست أرى ذلك ، والله لا يفتح بعدي فتح فيكون فيه كبير ميل بل عسى أن يكون كلا على المسلمين ، فإذا قسمت أرض العراق بطولها ، وأرض الشام بطولها ، فما يسد بها الثغور ؟ وما يكون للفرية والأرامل بهذا البلد ويغتره من أهل الشام والعراق ؟) فأكثروا على عمر ، وقالوا : تقف ما آفاه الله علينا بأسيا فإنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ؟ ولانساء قوم ولانساء أبناؤهم لم يحضروا . فكان عمر لا يزيد على أن يقول : هذا رأيي ، قالوا : فاستشر ، فاستشار المهاجرين الأولين فاختلفوا ، فأما عبد الرحمن ابن عوف فكان رأيه أن تقسم لهم حقوقهم ، وكان رأي عثمان ، وعلى ، وطلحة ، وابن عمر ، رأي عمر ، فأرسل إلى عشرة من الأنصار خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج من كبارهم وأشراهم فلما اجتمعوا قال : إنني لم ارتحكم إلا لأن مشتركوها في أماني فما حملت من أموركم ، فإني واحد كأحدكم ، وأنتم اليوم تفرون بالحق خائفين من خالعي ، وواقفني من واقفني ولست أريد أن تتبعوا هذا الذي هو هوىي ، معكم من الله كنساب ينطق بالحق فوالله لأن كنت نطقت بأمر أريد ما أريد به إلا الحق . قالوا : قل تسمع يا أمير المؤمنين .

فذكر لهم وجه الخلاف فابعدوا رأيه . فقرر إبقاء الأرض بأيدي أهلها وضرب الخراج عليها ، وسكت المخالفون ألباما للرأي الغالب .

وقول الاستاذ عبد الرحمن عزام الأمين السابق للجامعة العربية في كتابه (الرسالة الخالدة) تطبيقا على هذا : « هذا مثل من تصرف تلميذ الرسول وخليفته في أمر جاء به نفس وهو نفسه يسلم بهذا النص . علب عمر رضي الله عنه الرأي الذي قضت به المصلحة العامة التي رآها ورأتها الأغلبية من عقلاء المسلمين أهل الشورى .

فالشرعية المحمدية لا تقف مكتوفة اليدين متى باتت المصلحة العامة بل هذه المصلحة والعقل هما غرض الشرعية الذي لن

تجاوزه ، فاقامة توازن اجتماعي يرفع به شر الحاجة عن المحتاج ويستقيم معه العدل والتأمين الاجتماعي هو أكبر مهام الدولة الإسلامية ، ومسئولية الامام وامل الشيوعي في ذلك واضحة .

والدموة التي لا يتردد صاحبها واتساعه في اقامة ميزان العدل الاجتماعي على اساس المصلحة العامة لا يمكن ان تقوم الحصوة بين اصارها على اساس المصالح الطائفية الديورية ، فالمصلحة لا تجزا ، والطوائف لا وجود لها حتى كان الكل مبيدا لله متساوين وكانت مصلحة الكل فوق مصلحة الفرد والطائفة .

انتهى ما قاله الدكتور عبد الرحمن عزام ، وتعلقنا عليه ان من لم يخالف نصا ، وانما هو فقيه يعرف روح التشريع القرآني فالقرآن الكريم يكره ان يكون للمسال دولة بين الأغنياء ، وتوزيع الأرض على القاتلين فقط يجعلها دولة بينهم ، ولم يبق لأجيال المسلمين المقبلة غير الحاجة والعوز ، وهو أبي الا ان يزعم الأرض ليحقق ما يرئسه القرآن . الا تراه يقول : للفترة الذين طلبهم لاستشارتهم في الأمر ، ولست أريد ان تنصوا هذا الذي هو هوأي معكم من الله كتابي ينطق بالحق » .

اذن فالرسول لم يرادع اليهود الا في انقسم الخاص بالدولة في مزارع خيبر ، فالذين يقولون : ان هذا التصرف من الرسول ينسخ قوله بالنهي عن المزاومة اخطأهم الصواب ، والقاعدة الفقهية ان الأخذ بقول الرسول مقدم على الأخذ بفعله . لأن من أفعاله ما كان خاصا به لا للتشريع ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

لقد كان لمرين الخطاب أرض خيبر أصابها من الفيء . فجناء الرسول صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها ، فقال يا رسول الله : اني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط هو اعمى على منه . فقال الرسول : و ان شئت حيمت أصلها وتصدقت بها . قيل : فتصدق بها عمر على انه لا يساع أصلها . ولا يورث ، ولا يورث ، فتصدق بها على انقرء . وفي القربى ، وفي الرقاب ، وفي سبيل الله وابن السبيل ، ولا جناح على من وليها ان يأكل بالمعروف أو يطعم صديقا غير متحول مالا » .

أرابت كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر عمر بن
يحيى أرضه ، لينفق نتائجها فيما تنفق فيه أخماس الفئام .

وهذه الرواية تؤكد لنا أن النبي لم يزارع اليهود إلا على
الخمس الخاص بالدولة ، وعلى الأرض التي أخذت بدون حرب ،
والتي مالها لله ورسوله وماجها إليه . لا يجوز سريته على
معاملة الأفراد بعضهم لبعض لأن المصلحة هنا فردية .



إن هدى الرسول لا يتناكر ولا يضرب بمضه بعضا ، ولكن
الفقهاء يتناكرون وتضطرب آراؤهم ، فيحدثون بذلك جدلا فيما
لا يحتاج إلى جدل .

لقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم - وهم حضور بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم - هديه على صحته ، فقال رافع
ابن خديج حينما نهى الرسول عن المزارعة . - سمعا وطاعة .
وحينما بلغ عبد الله بن عمر نهى الرسول عن كراء الأرض انتهى
هما نهى منه الرسول ، ولم يبق منهم أحد يقول للرسول : كيف
تصنع ما تنهاها عنه ؟ ولم يكن الرسول يمتنعهم من المناقشة
والاعتراض ما دام رأيتهم الاقتناع .

فلو كانت مزارعة النبي لليهود تشريعا لمزارعة الأفراد بعضهم
بعض لما جاء عمر بن الخطاب يستأمر النبي صلى الله عليه وسلم
في أرضه التي أصابها في البلد التي حصلت فيه مزارعة الرسول
لليهود في خيبر ، ولو سمع أن يصنع بأرضه ما صنع الرسول في
الخمس الذي مال له للجماعة ، ولكن من أين للفقهاء ثقة عمر وفهمه ؟
ومن أين لهم فهم رافع بن خديج وعبد الله بن عمر ؟

اللهم إن الحكمة بينة ، والحجة واضحة . وذلك ما يتمشى مع
الروح العامة للقرآن .



وحصادنا من كل ما تقدم أن الإسلام يقر الملكيات الصغيرة .
ولا يقر الملكيات الكبيرة . فهو في تشريعاته يحرص على عدم تمكين

الفرد من امتلاك ما يريه عن طاقته . ويعيش عن حاجته . ويقتد
سلما متبعا أمام ملاك الأرض حتى لا يمكنهم من استقلال جهود من
لا أرض لهم . وبذلك يترك العامل في الأرض مطمئنا على جهده
سيعود عليه وحده دون أن يشاركه فيه أحد الا من أسهم معه في
الجهد المبذول .

وبذلك يرضى برعة التملك . ولكنه يصح جدا لهذه النزعة .
لا بعدد . ليكون المجتمع متواريا . والنفس متقاربا . ومجتمع
هذا تشربه لا يمكن أن تتضخم الثروة فيه عند فريق من الناس .
ويتضخم الفقر والاملاق عند فريق آخر كما هو الحال في النظام
الرأسمالي السائد في الغرب . وليس فيه أحقاد محفوق الفرد
وكيت بزعمه كما هو الواقع في النظام الشيوعي . وإنما هو نظام
وسط نمزه عن مساوي الشيوعية والرأسمالية . وحقيقة انه نظام
وسط . يصلح للامة التي جعلها الله وسطا بين المشرق والمغرب كما
يقول الله تعالى . « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » وفي هذا النظام لا ينوب
الفرد دوننا نهائيا لمصلحة الجماعة . ولا تنوب الجماهير دوننا
نهائيا لمصلحة الافراد . ولو ان المسلمين ساروا في حياتهم على
هدي رسولهم لما تسلفت اليها المذاهب الأجنبية . لأن القرآن أقام
لنا بتشريعاته حصصا متبعا يرد عما عاريات الأفكار المنحرفة والنظم
للحقيقة . ولو أننا طبقنا هدي القرآن تطبيقا عمليا فاني لست
شاهدا في الخيال اذا قلت : لكننا قبلنا أهل الأرض جميعا في الأكل
من الاقتباس من نظامنا وشربتنا . ولكننا تركنا القرآن وراءه
لهورنا حتى صارت حالنا . وأخذ الشباب وغير الشباب يتلمسون
المخرج في تفاريات الأفكار وسواها من النظريات .

إن الناس في البلاد الشيوعية رقيق لنظريات يريد الحكام
تطبيقها . وتلك النظريات تتنافى مع الميول والنزعات التي تزخر
بها النفس البشرية من حب للتملك . وشعور بالكرامة . واعتداد
بالنفس . وتكوين للأسرة . عدا ما فيها من حنين خفي الى المثال
والاشواق الروحية .

والشيوعية تلغي كل ذلك من حسابها . وهي تستطيع الغلب

ذلك لو أنها تستطيع خلق البشر خلقاً جديداً مجرداً من هذه
المشاعر التي جبل الله البشر عليها .

أما في الغرب فإن الشعوب وقيمتها لحيطة من المستغلي
والاحتكاريين . يفرضون الاحتكار والاستغلال بالحدود المسلح
واراقة السماء الزكية البريئة .

والشبيوعية والرأسمالية كلتاها مجردتان من الإيمان بالله .
فهم يرتكبون ما يرتكبون لأنهم لا يؤمنون ببعث ولا نشور ولا حساب
ولا عذاب . فأى رادع يردعهم عن ارتكاب ما يرتكبون ؟

والشيوعيون يصارحون العالم بالحادهم . أما دول الغرب
فإنها تحادح وبناتق في الحادها . تفريرا للباس . وإباء على
المصالح . ليتكلم المغفلون حولها في صراعها مع الشيوعية .



أما لسنا شيوعيين . ولا نحب أن نكون شيوعيين ، وكذلك
نحب لسنا رأسماليين ، ولا نحب أن نكون رأسماليين كالأفريقيين ،
ولكننا قرآنيون ، ونحب أن نطبق النظريات القرآنية الخاصة
بالاقتصاد في القرآن ، لئلا نكون رقيقاً لحضة من الباس ، ولئلا
نكون رقيقاً لنظرية منحرفة لا تمتزج بها جبل عليه الناس .

الطائفان والعائدين :

لقد مر بنا فيما تقدم قول الله تعالى : « والأرض مددناها
والتياء فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » ولما أن
المفسرين قالوا : « إن الحسن وعكرمة وابن زيد قالوا في تفسير
كل شيء موزون . أنه عني الشيء الموزون كالذهب والفضة
والرصاص والكحل والحديد » ولما يقول في تمام الآية : فوجعلنا
لكم فيها معاش ومن لستم له برازقي » وما دامت فيها معاش
للتناس فليس لأحد الحق في احتجازها عنهم وجاء في صحيح
البخاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « السجاء جبار ،
والنثر حبار ، والعائدين جبار » وفي الركاز الخمس « وحبار يعني

غير (١) . فكما أنه لا يجوز لأحد أن يحتجز ماء البشر فليس لأحد أن يحتجز المadden يعني متاجم المصادق . أما الركاز وهو الذهب المدفون ، أو العضة المفقودة ، أو ما في حكمها مما يائها ما دفن من زرع الجاهلية أى في المصنوع الفائرة فيه الخمس وأربعة أحماسها لمن وجدها . وقد كانت البقائن التي وجدت على عهد الرسول قليلة معدودة وليست هي كدفائن القرعنة ضحلة كثيرة يدلل ما جاء في الجزء السادس من المحلى لاس حزم « بحث على من أبى طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهبية في آدم مقروط لم تحصل من ترابها فقسها بين أربعة نفر عيية بن حصص ، والأكرع بن حابس - وزيد الخيل ، وذكر رأيا وهو علقمة ابن علاثة ، بهذا دليل على أن الذهب كانت شيئا قليلا محدودا حتى أن الرسول قسها بين أربعة نفر » أما الذهبية التي تحتوى على

(١) إن السياق في الحديث يوضح صناد الرأى الذي ذهب إليه بعض الفقهاء حينما قالوا : معناه أن من سقط في يتر أو الهالك عليه معدن مات معه هدر . لأن آخر الحديث « وفي الركاز الخمس » يوضح أن المسألة لم تكن مسألة تشريع حناش ، وإنما هي مسألة تشريع اقتصاصى ، إذ أن الموضوع موضوع ضريبة الركاز وليس هو موضوع جريمة وعقاب . فالعجاء هي البيهمة الضالة ، والبتر عام ، والمعلن ترو ، فالبيهمة الضالة والماء والمعلن لا حق لأحد فيها فهي جبار أى ملك للجميع وربما كان اختيار النبي صلى الله عليه وسلم للفظه جبار وعدوله عن لفظه هدر لحكمة . فلو وجد صاحب العجاء الضالة بعد التصرف فيها ، وجد المعلن في أرض مملوكة لشخص معلن ، وجد الماء كذلك في أرض مملوكة لأحد فيجبرون بشيء يجبر كسر نفوسهم لأن الإمام مالك يقول . من وجد في أرض معدنا منقطت ملكيته عنه . ولكن هذا لا يمس أن لا يأخذ قيمة أرضه فإن المعلن لا حق لأحد فيه وهو ملك الجماعة . ولكن صاحب الأرض يعبر بدفع قيمتها أى يموض وكذلك صاحب العجاء الضالة إذا عرف ، ومثله صاحب الأرض التي وجد بها الماء فيجبار مأخوذة من مادة جبر . والجبر أصلح الكسر معنويا أو ماديا . ومنه جبر الفقيه أى الغلب »

ثروة ضخمة فيكون حكمها للحكماء - وقد روى مالك رحمه الله عنه . - ان من ظهر في أرضه معدن فإنه يسقط ملكه عنه ويصبح للسلطان ، أى للجماعة مثل ماء البشر تماماً - وراى مالك هذا لا يتناكر مع قوله تعالى : « وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازفين » وقول الرسول : « المعدن جبار » كالجمجمة والبشر ، بل هو يتفق مع الروح السائمة في تشريعات القرآن من عدم الاكتناز ، وعدم الاحتدار ، والنهي عن الترف لتتقارب الطبقات ، وتحقيق العدالة الاجتماعية ، وهل يتحقق كل ذلك لو أن القرآن يبيع أحثكار المناجم لفراد أو لاهراد من الناس ؟ لقد رأينا المحتكرين وأصحاب الامتيازات يستقلون كل ذلك استغلالا مرهقا ويدون مالا ما داموا يحققون لأنفسهم مصالحهم وقدربهم على الاتساق للملاذم وشهواتهم وحياتهم للترفه التي يهوى عنها القرآن . ان بعض العتفاء - عفا الله عنهم - لا يستشعرون روح القرآن وأقوال الرسول فيتعولون في الأخطاء . وبعض المسلمين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون بالبعض الآخر . فيفسون في أخطاءه أشد . وليس الأخطاء يعنصر ضررها عليهم وحدهم اذن لهان الأمر . ولكن أخطائهم تصيب المجتمع بأضرار جسيمة . وبذلك يدعون العرصة للجاحلين بالاسلام ولأعداء الاسلام لمناحه لظن الاسلام واتهامه بالعمود والرجسية . وأنه دين قد استنعد أعراضه . وأنه لا يصلح للقرن العشرين . وما بعد القرن العشرين . كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، ان قول مالك رضي الله عنه حينما يرى : « ان من ظهر في أرضه معدن يسقط ملكه عنه . ويصبح للسلطان » إنما يعنى بذلك التأميم بلفظ العصر الحديث ، لأنه يفترض في السلطان أن حرصه على حقوق الجماعة ، لا كما هو واقع السلاطين والملوك والأمراء اليوم . وأن كنه نفجر بشيء فليس أعظم ولا أجدر بالفخر من القرآن الكريم ، لأنه شرع لنا تأميم الثروات العامة ومصادرها منذ أربعة عشر قرنا تمريسيا ، بينما الأمم الأخرى لم تشعه إلا متأخرة جدا . فهي لم تشعه إلا في أواسط القرن الذى نعيش فيه .

وأنه لما يعنى في المتفص أن يكون للمسلمين مثل هذه الآيات البينات ، ومثل هذه التشريعات المحكمة العادلة الرحيمة عند

أربعة عشر قرناً من الزمان . فيجعلها المستولون عنا وألقابهم
على أئمة أمورنا ، ويمتدحون - قديماً وحديثاً - سير الملوك في
عصور الجاهلية ويمتشقون عيشة ملوك فارس ومبررات الهند
وقراعنة مصر ، ويعيدون سيره المادرة والتباينة ، ويبدعون ثروات
بلادهم في الملاذ والمهازل ، ويجعلون بلاد المسلمين عورة ، ونار يخ
المسلمين وصبة ، ويدعون كل ذلك بوصف به الاسلام - والاسلام
يرى منهم ومما يعملون - ثم تنخلع قلوبهم فرعاً لقوله الحق إذا
جهر أو همس بها قائلها - وهم على ما هم فيه من انحراف عن
الحق ، واغراق في الباطل ، وانمصاص في الترف ، واعتناء على
الحقوق يخلون شعارات الاسلام ، ويرعون التمسك بالقرآن
والسنة ، ولا يتلون قول الله وهو يخاطب أحد أنبيائه « يا داود
إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق » ولا تتبع
الهيوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم
عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » ولا ينصتون لقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم
يموت وهو غاشي لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » وفي رواية
« لم يجعلها ينصحه لم يجد رائحة الجنة » وقوله صلى الله عليه
وسلم « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ،
ومن ولي من أمر أمتي ففرق بينهم فارقه به » وقوله صلى الله عليه
وسلم « من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم
وخلعتهم وفرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وقره يوم القيامة »

هذه شعارات الاسلام الصحيحة فهل هم يسرون في الناس

يسيرتها ٩

إن الشعارات القرآنية ليست لحى مسجلة ، وعمائم منصوبة
كشواهد القبور على رؤسهم وليست المساويك والمسابح . ولكنها
الصل لمصلحة المسلمين ورعايتهم ، والعدل في أحكامهم والعدالة في
أرزاقهم . - بحيث يصبح المجتمع الاسلامي مجتمعاً قوياً ، غنياً ،
سعيداً ، سليماً نظيفاً ، وعالمياً ، مستتراً ، متمديناً ، لا مجتمعاً
تهدأ المجتمعات الانسانية من جموده وتأخره ، وفقره ، وجهله ،
ومرضه ، وضعفه . ويستعين به أعداؤه ويسلطون على حوزته ،

وينقصون من أطرافه ، ويشردون إبنائه ، ويحتلون مساكنهم
 وديارهم ويسكنون بها مشردى العالم - فيهدون أمتنا ومقدساتنا
 ويشرفون على تخومنا اشراف الذئب على الغنم الضالة - كما هو
 موقفنا الآن مع اسرائيل وبريطانيا وفرنسا وأمريكا وغيرهم .



العروب وغنائمها :

أمرنا الله تعالى بترك الناس أحراراً في معتقداتهم وأديانهم .
 وليس لنا أن نكره أحداً على اعتقاد معتقداتنا أو التدين بديننا .
 فحرية الناس مكفولة مقدسة واجبة الاحترام . في القرآن الكريم
 يقول تعالى : « لا أكره في الدين قد تبين الرشد من الغي » ويقول
 « قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى مسبيلاً »
 ويقول « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » إلا من
 قوى وكفر .

هذه الآيات البينات فيما يختص بالحرية والامسحة بمسطة
 لاعتقيد ولا التواء ولا ليس فيها . وأمرنا جل جلاله بالوفاء باليهود
 والعهد فقال تعالى : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً » فيجب
 أن لا ننكث بعهودنا مع من تعاهدنا معهم أياً كانت أديانهم أو
 أديانهم . أو أجناسهم - وآية ذلك قوله تعالى : « إلا الذين عاهدتم
 من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا
 إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين » وقوله : « إلا الذين
 عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله
 يحب المتقين » .

ونهاى الله عن سفك الدماء ، وقتل النفوس البريئة ، قال
 تعالى . « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » ومن قتل
 مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان
 منصوراً ، وأمرنا الله بمعصية العدوان على أحد فقال تعالى . « ومن يتعد
 حدود الله فأولئك هم الظالمون » وقوله . « ولا تعقلوا إن الله لا يحب
 المتعدين » إلى غير ذلك من الآيات التي تنهى عن العدوان . هذا

عدى قرآنا في حسلاتنا ببعض وسوء أكانت الصلات فردية أم
 دورية فإن الحكم فيها واحد ، لنعيش مع العالم في أمن واستقرار
 وسلام ، ونقيم تعاملنا مع الناس على أساس من الشرف والأمانة
 والحب والصدقة ، واحترام المشاعر الانسانية ، وتطبيق المثل
 العليا لأن الله خلقنا شعوياً وقبائل لتتعارف لا لتتناكر ويضرب
 بعضنا رجوع بعض .

ولذلك أمرنا الله أن ندعو الى خير الاساتية بالحكمة واللفظ
 قال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة ولذعظة الحسنة » وأن
 ندع الى السلم يقول تعالى : « وإن حنحووا للسلم فاجب لها » .

وعليها أن لا نجادل أهل الكتاب الا بالحسنى « ولا نجادلوا
 أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » .

ولكن الله الذي جبل البشر قد علم أن البشرية تأتي الحياة
 تعرف عليها اعلام الأمن والاستقرار والمحبة والتعاون ، لأنها
 لا تخلو من دوى الفسوس الشريرة الذين لا يسره الا أن يفرقوا
 البشرية في بحر من المناء والفساد والحرب فينبهوا الأحفاد
 والبغض والطمع والجشع في القلوب . ويؤدي ذلك الى العدوان
 والحروب . فقال لنا الله في محكم كتابه : « ممن اعتدى عليكم
 فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » وأمرنا سبحانه بإعداد العدة
 لرد العدوان في كل عصر بما يلائمه فقال تعالى : « وأعدوا لهم
 ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » .

فإذا كان هذا العصر يقتضى أن تكون عدة الحرب الطاسقة
 الذرية والهيروجنية والأقمار الصناعية فعلينا أن نعدّها .

ولكن الكهنوت الدينى الذى قام فى مجتمعاتنا منذ امد طويل
 حرم علينا تعلم كثير من الفنون والعلوم حتى أصبحنا فى مؤخره
 الناس .

ان الله الذى يقول لنا : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »
 لا يمكن أن يحرم علينا تعلم أى علم نصل به الى القوة والمنعة لنفيل
 كياننا ورد العدوان عما . ولعل ما وصلت اليه حالتنا يكون عظة

لنا . ولاتمتع الجامعين والرجعيين ممن يقال لهم - فورا وبهاتنا -
علمه الدين .

ان الدفاع عن النفس يقتضي الحروب لحفظ كيانتنا
والاحتفاظ بحدسنا وديارنا واعراضنا . ولذلك شرع الله لنا
فقال . « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » . وعسى ان يكرهوا
شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان يحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم
واستم لا تعلمون » . يعلمونك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟ قل
قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج
اهله منه اذير عند الله وابتغى اكبر من القتل ولا يرالين يقاتلونكم
حتى يردوكم عن دينكم ان استنظعوا ومن يرد منكم عن دينه
قيمته وهو كافر فاولئك حطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون » نعم لا بد لنا ان نقابل من يقابلنا
ما دام المعتدي يكرهنا على خوص حروب ما اشعلناها ولم يرد
اشعالها ذلك حكم الله وحكمته لتعيش في ديارنا امرة احرارا .
نشر يا اديتنا وسنمتع بعم الله انتي اناها علينا ، اما من
اراد استلابها منا . فليس له عندما غير القتال - فليعد للقتال عدته
ان كنا مؤمنين بكتاب الله . ومن عدت القتال ان نتكلم وان نتحدث .
ونقف صفا واحدا امام اعدائنا ، ولذلك يهانا الله عن العرقه بقوله
تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم
البينات واولئك لهم عذاب عظيم » ويقول . « ولا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ويحكم » .

فان الذين يسعون الى الفرقة ، والذين لا ينصرون تحت لوا
الوحدة يكونون كالذين عناهم الله بقوله : « كالذين تفرقوا
واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم » وزيادة
على العذاب يفشلون وتذهب ويحكم .

فاذا جعلنا اعدائنا بعدوانهم علينا مصطربين لخوض غمار
الحرب ضدهم ، حضاهم دفاعا عن اديتنا وحقوقنا ومقدساتنا .
فمن نكث عهودنا قاتلناه . يقول الله تعالى : « وان نكثوا ايمانهم من
بعد عهدهم . وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم
تعليم ينتهون الاتقاتلون فوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول

وحسب بداؤكم أول مرة اتخشوهم فإِنَّه أحق أن تحشوه إن كنتم
 مؤمنين ، قاتلوهم يصدبهم الله بأيديكم ويخزهم ويصركم عليهم
 ويشفع صدور قوم مؤمنين ، ومن قابلنا فإتلاء ، يقول الله تعالى .
 « وقاتلوا في سبيل الله الدين يعانولكم ولا تمتقوا إن الله لا يحب
 المعتدين » وقد وصع رسول الله آداباً للحرب ووصايا أوصى بها «
 فقد كان عليه الصلاة والسلام إذا أمر أمراً على جيش أو سرية
 أوصاه في خاصته بتعوى الله ومن معه من المسلمين حراً ويقول
 « أقرؤا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، أغروا
 ولا تغلوا ولا تغربوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً » وإذا لقيت
 عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال : فأيتهم أجابوك فاقبل
 منهم وكف عنهم - ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار
 المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، فإن
 أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ،
 ولا يكون لهم في النسبة والقي شيء إلا أن يحاربوا مع المسلمين ،
 فإن هم أبوا فسلهم الجزية - فإن هم أجابوك فقبضل منهم وكف
 عنهم ، فإن هم أبوا فاستمسك بالله وقاتلهم ، وإذا حاصرت أهل
 حصن فأرادوك أن تجعل لهم دعة الله وذمة بيته ، فلا تجعل لهم
 دعة الله ولا دعة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك .
 فإنكم إن يخفروا ذم أصحابكم أمون من أن تخفروا دعة الله وذمة
 رسوله . وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله
 فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك ، فأمت لا تسرى
 أنصيب حكم الله فيهم أم لا » - هذه وصايا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم للمحاربين ، وإنها لو صايا إنسانية عالية ، يأمر
 الرسول الجيوش باحتساب المبالاة (أو الاحتلاس) ، والفدر .
 واجتناب قتل الأطفال ، وبالتسامح مع الأعداء ، فأى شيء يختاره
 الأعداء مما يعرض عليهم يجب اجابتهم إليه - فليس الغاية من
 محاربتهم شهوة في الانتقام أو نزوة تنفع للاعتداء ، وكل ما يرباد
 من محاربتهم رد عدوانهم ووقفهم عند حدهم لئلا يظن بالمسلمين
 الضعف أو الخوف أو الاستخذاء فإذا حق لنا عليهم النصر أصبح
 أموالهم ودمائهم بين أيدينا وتحت تصرفنا . فما هو هدى القرآن
 في ذلك ؟؟

ان القرآن الكريم يقول فيما يخص بالأسرى : « فإذا لقيتم
 الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى إذا اثبتتوهم فشدوا الوثاق
 فإما من بعد فإما فداه حتى تضيق الحرب أو رارها ذك ولو بشاء الله
 لا تنصر منهم ولكن ليلو بعصمكم بعض وأنسدي قتلوا في سبيل
 الله قلى يصل أعمالهم » - هذا هو حكم الله في الأسرى ، أما إطلاقهم
 ما عليهم وقربى إلى الله تعالى وحرمنا على مكارم الاخلاق التي يدعو
 القرآن دائما إليها ، وإما أن يعتدى الأسرى أنفسهم بالمسال ، أو
 يعتدى أسرانا الذين بأيديهم بأسراهم الذين هم بأيدينا . وهذه
 الأخيرة هي : « المعاملة بالمثل » التي يتعامل بها كل المتحاربين .

ومن كان يحسن الفروخ والكتابة فيكن أن يعتدى بعصه
 بتعليم عشرة صبيان العرارة والكتابة ، كل ذلك فعله رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدون من بعده .

أما قبل الأسير فلم يحدث الا عند اقتضاه المصلحة العامة .
 ومع ذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أمر بقتل النصر
 ابن الحارث بعسد أسره في غزوة بدر يكنى حتى اخضعت لحيته من
 الدموع حينما سمع قول ابنة الحارث وهي ترنى أباه ، وتخطب
 الرسول بقولها :

أحسبه ولأنت نسل بحيفة

في قومها والفعل فعل بعرق

ما كلن شرك لو مننت وربما

من الفتى وهو المنيف المحنق

وقال : « لو بلغنى هذا الشعر قبل قتلته لمننت عليه » -
 ولم يقتل النصر ولا غيره لأنهم أسرى وإنما قتلوا لجرائم أخرى .
 وما كان لمناء الأمة أن يجمعوا على علم قتل الأسير لولا أن ذلك
 هو هدى الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعذيب الأسير ،
 ولا بالتمثيل له ، فقد أسر في غزوة بدر سهيل بن عمرو العامري
 وكان خطيبا موهبا ، وكان حريا على رسول الله ودعوته - فقال
 عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

دعنى أنزع ثيبي سبيل بن عمرو ، فلا تقوم عليك حطيا من موطن
أيضا . فقال الرسول الكريم : « لا أمل به فيحصل الله تعالى بي »
وإن كنت نبيا ، وعسى أن يفهم مقاما لا ندعه » .

بعد أسلم سبيل ووقف مدرته اسطابية على نصره الحق
وقام مقاما محمودا عندما حصل الاضطراب بمكة لوفاء الرسول
عليه السلام . . .

ولم يحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم إسلام الأسرى .
فقد بات عليه السلام ساهرا قليل ما سهرك يا رسول الله ، فقال
« لا بين العباس » فقام رجل وزخى وناق » . وفعل ذلك بالأسرى
كلهم . « ومن بلال بأمرأتين يهوديتين أسرا بعد القتال تيكيان على
القتلى وكان فيهم أقرباؤهما فأخذت أحدهما تصرخ ، وتحتو التراب
على رأسها فقال الرسول لبلال : « أترعت منك الرحمة يا بلال حتى
تمر بأمرأتين على قتل رجالهما ؟ » وكانت אחتي الامراتين صغرة
أم المؤمنين التي تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد أطلق الرسول كثيرا من الأسرى منا بلا فداء ، ولم يقتصر
صه صلى الله عليه وسلم على العرب ، بل شمل غير العرب ، فقد من
على بنى قينقاع وهم يهود وكانوا سبعمائة رجل غير سباهم
وأطفالهم ، مع أنهم كانوا يتبعون ويقولون للرسول : لا تظننا
مثل قومك ، أنا والله لو جازناك لتعلمن أنا نحن الناس » ومسح
تبعهم هذا نكتوا المهد التي عمده رسول الله صلى الله عليه وسلم
سهم ، وانتهكوا محارم المسلمين . فلما أظفر الله نبيه بهم ونزلوا
على حكمه من عليهم وأعفاهم من القتل والأسر ، فلم يشاموا بمد
ذلك المقام بالدينة وجعلوا عنها .

وقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على أهل
مكة ، وقال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ولما انتصر على هوازن من وقعة حنين استأني صلى الله عليه
وسلم على الكسبي بضعة عشر يوما لمل أحدا من ذوي النسب
والذواري يستشفع فيهم ، فلما لم يأت أحد قسمهم على المجاهدين ،
ثم بعسده قسمتهم جاء رجال من هوازن - قد أسلموا - فسالوا

الرسول رد أموالهم وسائرهم وأثاثهم فقال لهم الرسول قد وقعت المقاسم موافقها فأي الأمرين أحب اليكم أطلب لكم السبي أم الأموال ؟؟

فاجتاروا بينهم وابتاعهم فقام رسول الله خطيبا في الناس قال . أما بعد فإن أخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين واني قد رأيت أن ارد اليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل . ومن أحب منك أن يكون على حظه حتى يعطيه آياه من أول ما نفي الله علينا فليفعل . أما ما كان لي ولبنتي عبد المطلب فهو لكم . - يخاطب المستشفعين - فقال المهاجرون والأنصار - رضى الله عنهم ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وتأنسهم من بقى من الناس .

ومى غزوة (المريسع) بعد أن انتصر المسلمون ، واستأفوا الأسرى والقنائم قسمها رسول الله بين أصحابه ، ثم تزوج عليه السلام جويرة بنت الحارثة سيد بنى المصطلق . فلما سمع الصحابة بزواجه عليه الصلاة والسلام منها قالوا . أصهار رسول الله . واعتفوا من كان بأيديهم من الأسرى رجالا ونساء وأطفالا .

فنحن نرى من على القرآن ، وعلى رسول القرآن أن الأسرى لم يكن الا لضرورة أفلتها حاله الحرب ، لئلا يطعم الأعداء من المسلمين ، ولئلا يبدو المسلمون في أعين أعدائهم عديمي البصيرة والعزم في مثل هذه الظروف . " وهو إجراء واجب الاتباع ، لقوم يكتسبهم الأعداء ، والمتحصنون بهم من كل مكان فلا بد من الحرز في أوان الصراع .

ولا نشتم من هذه المعاملة أية ارادة لاسترقاق النفوس واستعبادهم ، كما رأينا في تاريخ الأمم الشرقية والغربية ، فإن هذه المعاملة من المعاملة التي كانت متعارفة في الحروب الماضية ؟؟

ومع أن ضرورة الحروب المستعجلة بين المسلمين وأعدائهم تجعل هذا الإجراء ضروريا فإن الروح الانسانية الرحيمة كانت هي الطابع البارز في معاملة الافراد والجماعات . فقد كان الرسول يوصى بالأسرى خيرا . فمن أسلم أخرجه إيمانه من الأسر . " ومن

علم عشرة من غلمان المسلمين خرج من الأسر . ومن التفتى نفسه بشيء من المال خرج من الأسر . وعلى اسيرهم في حالة أسرهم اطعامهم وابدانهم وبعثتهم من الرد ، وعلم اوضاعهم بالعمل ، وعلم اشعارهم بالامتنان والعدل . ويستوى في كل ذلك الاسرى من العرب ومن اليهود ، ومن النصارى . ومن غيرهم بلا محاسبة . لأن القاعدة التي يعامل الناس على اساسها قول حه تعالى : **وَبِأَيِّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَكُمْ ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بقوله (اظلموا الجائع وفكروا العاني) والعاني هو الأسير فهو يطلب منهم فكاهة .

اذا فالأسير لم يكن الا اجراء مؤقتا ، اقتضته ظروف الحرب وضرورة الكفاح ، والدليل على ذلك تبشير الاسرى بشفرة الله لهم ، وتزيتهم فيما أحد منهم من مال لاقتناء أنفسهم من الأسر ، ماداموا قد انتهبوا عن الشر والخيانة ومحاربة الله ورسوله ، يقول الله تعالى : **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جُلِّ لِي فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْآسِرِينَ إِنْ يَعْظُمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرٌ يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** . وكما ان الله يأمر نبيه بتبشير الاسرى الاخيار بالمفرة وتوضيح عما اخذ منهم فان الله يسوعد الذين ما زالت تنطوي قلوبهم على الخيانة والقدور ، يقول الله تعالى . **وَإِنْ يَرَوْا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ويقول تعالى : **وَقُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ** . وان يعودوا فقد حطت مسنة الاولين .

هذا هو الله ورسوله فيما يختص بأمرى الحروب . لا اذلال ولا ارهاق ولا استرقاق ولا اهدار للأمية ، ولا غسوط للمواهب والملكات الانسانية ولا اعتبارات مجتفة نصلهم آلات حية مجردة من ألهم والتمييز كما يقول أرسطو وغيره من الفلاسفة المنحرفين .

ونكتفي الآن بهذا القدر . وسنعود الى الموضوع في مكانه زائما اثنين بهذا لاقتضاه السياق . أما هو الله ورسوله فيما يختص بالفنائم من مال وعتاد واثاث وماشية وأنعام وملابس وطعام

فقد بينه الله تعالى بقوله : « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله حصة » والرسول ولدى القريبى واليسارى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان . يوم التقى الجمعان . والله على كل شيء قدير . غالغمتهم الله ورسوله وما كان لله ورسوله فهو ما يصرف على الدولة ورئيسهما . وللمحتاجين وللأضياف . وأربعة الاحماس الباقية تقسم على المجاهدين . للمفارس سهران أو ثلاثة اسهم بحسب الظروف والأحوال . ولغير المفارس سهم واحد . والملاحظ فى التشريع الإسلامى فى كل ما يحتص بالثروات وتوزيعها فيما رأينا مما سبق . وهما منبرى فيما مياتى بيانه . انه يجعل فى المندبة الصرف على مرفق الدولة ، والصرف على المحتاجين والأضياف ، حتى لا يحرم فقير ولا مسكين ولا يتيم ولا غابر سبيل من نصيبه فى المال العام ، والا تهمل مرفق الدولة فى كل زمن بما تقتضيه المصلحة .



التجارة والصناعة والزراعة :

وقد أباح القرآن الكريم العمل لاكتساب المال ، وتعميته للفرد وللجماعة عن طريق التجارة والصناعة والزراعة . بل حث عليه . فقال تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » وذكر الله فى شتى الأعمال يعنى الضمان فلا يغشى التاجر فى تجارتها ولا الصناع فى صناعته ، ولا الزارع فى زراعته ، ويؤدى كل عمله وفليه يلهم بذكر الله . ومن يحش الله يتش حرمه ، ويؤدى عمله على الوجه الأكمل . وحله فى الأثر . « إن الله يحب عبده المحترف » . والله يحب من المرء اتقن عمله .

فليس لأحد أن يحتكر التجارة ، كما أنه لا يجوز احتكار صنف لمستجرة فيه ، ومنع الغير من المتاجرة فيه ، وما ينطبق على التجارة ينطبق على الزراعة والصناعة . فكل من يتقن عملا من الاعمال التجارية أو الصناعية أو الزراعية ليس لأحد منعه من مزاوله ما يتقن . إلا ما كانت مزاولته عملا حثيا عنه شرعا ١٠٠

والشريعة الإسلامية لا تنهى عن عدل إلا حرصاً على مصلحة المجتمع وسلامته ، وسلامة أفرادهِ من الفساد والانحلال والأمراض والأرثية ، وقد أقاضت كتب العمه فيما يحل وما لا يحل العمل فيه والأنزاق منه ، فليرجع إليها من أراد التوسع في ذلك .



التورث :

وأحل الله الإرث ، ونظمه تنظيمًا دقيقًا رائعاً ، فمن مات عن ثروة قلنديه أن يرثوه بالأسهم والرتب الموصفين في القرآن . مما لا يتسع المجال هنا لتبسيطهما ، والتي يهمنا في بحثنا أن تقسيم الموارث في القرآن لا ييخف بالثروة كما تفعل النظم الأخرى ، حتى في العصر الحديث فإن بعض النظم الغربية تحصل للولد الأكبر كل ما حلقه له أبوه من ثروة ، ونصها يميزه عن غيره بأشياء كثيرة حرصاً على الإنصاف واللقب . وبذلك تبقى الثروات مجتمعة في أيدي طبقة محصورة من الناس ، ويصاب المجتمع الذي يتخضع لهذه النظم المصححة بضرر بالغ .

أما نظام الورثة في الإسلام فهو يفتت الثروة حتى لا تكون دولة بين الأغنياء ، ويعمل في القسمة بين الوارثين ، بل ويجعل لقرابة الميت من لاحق له في الإرث ولليتامي والمساكين من غير ذوي القرى نصيباً من الثروة الموروثة . يقول الله تعالى : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه » .

ذلك هو نظام الإرث في القرآن . وهو لا يعمل شأن الفقراء واليتامى والمساكين والضيوف والأرقاء وكل أصناف المحتاجين ، ويذكرهم ويذكر الناس بالبر بهم . وعدم حرمانهم ، لئلا تنسوه حالتهم في المجتمعات التي يعيشون فيها ، لتصبح بحق مجتمعات إنسانية مشرفة .

ونخلص من بحثنا المتقدم بأن الامتلاك لا يكون في الأشياء الضرورية لحياة الناس كالماء والهواء والكبلا والوقود . ولا يجوز

امتلاك مصادر الثروات كالمناجم والرحرة والثروات العامة التي خلقها الله لتكون معاشي لعباده .

وليس لأحد أن يمتلك أرضاً يعجز عن بيعها جهده ، أو تقيص عن حاجته ، ولا يجوز بعد ذلك اغتصاب حقوق الغير -

وبما أن يمتلك من الأرض ما ينسج لجهدها ولسد حاجتنا .

ولنا أن يمتلك بالعمل والاحتراف بكل أنواعه من زراعة ، وصناعة ، وتجارة ، وغيرها . وأحلت لنا المعائن في الحروب كما ييسها الله تعالى في كتابه ، وكما سبها الرسول الكريم لنا بسنته ولنا أن يمتلك بالأثر التبرعي كما أوصى الله ورسوله .

ذلك هي حقوقنا في الامتلاك . أما أبور الاشياء التي لا يصح أن تكون وسائل مشروعة لاحرار الحق فهي كالآتي -

الربا :

لقد حرم الله عليا الربا لما له من الآثار السيئة في المجتمع الاساسي . ومن أسسوا آثاره اشغال بار الحقد والضئينة في الصلوة مما يسبب نتائج فاجية ، سواء أكانت تنزل هذه الفجائع بدافع الربا أم بآكله أم بالمجتمع الذي يعيش فيه المريقان . أن آكل الربا اسنان تجرد قلبه من كل معاني الرحمة والشفقة . ومن كل شعور اساني . فهو يقسو على المحتاجين من أبناء مجتمعه ، ولا ييسالي بالكوارث التي تنزل بهم ويأسرهم وفيهم الأسنان والنساء . فهو لا يهمل إلا المال وتنميته وملء خزائنه به ، ولو كانت على الأقتاض والاشلاء وخراب الديار . ومن سجايا الربابي البخل والكرازة والقسوة والفسح والغلظة والاستهتار بالمثل الانسانية العليا . وإذا تفحصت هذه الصفات في أمة تفشت فيها كل المؤبقات التي تضر ولا تنفع ، وتهم ولا تبني ، وتفرق ولا تجمع ، إذ ينمى فيها التعاون والتراحم . وتنجلي الشوائب الطيبة كالمرورة والنحة والشهامة والخفة واللوامسة والرحمة وتعود الانسانية الى جاهليتها الأولى ويبرد الوحش ، ويختفي الانسان . وما جاء القرآن الا لواء

الوحش وقتله . واطهار الانسان وعصره . ليستمتع الاتعميون
بأنتميتهم . ويحبوا في رحاب انسانية كريمة كلها رخاء . وكلها
نماء وكلها سر وحب وتعاون . لا لأجل أن تعوض الانسانية في
الوحل . معرفة للاطعام والاشباب . تلك عاقبة الربا . ليست له
نتائج غيرها ! ألم تر أن للرأبي كان يستمتع استرقاق من حجر عن
الوجه بدينه ؟

لقد حرم الله الربا . وأكد تحريمه بنسب الآيات . وبمحتلف
الأساليب فقال تعالى : « يحق الله الربا ويربى الصدقات وانه
لا يحب كل كفار أثيم » . « الدين يأكلون الربا لا يقومون الا كما
يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » . ذلك يأثمهم قالوا انما البيع
مثل الربا . وأحل الله البيع وحرم الربا . فمن جاءه موعظة من ربه
فاتتهى فله ما سلف . وأمره الى الله ومن عاد فاولئك أصحاب النار
هم فيها خالدون . يحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب
كل كفار أثيم » .

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وددوا ما بعى من الربا ان
كنتم مؤمنين .

ان لم تعملوا فادنوا بحرب من الله ورسوله وان يتم عليكم
رموس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة منقرة
الى ميسرة . وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون . واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » .

يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة . واتقوا
الله لعنكم تفلحون . واتقوا النار التي أعدت للكافرين » .

« قظلم من الدين حادوا حرما عليهم طيبات أحلت لهم
وبصلحهم عن سبيل الله كثيرا » . وأخضع الربا وقد نهوا عنه وأكلهم
أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما » .

« وما أتيتكم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله
وما أتيتكم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضضون » .

ذلك هو حادى الله في الربا .

ولذلك يقول الاستاد سيد قطب في كتابه « في ظلال القرآن ج ٣٠ » : « فما يعيش الإيمان والربا في قلب واحد ، فاما أن يكون إيمان فهو الخوف من الله واتقائه وعينه ، وتجنبه حربه . واما ألا يكون فهي الحرب اذل من الله ورسوله للكافرين » . ثم يقول « وهي خطيئة نفسية - يعني الربا - وخطيئة اجتماعية في كل وقت وكل مكان ، خطيئة نتج آثارها في مشاعر الأفراد وفي كل أخلاقهم وفي تصورهم للحياة ، ونتج آثارها في حياة الجماعة وعلاقاتها الاجتماعية ، ونتج آثارها في حياة الاساية كلها » .

وسيد قطب حينما يقول هذا فهو اما يقول الواقع الملموس فإن ديلات الاستعمار التي نزلت بالشعوب المستعمقة لم تكن الا عن طريق الربا واغراقها في ارباحه المتكررة بتكرار الأعوام . بل ان ديلات البشرية كلها وحروبها المستمرة لم تكن الا من شهوتها في ارباح الربا المتصاعدة . فالنظام الاقتصادي الذي لا يقوم الا على الربا كان وما زال من أكرر الأسباب المؤدية الى القلق والتوتر ، وتفساد العلاقات بين الناس ضعيفهم وقويهم على السواء . لأن هذه العلاقات خلت من كل عاطفة اسيابية حرة . وقد دامت البشرية في حاضيتها الطويل ذل الاسترقاق والاستعمار عن طريق الربا . وبس الناس والمخائف والويلات العديدة والاجماعية التي الكثير . ان الله لم يشرع للبشرية الحلال والحرام في جميع مشاكلها وشئونها الا لسعادتها . لذلك احتفل القرآن بالنظام الاقتصادي احتفالا كبيرا حتى نقاه من كل الشوائب ، وطهره من كل أنواع الفساد ، لأن القلق البشري في الأفراد والجماعات لم يكن الا وليد الفساد الاقتصادي ، فاما سلم النظام الاقتصادي من تسرب أسباب الفساد اليه . سلمت النفوس من تسرب القلق والتوتر اليها . وبذلك يسود السلام على العالم بآمنه » .

المير :

والمير مثل الربا في نتائجها الضارة التي تصيب الأفراد والجماعات ، فهو حمار الحقد والشفقة بين المتلاعبين ، والمتمرد لا يسمعه الا أن يحقد على قاهره . وهل وراء هذه اللصبة الملعونة الا

سديد الاموال فيما لا يؤدى الا الى نزول الفحائش والمآثم بالمجمعات
لامنة .

لقد واينا قيعا مر بنا ، وما زلنا نرى أن المقاسرين اذا فقدوا
اموالهم قاموا بأنفسهم واولادهم وورثاتهم ، أو اسلموهم للوث
سوعا وحرمانا ، أو اتحدروا بهم الى الرق فى أبشع صورة .

لقد حرم الله الخمر كما حرم الربا ، فقال تعالى : « إنما الخمر
والميسر والأصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم
تفحشون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى
الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون .
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا ، فإن توليتم فاعلموا إنما
على رسولنا البلاغ المبين » .

وهل أنين من هذا البلاغ ؟ فالميسر رجس ، والرجس العمل
القبيح الذى يستنكف الاسمان الكريم أن يزاوله ، وهو من عمل
الشيطان ، وهل الشيطان الا عتو الاساس ؟ وراثة العدو بعباده من
أقصى الارادات وأشد ما ايلما . ان الشيطان يريد ايقاع العداوة
والبغضاء بين الناس ، وهل وراء العداوة والبغضاء غير المآثم
الدامية ، والعجائب المريعة ؟ والله يحطونا من كل أولئك ، فإن لم
ستمع الى تحذير الله فلا تلوم الا أنفسنا - لقد بهرنا الله بالأضلال
التي تتجهم عن ذلك ، وحرمة علينا ، وعلينا أن نختار . والانسان
الذى أودعه الله عقلا - يتبين به الضار والنافع ويميز به بين الخير
والعيب - لا يختار الا ما فيه صلاح أمره فى دينه ودنياه ، الا اذا
طمس الله على بصيرته ، وأثقل قلبه عن سلوك الصراط المستقيم .

الرشوة :

ليس اتصد للتم ولا أقتل للضمائر مثل الرشوة . واذا
سئلت النعم ، وماتت الضمائر فلا يرتجى عمل من قاض ، ولا
صفة من حاكم ، ولا تورع من مبطل عن ارتكاب ما تملى عليه نفسه
الخبيفة . وكما اغتصب عقابا ما كان ليتنصب من أصحابه لولا
الرشوة ، وكما شرحت أمر ملتزمة السمسلة لفرقتها بالرشوة ،
وكما سجون اكتظمت بالأبرياء ، وكما أعراض انتهكت ، وكرامات

أهدرت بسبب الرشوة . ان الرشوة تدعو الى عدوان المعنى على
الفقر ، واستخفاف الحاكم بشأن المحكوم . ان الرشوى والمرئى
والساعى بينهما انما هم اداة تعطيم للمثل العليا ، وتعسير للمقومات
وتعديدها وقبولها وتعارف الناس عليها انما يدل على التجرد من
الشعور باحترام نفسه واحترام حقوق الغير وهذا هو هدى الله
ورسوله في الرشوة قال الله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم
بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس
بالإثم وأنتم تعلمون » . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (لعن
الله الرشاش والمرئى والساعى بينهما) فالرشاش خبيث ، والمرئى
أحيث ، والساعى بينهما عقر للحمت والحجابه مشجع لها في
المجيب . وصير كمن تشجيع الفاحشة والمفكر ، فلا ندع اذا أخرج
الثلاثة في رحمة الله ، ولستمحقوا لعنته وعقابه .



مد تكون الرشوة لايسه ثوب الهدية ، وقد تكون لابسة ثوب
المأذية التي يدعى اليها الناس ، وملعو الشرف فيها المرئى ، وقد
تلبس الرشوة ازياء مختلفة كالرفد والهبة وما شاكل ذلك من
الأردية التي تعش بظنرها الناس . فيستبجسون بها لايعصم على
رعوس الاشهاد . وقد تكون أردية الرشوة أردية فاسدة دايرة
كاللبالي الحمراء التي يقيسها صاحب الفرص للحكام وأشياء الحكام .
كما هو واقع بعض المجتمعات اليوم . وكل ذلك لا يقره دين ولا
خلق ولا عرف .

والقرآن لا يحرم ذلك قائما يحرمه صيانة للمجتمع من العبث
بالحقوق والواجبات . وحفظا من تقش الزور والبهتان ، وتقية له
من الاعتداء على الأموال والأعراض والديار ، وحرسا على عدم اختلال
موازين العدل والعدالة . ليكون المجتمع سليما صحيحا نظيفا من
الافذار .

الاحتكار :

احتكار الأوراق ومصادرها ظلم للاستياية ، ويضى عليها .
وامانة لها . وقد مر بنا انه ليس لأحد الحق في احتكار الأرض

• المناجم ، أو أى مصدر من المصادر للزروع • ومن هنا قول رسول الكريم في شأن الارض • من كانت له ارض فليزرعها • فليمنحها احاد • وقوله صلى الله عليه وسلم فيما يخص بالمعادن اعطى حار • كل ذلك فيما يخص بمصادر الارزاق • وقد جرى عليه السلام على بيع الماء والملح •

اما فيما يخص بالاعشار في الارزاق فالاعشار خلاف مباح لكل الناس في جميع الاشياء المحلل بيعها • اما احتكارها فهو المظن هو البهي • لان المحتكر يمنع الناس من اقواتهم وملاصقهم وما هم في حاجة اليه وما لا عى لهم عنه الا نالهم الذي يرضى به • يصبح جسمه • وحينئذ لا يستطيع شراءها الا الأغنياء القادرون على ذلك • وذلك هي السوق السوداء المظلمة التي لا يستطيع سلوكها عامة الناس • وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم • ينس العبد المحتكر ان ارحم الله الاسمار حزن • وان اعلاها نرح • وقال • لا يحتكر الا خاطي • أي عاصي آدم •

ان المحتكر كلما رأى يصيبه احتياج الناس لما في يده • يستغلهم أقدر استغلال وأخطه وشنعه فيقضي حيث يعجز الناس ، ويشيع حيث يجوع الناس • ويكسى حيث يعرى الناس • ويسعد حيث يشقى الناس • وليس ذلك إلا دليل على انقلب المصلحة النحر من كل عاطفة انسانية كريمة فهو لا يحب اخوانه الأديبي • و تعاون معهم • وانما هو اناني يعيش لفئة • ولا يبالى أن يموت غيره •

وقد تطور الاحتكار تطور الحياة - ويصح أن نقول قد تطور الاحتكار باحتكار الحياة فأصبح لا يقتصر على احتكار التجارة • بل تجاوزه الى احتكار الصناعة • وطرق المواصلات وغيرها من المرافق العامة • وأصبح من يدعم الاحتكار قادرا على أن يمتنع غيره من مزبولة عمله بحكم القانون • فهو يحتكر سلة من السلع • ويترس منها كما يشاء • ولا يخشى منافسا • أو يحتكر صناعة • الصاعات فلا يعملها غير مصنعه • ويدفعها للسوق بالنس الذي يروقه • أو يحتكر طريقا فلا يجوز من ذلك الطريق أحسنه الا بواسطة وبالاجر الذي يجنيه • - وكما أسر شردت لأن عائلها أصبح

عاطلا من الفصل بعمل صاحب الامتياز إذ لم يدع له فرصة العمل فيها يفتنه ، وذبح هو وأسرته يهيمون على وجوعهم تعتك بهم الفاقة والفقر ، وأصبح كل صاحب امتياز طاغية يمشى على أشلاء صرعا ، ويتحكم في الجماهير ، ويستلبهم استلاب النصوص وقطاع الطريق .

والاحتكار في القديم والحديث من الأسباب للمهمة التي تؤدي إلى تجريد المجتمع من ثروته وتكديسها في أيدي فئة قليلة تسترق الناس وتستعبدهم ، وتستبد بآدميتهم وكرامتهم وذلك ما يحاربه القرآن ولا يقره بحال من الأحوال ، فإن جميع المبادئ الاقتصادية التي وضعها القرآن لم تكن إلا للتوازن بين الطبقات حتى لا تطفئ طبقة على طبقة ، وحتى يكون الناس متقاربين في حياتهم ومستوى عيشتهم ، والرأي في الامتيازات التي اقتضتها حالات المجتمعات الحديثة التأميم . تم تأميم كل المرافق ، والمصالح - لنعود بالنفخ على المجتمع كله دون أن تستأثر بالفائدة طبقة دون أخرى .

الاكتساز :

اكتساز النصب والفضة وما هي حكمها ليس من مصلحة صاحبها ، وليس من مصلحة المجتمع التي يعيش فيه صاحبها .

ونتيجة الذهب والفضة أو ما هي حكمها ومن بتقويم المجتمع لها فإذا لم ينتفع بها المجتمع سقط تقويمها فالانتفاع هو الأساس في القيمة ، فإذا لم يكن انتفاع لم تكن قيمة . ولا معنى إذن لاكتسازها .

إن الاكتساز أعمال ، ومن يعمل شيئا يستطيع الانتفاع به بهد سعيها أو غير وشيد على أقل تقدير . لما من يعمل ما ينفعه وينفع الناس يعتبر أكثر صفها من السفيه .

وشيء آخر يجب أن يوضع في محل الاعتبار ما للذهب والفضة أو ما هي حكمها لم يتحصل عليهما صاحبهما إلا من وراء التعامل مع المجتمع ، ولم تكن لهما قيمة لولا تقويم المجتمع لهما بتلك القيمة . للمجتمع شريك له فيهما على هذا الاعتبار . فليس له الحق أن يكتنزهما ، ويمنع المجتمع من عامل مهم يؤدي به إلى الحركة والرخاء والتماء .

أو اكتمار الثروات ومعها من التناول تجسيد لها وحرمان
 بلستج من فوائد تدلونها ، وتعامل الناس بها ، ويؤدي ذلك إلى
 نتائج سيئة . لا يجنى المجتمع من ثروتها غير الإضرار البالغة كتمش
 البطالة ، وكساد التجارة . وندهور النشاط الزراعي والصناعي ؛
 وما ينجم عن هذه الحالة من الجرائم المختلفة التي يدفع إليها الجوع
 والاحتياج .

والاسلام يحرص على اتمامه كل المعاني والاسباب التي تؤدي
 إلى التدهور الاجتماعي والخلفي ، وصلة هذا التدهور وثيقة الروابط
 بالحالة الاقتصادية ، لذلك فإن القرآن لا يقر أى سبب من الأسباب
 التي يتطرق من ورثتها فساد الحالة الاقتصادية أو اضطرابها أو
 تدهورها ، والاكتناز من جملة ما فلم يقره ، ونهى عنه ، ونوعه
 المكتنز بالذنب الأليم ، يقول الله تعالى : « والذين يكتزون الذهب
 بالفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرعهم بذهب أليم ، يوم يحصى
 عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما
 كنزتم لأنفسكم فمدفونوا ما كنتم تذكرون » هذا وعيد الله للذين
 يكتزون الأموال ، ولا ينفقونها على الواجبات الجماعية ، وقد قدر
 المبلغ الذي يعتبر كنزا بأربعة آلاف درهم . . أما ما كان دونه فهو
 بفضة . . أما الذي يحتجون بأن عبد الله بن عوف وغيره من أصحاب
 الرسول كانت لهم أموال كبيرة . فقد فاتهم أن هؤلاء الصحابة -
 رضوان الله عليهم - ما كانوا يكتزون ما لديهم من مال ، وإنما هم
 كانوا يتجرون به وكانت تجارتهم واسعة . وكانوا يؤدون الزكاة
 المفروضة ، ويسهمون في الجهاد وبعقات الجيش . وينفقون على
 الفقراء والمساكين والمحتاجين . وكانوا يحفرون الآبار ، ويصون
 المسر ويحملون الكل ، ويقرضون القرض الحسن ، ويتصدقون كثيرا ،
 فلم تكن أموالهم ثروات محتجزة عن الناس ولا مكتنزة هائلة لا ينفع
 بها المجتمع . فالعمال والاجراء والرعاة والزراع كل أولئك كانوا
 يعملون في أموالهم ، وموئول من ثرواتهم . أما الاكتناز المنهى عنه
 فإنه المال المجدد الذي يدفع صاحبه حركة النماء والأزدهار مشغولة ،
 ييسر المال معجور في خزائنه راكد ركود الماء الآسن فيها .

الترف :

وكما أن القرآن يصعبنا من اكتساب المال من الطرق غير المشروعة فهو كذلك يصعبنا عن انفاقها فيما لا يعيد . والترف حجاج كل ذلك . ان الحساء الترفة الساعية تقلق الجسم والروح ، لان طبيعة الترف المسمر في حياة الانسان تؤدي الى استرخاء الجسم . واستطابته للحياة السهلة اللينة ومن ثم يبعد عن القسوة على النهوض بالاعباء الجسيمة التي تتطلبها حياة السائين من الأفراد ، أو حياة الشعوب الحرة انتمت ذات المطامح البهيفة والأهداف العالية وإذا شاعت حياة الترف في مجتمع شاعت بها لذلك حياة العسوف والعجز . وانتشرت الدعارة الخفية بكل أشكالها . ودنست في الشملة المقدسة في قلوب أبناء ذلك المجتمع فلا يشعرون بأنهم في حاجة الى الصمود من الهوى السقيمة التي احسدوا اليها .

وتستهوي الحياة الترفة النعوسة . فتحتفي القيم وتظهر الاسمار . فلا يقوم اسأل الا سطوره وبمبلغ ما يملك . لا بقيمه ما يشعر ويفكر . وما يبدل من حيد لتحقيق معنى من المعاني القويمة السامية . وقد سبق للترفين أن قالوا لمن ساءهم بالقيم الاسماوية ما حكاه الله لنا في قوله تعالى : « وما أرسلنا في قرية من نبي الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كانوا » وذلك بعد ان الترفين في كل زمان وفي كل مكان . انفلت قلوبهم . ومانت حشائيرهم . فلو تعد للقيم الاسماوية لديهم أي اعتناء بقول الله تعالى : « واتبع الدين ظلموا ما اتزعوا منه وكانوا مجرمين » رأى اجرام أكبر من الكفر بالله والحدود محفوق بماده . يبدون الاموال فيما لا يعود عليهم ولا على مجتمعاتهم بخير . ويفنون أنفسهم في الملاذ والشوات ، ويعرلون مجتمعاتهم في الفقر والفاقة . ويسعونهم عرضة لكل معبر أو غاصب . ولذلك قال الله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » لان المجتمع الذي شاعت فيه حياة الترف . وشاع فيه شرع الترفين وعرفهم أصبح من سواعط للمجتمعات التي لا تستحق الحياة . وقد رأينا مصداق قول الله تعالى في أممتنا الاسلامية حينما اغرقت مجتمعاتنا حياة الترف . دمرت بغداد على أيدي التتار . ودمرت بلاد الشام في حروب الصليبيين . ودمرت الاندلس وانتزعت عن أيدينا وما زالت

في أيدي معتصميهيها الى الآن ، وحجرت فلسطين وشرد مهاجرات
 الصهيونيين اسدين ، وما حر علينا هذا الملاء الا حياة الترف حيث
 عرفت مجتمعاتها فيها . واتبع سبيل الحكام الشرقيين . اعتكف
 عنهم وشريعتهم ولم تستطع تلك القصور التي ملثوها بالمتائر
 والمراتب والوسايل الحريية . وخرقوها بالنصب والعصبة
 والعسيفاء ورسوها بالنز والجور . وحششوا فيها النجس
 والتعائيل ، واتخذوا فيها الاواني النفسية والذهبية ومنزها بالقيان
 ومارف والخمود . ثم استطع القصور التي سب منها الشعوب
 واموالها في دمد . في القاهرة . وفي الاندلس ان تصك عائدته
 المتدينين زاعارة القبري عما .

ومن الغريب ان يرى المسلمون اساع القرآن كلى ذلك ولا
 يتهون من عبهم . ولا يخشون عا حذرهم الله مع ويسفون من
 الشرقيين ويسفون سيرتهم . ثم يوعون انهم مسلمون وانهم حياء
 الاسلام . لقد كانت تشبه الرق استصارا واستمدا ودميرا
 واحتلالا وسرقا . ولا عروب من كل اولئك ان اسرفي حيث
 يجابون بالقارة راحم حياء اذلاء مستخدمين على ما فيهم من التكبر
 والتجبر في وقت اسهم . مهم لا يستطيعون رجا للتكبة . ولا سدا
 للقارعة يقول الله تعالى في وصفهم ونوبيهم : . حتى اذا اخذنا
 مترفيهم بالعذب اذا هم يحذرون . لا يحاذوا اليوم انكم بنا لاتصرون .
 قد كانت آياتي على عليكم فكانتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين
 به سامرا تهجرون ، انتم تدبروا القول ام حاسم ما لم يأت اياهم
 الاولي . ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون . ام يقولون به حنة
 بل حاسم بالحق واكثرهم للحق كارهون . ولو اتبع الحق أهواءهم
 ففسدت السموات والارض ومن فيهن . بل آياتهم بذكرهم فهم عن
 ذكرهم معرضون . تلك هي حالة الترفي وتلك هي عاقبة الحياة
 المترفة . وأهواء الترفي تفسد السماء والارض لو اتعها . وعلى
 المجتمعات ان تضرب على ايدي الترفي والا حاق بها الفساد والسقوط
 فالتدمير . وميتشد يستعدها وسترق احرارها المعتدون واهيون .
 وكما ان الواجب تطهير الجسم من الجراثيم المتالة احفاظا لصحة
 وسلامته فان تطهير المجتمعات من الترفي والمرتشين والمرابي
 والمكثزين واجب ضاربا لصحة المجتمع وسلامته من الكوارث
 والفكاث . ذلك حتى الله وهدى رسوله للمتصيرين وللناس اجمعين .

الزكاة وأسس موارد الدولة :

إن الله شرع لنا كل ما يصلحنا ويصلح حياتنا ، فظهر مجتمعاتنا يتشرعها المحكم من كل انحراف ، وكل فساد ، وأباح لنا نسيه الأموال والثروات من الطرق الصالحة المشروعة . ولم يحجر علينا من زالة الأعمال الشريفة في شرف واستقامه بل حثنا على الصل ، ورغبنا فيه . ولم يبح لنا أن نضي نرواتنا من الربا أو القمار أو الغصب أو استغلال حاجة الناس إلى ما في أيدينا استغلالا حقيقيا شائلا . كما أنه تعالى لا يرعى ببيد الأموال مما يضر ولا ينع ، فنهانا عن بيديها في وسائل الثرف ، أو تبديدها في سبيل الشيطان كدفع الرشوة أو مالا للباطل والمبطلين - فإن ممالاة المبطلين ومساعدتهم تبديد للمال في غير وجهه . وأما هو رسم لنا الطريق الذي سلكه في جمعه ، ورسم لنا الطريق في بقائه . وفرض علينا في المرتبة الأولى زكاة الأموال ، بل جعلها ركنا من أركان الإسلام الحصنة التي لا يسم إسلام المسلم إلا به - - ورسم لنا الطريق الذي تسلكه الدولة في جمع الزكاة ، وأبان لنا الوجوه التي تنفق فيها لأن الزكاة أول موارد الدولة - فطينا إعطاء الزكاة للدولة ما استقامت على انفاقها في الوجوه التي بينها الله . وإذا امتنعنا عن دفعها أو أنقصنا منها نكون غاشين لله ورسوله - معتدين على حقوق عباده في أموالها - ولقد تكررت الأوامر الإلهية بأداء الزكاة بقول الله تعالى : « وآتوا الصلاة وآتوا الزكاة وما تنفقوا لأنفسكم من خير يجبوه عند الله » ، والمقيمين الصلاة والمؤتوا الزكاة والمؤمنين بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما ، « لئن أنتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآتيتم برسلي وعزرتهم وأقرضتم الله قرصا حسنا لا كفرن عنكم سيئاتكم » إلى آخر الآيات الكثيرة التي شجن بها القرآن الكريم حثا على أداء الزكاة -

وقد بين القرآن مصارفها بعد أخفها فقال تعالى : « انصبا المصنفات للفقراء والمساكين والماملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والمقرضين وفي سبيل الله وأمن السبيل غرضة من الله والله عليم حكيم » ونحن نرى من هذه الآية الكريمة أن مصارف الزكاة ثمانية . وأحد منها لموظفي الدولة وهم جباة الزكاة ، والثاني للمجاهدين في سبيل الله وهم جنود الدولة وجيشها ، والستة الباقية

للخدمات الاجتماعية ومنها تحرير الرقيق وتسديده ديون المدينين لأن الله يقول « ولئى الرقاب ، والعاملون ، والعاملون هم المدينون » فهؤلاء لهم الحق فى ربح واردات الدولة ثمن لاداءهم ، وثمن لمددتين اذن فالدولة ملزمة بان تجعل ربح وارداتها لتحرير الأرقاء وتسديديون الأفراد - . وذلك تلبية من الله امتحنها فى كتابه على المؤمنين به المتبعين لشريعته . ومن اخل بذلك كان حكمه حكم من يحل عن اداء فروص الله الواجبة عليه . ومن تخلى عن الفروض ولم يؤدها لا طاعة له على احد . بل هو يستحق العقاب والتكيل كائى حرص عن اداء الفرائض - اليسى للدولة الحق فى تأديب ماضى الزكاة واعتبارهم عصاة وعارقين ، ومقاتلتهم واخذ ائزده منهم بنود اصلاح ؟؟ اشرع ذلك لياخذ المحاكم الزكاة وغيرها من واردات الدولة ويخصنها بعس وذويه وعشيرته وأذنايه ؟؟ كلا ! وانما كان ذلك لأخذ الزكاة من الواجب عليهم اداؤها ووصفها فى مواضعها التى أمر الله أن توضع فيها . لتحقيق قيام المجتمع بواجبه حيال الأفراد ليكون مجتمعا متوازنا ، والطبقات فيه متقاربة .

إن هذه الآلية الكريمة شرعت لنا نظام الخدمات الاجتماعية قبل أن يعرف هذا التعبير الحديث بأربعة عشر قرنا تقريبا . ولا يوجد مثل هذا النظام اليوم متكاملا الا فى أربع دول أوربية هى : السويد ، والنرويج ، والدنمارك ، وسويسرا . والحق أن هذه الدول الأربع بلغت الحد الأعلى فى العناية بالخدمات الاجتماعية حتى سميت حكوماتها بحكومات الخدمات الاجتماعية ، ومع بلوغها الحد الأعلى فى ذلك فإنها لم تبلغ الحد الذى شرعه القرآن . لأن القرآن جعل ربح واردات الدولة لتحرير الأرقاء وتسديده ديون الأفراد وبقية الواجبات ووجوه الالتزام للمجتمع من باقى موارد الدولة .

والدول الأربع - بالرغم من أنها حكومات حمسات - تؤازر الدول الاستعمارية ، وهى تعلم أن الاستعمار أقطع حالات الاسترقاق لأن الدول المستعمرة تسترق الشعوب بالحملة ، وتنتهب أخوالهم ، وتعتب بأعراضهم ومقدساتهم ، وتعتك بالجموع فتكا ذريعا مبيها . ولا تعترف بأدبيتهم بله حقوقهم .

هذه واحدة . لما الثانية فأننى لا أعتقد أنها تفعل ما تفعله

شريعة القرآن من تسديد ديون الأفراد سواء كانوا أحرار أم أموات
أغنياء أم فقراء .

أما في شرعنا فإن ذلك مريضه من الله ، اغترصها على الدولة
لأبد من أدائها أو اعسرت الدولة منحرفة عن القرآن ، محطه يعقوب
لجميع الذي تحكمه .

ربما يستعجب من لأعلم لمبالشرع الاقتصادي والاجتماعي
في القرآن ما نقوله ، ولكن هذه هي حقيقة الشرع القرآني
فهذه الآية واضحة المعنى ليس فيها ما يستعجب فهمه على أحد
والى جانب ذلك عمل الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه .
فقد جاء في صحيح البخاري بالجزء السادس عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال : « ما من مؤمن إلا وأنا أول الناس به في
الدنيا والآخرة اقربوا إن شئتم » النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم .
« قايماً مؤمناً ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا ، فإن ترك ديناً أو
حساباً فليأتمني وأنا مولاه » . والرسول في رحمة رئيس الدولة
ومشرعها وحاكمها ، ورؤساء الدولة من بعده خلفاؤه لمن آل إليه
أمر الدولة ملزم بتنفيذ ما شرعه الله ورسوله .

والآية القرآنية الكريمة والحديث النبوي الشريف متفقان في
أصل الهدف : لا غموس ولا لیس في مباحاتها ، ولا لیس ولا غموس
في مباحاتها وما يهددان اليه .

وهذا يمكننا نقول مطمئن أن الدولة ملزمة بتحرير
الرفيق : وتسديد ديون المدينين ، دون المساس بتركة المدين
إذا مات . فإن تركته لورثته أيا كانوا أغنياء أو فقراء ، ذلك
هو الله ورسوله وعارق كل من عسل عن سموا
النسيل .

والإسلام يعتني بما يخص حياة الناس وما يهمهم فيما
يصلح حياتهم ، ويرفع مستوى معيشتهم ويعتبر ذلك من
أعظم العبادات وأقرب القربات إلى الله تعالى ، بل يعتبر العناية
بهذه الأمور أفضل من العناية بالأمور التعبدية التي تخص
بالفرد . وينهى عن صرف الوقت والجهد في المناقشات البيزنطية

التي لا تسج عر الرءاء والمشاحسات .. وتبالحض القلوب وتفكيك الوحدة المترابطة بين افراد المجتمع ، واعمال العناية بالشئون الحيوية كالثقوب الاقتصادية والاجتماعية وتوزيع الثروات والاهتمام بتقارب الطبقات وتحرير الأرقاء والنظر في مشاكل الناس وحلها الحل الذي يبعد عنهم القلق الفكري والنفسى ، ويحملهم آمين على مصائرهم ومصائر أولادهم من ملهم مطمئن على أرزاقهم واسباب معاشهم مالكى لحياتهم وعداية حكامهم .
 وآية ذلك قول الله تعالى : « ليس المر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والرسول واتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والمساكين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والوفى بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحسن البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

وآية صفة من هذه الصفات التي وصف الله بها المتقين الصادقين تنطبق على الحكام والعلماء الذين تعلى دورهم وقصورهم بالريق الأبيض والأصفر والأسود والأحمر ، ويشغلون أنفسهم بالذلة الاحقاد وتكفير الموحدين ولاهم لهم الا ان الصلاة على النبي بعد الأذان تجوز ! ولا تجوز وكل من خالفهم فى رأى كفروه ، وان رجوه قالوا : ميتدع .

وآية صفة من هذه الصفات التي وصف الله بها المتقين الصادقين تنطبق على من يترقون شعوبهم ويحجرون عليهم النظر فى كتاب الله وستة رسوله وسقون دماء المؤمنين بالله ظالما وعدوانا .

وآية صفة من هذه الصفات التي وصف الله بها الصادقين المتقين تنطبق على من يأخذون أموال الشعب ، ويصرفونها فى السفاهات واصحافات والفجور فى كل بلاد العالم ، ويلبسون افخم الثياب ويأكلون أطيب المأكولات ، ويكنزون الثروات الطائلة فى مصارف العالم المختلفة ، ويرتكون كل موبقة سرا وجهرا بينما الشعب يموت من شدة البرد ، ويموت من شدة الحر ويموت من العرى والحفاء ، ويموت من الفاقة والفقر ؟ اننا لا نرى أى صفة من الصفات التي وصف الله بها المتقين الصادقين تنطبق عليهم .

إذا فهم كاذبون في دعواهم الاسلام . يهرون على الله ورسوله
 السحاب حينما يتحدثون عن الاسلام . ويسامون المسلمين
 ويخادعونهم . وهم ليسوا متقين وليسوا صادقين كما يزعمون .
 واب منهم مدهون عن الدين ، محرفون عن هدى الله ورسوله .
 وما هم الا طغوت يتحكم ، وما رجال الدين الا كهنوب ينعت
 الرعي ، ويحرق البجور ، ويقدم القرابين من الشعب المسكين
 البريء ضحية لهبل ابلهم (الشرى) الذي يعبد في القرن
 العشرين .

ان للاسلام شريعة غير شريعتهم ، وسماحة غير غفلتهم .
 نحن المسلمون المؤمنون حقا وصادقا لاننا لا نريد الا تطبيق نظام
 الاسلام العادل الرحيم ، متمكين بشريته السمحة العادلة
 منحن نقاته وحماته .

ان القرآن يقول لنا - ان البر بعد الايمان بالله وملائكته وكتبه
 ورسوله - اتقاء المال لرحاء المجتمع الذي نميش فيه - فهو
 يجعل على كل غنى اخراج جزء من ماله غير الزكاة المعروضة على
 الاغنياء لتحرير الرقيق الى جانب الجزء الذي يرضه على الدولة
 لتحريرهم . وان نقيم بعد ذلك الصلاة . ونؤدى الزكاة ، ونفى
 باليهود وان نصبر على الصراء والصراء ، فاذا قلنا ذلك كنا صادقين
 في ايماننا : متقين في اعمالنا . والا كنا غير صادقين وغير متقين .
 وليس من البر في شيء ان نسرك جوهر الدين ولباسه ونعنى
 بالشكيات والقشور . كما يفعل المنتظمون .

ان الترتيب الذي جاء في هذه الآية جعل من أولى الامور
 بعد الايمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب - اتقاء المال في
 انوحه البيئة في الآية . وجعل الصلاة بعد الانفاق وبعد الصلاة
 ابناء الزكاة والوفاء بالهد والصبر . وفي ذلك اشارة وانها لنا
 بأن الاحتفال بالامور الاجتماعية امور اولية في الاسلام . وهي
 البرهان على الايمان القوى المتين بالله وبكتبه ورسوله وباليوم
 الآخر الذي يحاسب الناس فيه على اعمالهم ، لان من يخشى
 حساب الله لا يؤخر فرائضه ، بل يجعلها من الاوليات التي
 يصرف اهتمامه الكلي لادائها . ونخرج من كل ما تقدم بأن
 القرآن الكريم فرض الزكاة على الاغنياء وقد اوضح قدر المال

الذى تؤخذ منه الزكاة وبين مقدار الزكاة التى تؤخذ . وقد بينت كتب الفقه تلك المقادير بوضوح تام فليست من مقتضيات بحثنا بم أوجب على الأموال غير الزكاة كما هو مبين فى آية : ليس البر أن تولوا وجوهكم ، الخ والبر بالناس واجب على العاقل عليه . ولذلك كان ضمن السبل الإيمان بالله وملائكته وكتبه رسوله . وهو واجب وإقام الصلاة فرض . وإيتاء الزكاة فرض ، والوفاء بالعهود فرض ، وكلها مبروض محتمة الأداء ، وكان سبيلها فى بعض الآيه من ضمن الر . فمن قال أن البر إنما هو التطوع يغفل قوله يساق الأمور المحبوس عليها فى الآيه فيكون إقامه الصلاة بطوعا وليس واجبا وإيتاء الزكاة تطوعا وليس واجبا ، والإيمان بالله تطوعا وليس واجبا ، ولا يقول بذلك مسلم صادق الاسلام . ومن ذلك يتبين لنا أن تحرير الرقاب فى المجتمع الاسلامى واجب على الدولة . فإذا لم جمع الحصص المرصود لتحريرهم فعلى الأغنياء القيام بتحريرهم وذلك حق للارقاء اختصهم الله به . ومطالبتهم بهذا الحق مشروع إذا لم تعط لهم بدون مطالبة ، لأن المفروض الواجب على الدولة ألا تلجئهم الى المطالبة ، وكذلك الفقراء والمساكين وذوو القربى وإيتاء السبل ، ومن ركنهم الديون ، شرع الله لهم حقوقا إذا منعت عنهم حق المطالبة بها لأنها ليست مئة ولا تعضلا من الدولة عليهم بل حق مفروض يجب أن يؤدى لأصحابه ، يقول الله تعالى : « وآت ذا القربى حقه والمكين وابن السبل » ويقول : « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » .

التكافل الاجتماعى :

لقد رأينا من الفصول السابقة أن السياسة الاقتصادية فى الاسلام توجب قوامة الدولة على الثروات الفردية والثروات الجماعية . فلها الحق فى احصاء الثروات الفردية لتسهيل الزكاة المفروضة . ولها الحق فى تحديد ملكية الأرض وملكبة النقد المكتسب غير انعمال . . ولها الحق فى مراقبة السلع التجارية واحصائها فى مخازن التجار ، وتلك اجراءات يقتضيها حریم الاكتنار وتحرير الاحتكرك ، وتحرير الفس . . وعليها من الحقوق القيام بالنفقة على ما تضمن الأمن العام وتقوية الجيش . .

وحددت للصرف على ذلك ربع واردات الدولة ، ولها اذا لم تكن في حاجة الي « المؤسسة قلوبهم » أن تنفق اسهمهم للدعاية اذا كانت الدعاية تضمن مصلحة عامة للدولة . وما الدعاية ؟ ليست لتسليف القلوب ، ونوقى العدوان ، وتحجيب الناس في النظام القائم ؟ على الا يتعدى ما يتفق للدعاية فمن واردات الدولة - وهو السهم الخاص (بالمؤسسة قلوبهم) في القرآن - وما بقى من واردات الدولة وهو خمسة اثمان الوارد ، يتفق على الخدمات الاجتماعية الصامة ، منها ضمان لتحرير الارقاء وتسيير المديون من المدينين في غير معصية .

ومن الخدمات الاجتماعية توفير اسكن والمليس والطعام والشراب والملاج والتعليم لكل فرد ، فقد امر الرسول صلى الله عليه وسلم بملاج المرضى ، وأباح لهم ان يشربوا من البسان ابل الصدقة حتى يصحوا ، وأمر الأسرى أن يعتدي كل شخص نفسه بتعظيم عشرة من غلمان المسلمين . فاذا لم تف واردات الدولة بالتفقات المطلوبة منها فان للاسلام اجراءات أخرى تتخذ لتحقيق التكافل الاجتماعى المروغ فمن ذلك قول الله تعالى : « آمنوا بالله ورسوله واتقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » وقول النبى صلى الله عليه وسلم « ايما اهل عرصة أصبح بهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى » ومن برئت منهم ذمة الله لم يكن لغنائهم ولا لاموالهم حرمة . ومن هدى القرآن وهدى الرسول افراد الفقيه المبقرى ابو محمد على ابن حزم صفحات من كتابه « المعالى » في اربعة السادس للكلام من التكافل الاجتماعى فقال : « وفرض على الاغنياء من اهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك اذا لم تقم الزكوات بهم ، ولا قء سائر اموال المساكين بهم . فيقام لهم بما ياكلون من الثقوت الذى لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، ويمكن يكتهم من الطر والشمس ويمون الملة . برهان ذلك قول الله تعالى : « وات ذا القربى حقهم والمساكين وابن السبيل » وقال تعالى : « وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين . والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم » فواجب الله تعالى من المساكين وابن السبيل ، وما ملكت اليقين مع حق ذى القربى

وغيره الاحسان الى الابوين ودى الغربى والمساكين والجار ،
وما ماتك اليمين ، والاحسان يقتضى كل ما ذكرنا ، ومنه
اسادة بلا شك .

وقال تعالى : « ما سلككم في سقر ؟ قالوا لم يك من
المصلين ، ولم يك نطم المسكين » فترن الله تعالى اطعام
المسكين « بوجوب الصلاة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من طرف كثيرة في غاية الصحة انه قال « من لا يرحم الناس
لا يرحمه الله » ومن كان على فضله وراى المسلم اخاه جائعا عريان
ضائعا فلم يفتحه فما رحمه بلا شك .

وهذا خبر رواه نافع بن جبر بن مطعم وميس بن أبى حازم
وأبى ظبيان وزيد بن وهب كلهم عن جرير بن عبد الله عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، روى أيضا معناه الزهرى .
عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد
حدثنا ابراهيم بن احمد حدثنا الفربرى حدثنا البخارى حدثنا
موسى بن اسماعيل - هو التودكى - حدثنا المنذر - هو ابن
سليمان عن أبيه حدثنا أبو عثمان الهندي أن عبد الرحمن بن أبى
بكر الصديق حدثه : « أن أصحاب العفة كانوا ناسا قراءا وراى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان عنده طعام
اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب
بخامس أو سادس » أو كما قال . . فهذا هو نفس قولنا .

ومن طريق اللبث بن سعد ، عن فضيل بن خالد . عن
الزهرى أن سالم بن عبد الله بن عمر أخبره أن عبد الله بن عمر
أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخو
المسلم لا يظلمه ولا يسله » فمن تركه بجوع ويمر - وهو قادر
على اطعامه وكسوته - فقد أسأله .

حدثنا أحمد بن محمد حدثنا أحمد بن على ، حدثنا مسلم
ابن الحجاج . حدثنا شيبان ابن فروج . حدثنا أبو الأشهب عن
أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر

له ، ومن كان له فصل راد عليه به على من لا زاد له « قل
فلما ذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا
في فضل » . وهذا إجماع الصحابة رضي الله عنهم بخبر بذلك
أبو سعيد ويكل ما في هذا الخبر نقول .

ومن طريق أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم
« !طعموا الجائع وتكوا العاني » والنصوص من القرآن والأحاديث
الصحاح في هذا أكثر جدا .

وروينا عن طريق عبد الرحمن بن مهدي - عن سفيان
الثوري - عن حبيب بن أبي وائل شقيق بن سلمة قال : قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه « لو استقبلت من أمري ما استدبرت
لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المجاهدين »
وهذا إسناد في غاية الصحة والأجلال .

ومن طريق سعيد بن منصور عن أبي شهاب عن أبي عبد
الله التقي عن محمد بن علي بن الحسين عن محمد بن علي بن
أبي طالب أنه سمع علي بن أبي طالب يقول : « أن الله تعالى
فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم فإن جاعوا
أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء وحق على الله أن يحاسبهم
يوم القيامة ويطلبهم عليه » .

وعن ابن عمر أنه قال : « في مالك حق سوى الزكاة »

وعن عائشة أم المؤمنين والحسن بن علي وابن عمر أنهم
قالوا كلهم إن سألهم : « أن كنت تسأل في دم موجه ، أو غرم
مقطوع ، أو قمر مدقع ، فقد وجب عليك . وصح عن أبي عبيدة بن
الحراح وثلاثمائة من الصحابة - رضي الله عنهم - أن زادهم قنن
فأمرهم أبو عبيدة فجمعوا أنوادهم في مزودين وجعل يقاتهم
أياه على السواء » .

فهذا إجماع مقطوع به من الصحابة رضي الله عنهم لا يخالف
له منهم .

وصح عن الشعبي : ومجاهد ، وطاؤوس ، وغيرهم كلهم
يعول : « في المال حق سوى الزكاة وما تعلم عن أحد منهم خلاف
هذا إلا من الضحك بن مزاحم فإنه قال : نسخت الزكاة كل حق
في المال . وما رواية الضحك حجة فكيف رآه ؟؟

والمعجب أن المحتج بهذا أول مخالف له ، فبرئ في المال
حقاً سوى الزكاة منها النفقات على الأيوين المحتاجين وعلى
الزوجة ، وعلى الرقيق ، وعلى الحيوان والديون والأروش يظهر
تناقضهم .

فإن قيل فقد رويت عن طريق ابن أبي شيبة حدثنا
أبو الأحوص عن عكرمة . عن ابن عباس قال : من أدى زكاة ماله
فليس عليه جناح أن لا يتصدق .

ومن طريق الحكم بن معمر عن ابن عباس في قوله تعالى :
« وآتوا حقه يوم حصاده » نسختها العشر ونصف العشر . فإن
رواية مقسم ساقطة لضعفه ، وليس فيها أوصحت خلاف
قولنا . وأما رواية عكرمة فإنما هي إلا يتصدق تطوعاً وهذا
صحيح .

أما القيام بالجهود ففرض ودين وليس صدقة .
ويعملون : من عطش فحاف الموت ففرض عليه أن يأخذ الماء
حيث وجده ، وإن يقاتل عليه .

فإن فرق بين ما أباحوا له من القتال على ما يدفع به من
نفسه الموت من العطش ، وبين ما منعه من أن يقتل من نفسه فما
يدفع بها الموت من الجوع والعري ، وهذا خلاف للإجماع
والقياس .

ولا يحل لمسلم أضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو
يجد طعاماً فيه فصل عن صاحبه لمام أو لدمي ، لأن فرضاً على
صاحب الطعام إطعام الجائع ، فإذا كان ذلك كذلك فليس يضطر إلى
الميتة ولا إلى لحم الخنزير وبالله التوفيق . وله أن يقاتل على
ذلك ، فإن قتل فعلى قاتله القود ، وإن قتل المانع فعلى لمة الله
لأنه منهم حقاً وهو طائفة ماغية . قال تعالى : « فإن يفت احداهما
على الآخرى مقاتلوا التي تبقئ حتى يفتئ إلى أمر الله » مانع الحق
بأن على أخيه الذي له الحق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق رضي
الله عنه : « مانع الزكاة وبالله التوفيق » .

انتهى ماقلناه من الفقيه المحدث الأصولي ابن حزم .
وقد تعددت نقل عباراته بنصها الحرفي ، لتظهر منافسته
لخالفيه . ومنها يشين بما استشهد به من الآيات القرآنية

والاحاديث النبوية وديانته الصائب وردوده البليغة وحججه الدامغة . وجه الحق ويتبين كذلك ان بعض الفقهاء اتهموا عن طريق ابداعه فضلوهم واضلوا .

والتكافل الاجتماعي ليس جديدا الا في صيافته التصيرية ، ولكن القرآن شرعه للناس منذ اربعة عشر قرنا ، وللتناس ان يقاتلوا حكامهم واغنياءهم على تحقيق هذا التكافل ، لان علم تحقيقه من القادرين عليه يمد نفيا . والبعض يجب على من يؤمن بالله ورسوله ويهتدى بهدى القرآن ، ان يزيله وأن يقاتل في سبيله ولن يكافح ما وسعه من أدوات الكفاح حتى يتحقق في المجتمع ما شرعه الله له .

واذا كان من يسمح له بالقتال في سبيل ذلك لا يكون مضطرا لاكل الميتة او لحم الخنزير اللذين حرمهما الله ، وكذلك هو غير مضطر لان يدخل في زمرة الأرقاء ، او يدخل أسرته وابناؤه في اطار الرق ، وكم جنى عزوف الحكومات وصدوف الاغنياء عما شرعه الله على البشرية من ويلات . وذلك ما يريد القرآن ان يتجنبه الناس ويعرض على أن لا يحقق بهم ما حاق بهمهم . فإني أدعاه الاسلام من شريعة الاسلام التي يشتدقون بانها دستورهم ؟؟

ان القرآن في حاجة الى مؤمنين ذوي غيرة على حقوق الله اننى مرضها لعباده . في حاجة الى توارث يشودون على هسله الاوضاع اننى يوصم بها القرآن والقرآن براء منها ومن الادعياء الذين يريفون الحقائق ويتجاهلون الحق . ويفسرون الكذب على القرآن وعلى سبي القرآن . ان المسؤولية في انصراف شبيب المسلمين عن الاسلام ، وتطلبهم المخرج من واقع المسلمين الى الأليم ، باعتناقهم للمذاهب الاقتصادية والاجتماعية المغرقة منا ، انما تقع على عاتق هؤلاء المارقين الضالين الذين يزعمون انهم حماة الاسلام وانصار شرعه الحنيف ، والله يعلم والناس وكل الناس يعلمون انهم هم الوصية التي لحقت بالاسلام لانهم شوهوه بظلمهم ومروقهم ، وجعلوا النبل الاعلى الذي فيه سعادة الانسانية مثلة تنمر منها الانسانية . وسوف ياخذهم الله بفيهم ويوقعهم في سوء اعمالهم ، وعذبهم بأيدي المؤمنين الصادقين .

عقاب السرقة :

ان بعض الجاهلین بالقرآن ، وتشريعاته الحكمة يرون قطع يد السارق قسوة وهمجية يجب ان يشتره عنها القرآن وبعض الذين يقيمون الحدود على انصفاء في بعض البلاد الإسلامية يؤكدون هذه المعاني في اذهان الجملة بشرعية القرآن . وقد نلّس الاعذار للذين لم يدرسوا القرآن ، ولم يلموا بتشريعاته . ولكن اى عذر لمتصلين لزعماء الاسلام والمسلمين ؟ ان هؤلاء المتزعمين هم سبب البلاء فيما يوجه للقرآن من قهم شيعة .

ان القرآن اسكريم كل لا يتجزأ ، وقد وضع سياسة اقتصادية لم يتفق عنها ذهن بشرى في العالم قديمه وحديثه . فالقرآن شرع للأفراد والجماعات كل الضمانات التى تحملهم آمنين وادعين ، وليلد عنهم اشباح الجرائم المختلفة بمحصارية اسبابها . فضمن في تشريعه للفرد قيام الدولة بمطعمه وتشريه ومسكنه وعلاجه وتعليمه . واتاح له الفرص لمزاولة اى عمل يريد ، وضمن له في تشريعه حرية العمل ، وحرية القول ، وحرية العقيدة ، وحرية التفكير ، وحرية التعامل ، وحرية الضرب في الامايق ، وفرض له الكافل الاجتماعي ، فاذا منع من حقوقه او حقا من حقوقه اباح له بل اوجب عليه ان يقاتل في سبيلها حتى ينالها ، فان قتل المرم قاتله القود ، وان قتل لم يرمه شيء . وأصدر دم مانع الحق واعتلده باغيا ، وأوجب على المجتمع ان يناصره ويؤازره على ذلك . ولست اعتقد ان نظاما شرع كل هذه الحقوق للفرد على الدولة وعند مجزها اوجب ذلك على المجتمع . والى جانب كل هذه الواجبات له حث على التطوع بالصدقة وبالرفد وبالعنوس اتى تنفق غلتها على وجوه البر والاحسان .

ان نظاما يعطى كل هذه الضمانات للفرد ، ويفرض كل هذه الضرائب على المجتمع لسعادته ورفاهيته لابد ان يحصى المجتمع من عدوان الأفراد ، ولابد ان يكون مقابله له شديدا صارما متى انحرف ، لانه ان لم يؤخذ بالشدّة يعدى المجتمع بجرائمه ، والعضو العاصد الموبوء الذى يودى سلامة الكيان كله لابد من بتره ...

وقد احتاط هذا النظام القرائى . فلم يوجب القطلع الا عند تحقيق كل الواجبات المعروضة للسارق باعتباره من أفراد المجتمع ، فإذا حصل أى انحراف فى هذا النظام فلا قطع كما فعل عمر بن الخطاب . ومواء كان هذا الانحراف الذى من النظام طبيعيا أو مصطنعا . فالانحراف الطبيعى هو الذى يكون لسبب جائحة من الجوائح الطبيعية التى لا قدرة للإنسان على ودعا كعدم نزول المطر ، أو جفاف الآبار والأمطار ، أو زلزال أودى بالثروات ، وأفسد الحياة ، أو آفة روائية أفسدت المحصولات ، أو ما شاكل ذلك . فان عمر لم يقطع يد السارق فى عام الرمادة . وهو عام جفت فيه الآبار وبست فيه المزروعات ومات فيه الأنعام والباشية .

والانحراف المصطنع كظلم الحكام وظلم الأغنياء واختلال ميزان العدالة وانحراف السياسة الاقتصادية عن خطوطها المرسومة لها . فان عمر لم يقطع أيدي السرقة حينما علم أنهم اجراء لأحد الأغنياء ، وكان يشجع عليهم فلا يطعمهم اللحم حتى اشتبهوه فسرقتوا مائة وأكلوها . فاعفاهم من القطلع وألزم مؤجرهم بدفع قيمة المائة المسروقة مضاعفة لصاحبها ، وأمره أن يطعم أجرامه حتى لا يضطروهم الى السرقة .

وكذلك احتاط المشرع الأعظم فى الأحوال الصادرة فلا يقطع يد السارق الا اذا كانت السرقة مستوفية لجميع الأوجه القانونية التى يبينها كتب الفقه الاسلامى . فإين هى ، القسوة والهمجية فى ذلك ؟ انها شدة كسدة الطبيب الذى لا يتر عضوا الا عند الاضطرار ، ليعضن سلامة الجسم وصحته ، وعدم تسرب الفساد اليه .

هذا فيما يخص بعقاب السارق اذا سرق مالا أو عقارا أو اثلا أو متاعا أو ما شابه ذلك . أما الأيدي التى تقطع باسم الاسلام ، واقامة حدوده فى بعض البلاد الإسلامية ، فان ذلك لا يتفق مع نظام الاسلام وشريعته السححة . أن العمد فى تلك المجتمعات لا يتمتع بأى حق من الحقوق الإنسانية التى منحها الاسلام .

فالساسة الاقتصادية منحرفة انحرافا مريعا لا يقبره الاسلام . والاسلام يوجب محاربة كل انحراف فى تشريعها واقع

المجتمع الذي تقطع فيه الأبدى والأجل والرموس باسم الإسلام ليس فيه أى ضمان من الضمانات الكثيرة التي منحها الإسلام للفرد . أن الإسلام نظام كامل ، وكل لا يتجزأ فاما أن يؤخذ كله ، وأما أن ينزك كله . فهو يضمن الحقوق والواجبات ويمطيها فلذا تحقق ذلك عاقب بقدر ما أعطى . وإذا لم تتحقق الضمانات الممنوحة فلا عقاب . يقول الله تعالى لا وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . تك هي روح الإسلام وعبدائه . فإذا كان الله تعالى لا يعذب من يكفر به حتى يبعث رسولا . لتكون الحجة قائمة إذا نزل العذاب : فكيف يسحق قطع يد السارق في الوقت الذي منع هذا السارق من حقه بأصابعه أحد أفراد المجتمع ؟ أن من يسرق حقوق المجتمع ويحتجز أرزاقه ، ويحصر بها نفسه وعشيرته أجدر بقطع اليد من غيره ، وإذا اجترا الجاني أو الحرم وأباح لنفسه الانتقام واتزال العذاب بالبالسين والضعفاء ومنوعى الحقوق بحجة أفلمة الحدود . فإن هذا الاجتراء جريمة لا تغتفر ، وحينئذ يكون الحكم مهزلة ، والنظام لوضي ، ودموى المسدالة دعوى مكذوبة . أن القرآن بهدى التي هي أقوم . فهل أعمال أولئك الفضللين والطريقة التي يكونونها صحيحة وقوية وهل تلك هي هداية القرآن ؟ كلا أن الزنبيين على القرآن ستظرون القارة وستحل بهم قارعة من السماء ومن الأرض ومن حيث لا يشعرون . فليستظروا وأنا معهم ينتظرون .



وبعنه هنا أن ننقل ما قاله الأستاذ سيد قطبي رحمه الله في « ظلال القرآن » عند تفسيره لقول الله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله غفور رحيم » . يقول سيد قطب : « ولابد من بيان لهذا الحد الذي يبدو في ظاهره قاسيا حين ننظر إليه نظرة سطحية إلى شيء مبادئ يسرق وإلى يد حية تقطع . أن الإسلام كل متكامل ، فلا تعهم حكمة الجرائم التشريعية فيه حق فهمها إلا أن ينظر في مبادئه كلها ، وضماناته للناس جميعا .

والإسلام يبدأ بتقرير حق كل فرد في الحياة ، وحقه في كل الوسائل الضرورية لحفظ الحياة من الإنسان - كل إنسان -

له الحق في أن يأكل وأن يشرب . وأن يلبس وأن يكون له بيت
يسكنه ويؤويه . لأن ذلك كله ضروري لحفظ الحياة ومنها
الدواء في حالة المرض .

من حق كل إنسان على الجماعة التي يعيش فيها وعلى
الدولة النابتة من هذه الجماعة أن يحصل على تلك الضروريات .

أولا من طريق العمل ما دام قادرا على العمل . وعلى
الجماعة والدولة النابتة من هذه الجماعة أن تعلمه كيف يعمل .
وأن تيسر له العمل ، ومعها أداة العمل ، فإذا تعطل لعدم وجود
العمل أو أدواته ، أو لعدم قدرته عليه جزئيا أو كليا ، وقتيا أو
دائما ، أو إذا كان كسبه من عمله لا يكفي لضرورياته فله الحق
في استكمال هذه الضروريات من عدة وجوه . أولا من النفقة التي
تفرض له شرعا على القادرين في أسرته ، وثانيا على القادرين من
أهل محنته وثالثا من بيت المال من حصة المفروض في الزكاة . فإذا
لم يجد من هذه الموارد فله شرعا أن يقاتل من يبيد ضروراته
هذه ، ويمنعها عنه وأن يقتل ليحصل عليها . فإن قتل هو فهو
شهيد وأن قتل المانع هو في النار . واذن فلماذا يسرق السارق في
ظل هذا النظام ؟ أنه لا يسرق لحاجة ، أما يسرق للطمع في
الثراء . والثراء لا يطلب من هذا الوجه انتهى بروح الناس ،
ويحرمهم من الطمانينة على ما كسبوا من مال حلال . فالإسلام
لا يعترف بملكية لا تتخذ من حلال . وأنه لمن حق كل إنسان في
مثل هذا المجتمع الإسلامي كسب ماله من حلال ، لا من ربا ولا
من غش ولا من احتكار ، ولا من أكل أحور العمال . ثم يخرج
زكاته . فإذا احتاجت الدولة لأكثر من الزكاة أخذت بحسب
الحاجة . من حق كل إنسان في مثل هذا النظام أن يأمن على ماله .
والأمن لا يباح ماله للسرقات . فإذا سرق السارق بعد ذلك - وهو
مكفي الحاجة - فإنه إن لم يكن مكفيها قاتل علنا عليها فإنه
لا يسرق وله عذر . والسيف الذي وضعته الشريعة في يده
ليقاتل به من يمنع عنه ضروراته هو نفس السيف الذي تقطع
به هذه الشريعة يده إذا هو ملها إلى مثل سواء من غير عذر ولا
شبهة .

فأما حين توجد شهوة له من حاجة - لم يستطع أن يقاتل
عليها فسرق لملها - فالبدا العام في الإسلام هو دواء الحدود

بالشبهات ، لذلك لم يقطع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أيدي فلان ابن حاطب بن أبي بلتعة حين سرقوا ناقة . وبين أن سيدهم لا يعطيهم كفاية من طعام بل غرم السيد نصف ثمن الناقة ، وأطلق سراح الظلمان . وكذلك لم يأخذ أحداً بعد السرقة في عام الرمادة لأنه كان هناك مجاعة عامة فهي شبهة عامة تدرك الحد حسب شريعة الله ورسوله .

وهكذا يجب أن نعلم حدود الإسلام في ظل نظامه المتكامل الذي يضم الصماتات نجميع لا لطيفة على حساب طبقة . والذي ينظر أسباب الوقاية قبل أن يتخذ أساليب العقوبة . والذي لا يعاقب إلا الظالمين المعتدين بلا سبب للاعتداء ، لذلك يقول وهو يشدد عقوبة السرقة « فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » فهي تنكيل وادع لمن ؟

يبدو ذلك في الآية اسالبة اذ يقول : « فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه » فهو الظلم اذن في تلك السرقة . والنظام لا يتحقق . والسرقة مظلوم يطلب الكفاية ويحقق لنفسه ضرورات الحياة التي فرضها له الله ، وجعلها حقاً له كحق أحياء « فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم » فشريعة الإسلام لا تدع السرقة المقطوع يموت من الجوع هو وأهله وعياله كما تصنع شرائع الأرض بالحكم عليهم في سرقة ، فتعذبهم من أرباب السوابق ، وتحرمهم حق العمل ، وينبذهم المجتمع حتى يضطروا إلى حياة الجريمة من جديد وحتى يتشرد أطفالهم ونساءهم لأنهم سرقوا رغيباً ليأكلوه . كلا ! فإن شريعة الله لأحكم وأرحم من شرائع المتدنين في هذه الأيام .

إنما تضمن المقطوع في سرقة وذقة وورق عياله من بيت مال المسلمين . فلذا تاب قبله عضواً صالحاً في المجتمع وقبله الله عبداً صالحاً من عباده في الآخرة فلا تشرد ولا يعمل ، ولا يتكفف الناس ، أو يعود إلى حياة الإحرام . انتهى ما نقلناه من تسليط (في ظلال القرآن)

هذا هو انقطة في دين الله وشريعته وأمثال هذا هم الفقهاء حقاً . فليس الله مرداً لأيات الله وحديث رسوله دون تدبر ولا وعى . إنما الفقه فطنة وتصور ومسار على المبدأ العام في الشريعة واستشفاف لروحها والإحاطة بأحكامها العامة . لتكون الأحكام

متفقة مع ما يريد المشرع لا كما يفعل أولئك الجهلاء الأغبياء الذين يتصدرون مجالس الافتاء ، ويفتون بسفك الدماء بشر حق ، ويفتون بقطع الأيدي والأرجل ظلما وعدوانا واقتراء على هدى الله ورسوله . وهم أولي الناس بالعقاب الشديد الصارم الذي ينزلونه بالمكويين الذين تكلم الله بهذه الشريعة الفاضلة الرائقة المارقة . وأوعظهم في يديهم الآثمة . ان أولئك المارقين يقتحمون ساحة الفقه والافتاء الطاهرة فيدسسونها بدنس قلوبهم وافئدتهم ويشوهون جمالها وعدالتها وقدسيتها بسواد قلوبهم وفلظة اكبادهم وفساد افهامهم .

ان الله غيور شديد النقمة والعقاب ، واذا أهمل فانه سبحانه لا يهمل وسيتميز بكل من ريف دينه الحنيف ، وشوه عديده الكريم السامي واساء الى شريعته السمحة وحمل السنة أعداء الله ورسوله تعلق بانهامه ووصمه ، بما ليس فيه عدلانا أليحا . ويجعلهم عبرة للمعتبرين .

ان الله لا يرضى لعباده الظلم ، وقد ابتلى المسلمون بمن ينزل بهم الظلم ، ويؤزم انه إنما يعمل ما يعمل تنفيذا لحكم الله وتطبيقا لشريعته . والله يعلم انهم لكاذبون ، وقد انتهى الزمن الذي كان تصاياهم وزيتهم ومروقههم عن الدين ينطلى على الناس ، واصبحتنا في عصر تنبه الناس فيه لحقوقهم وعرفوا حقيقة دينهم وسيعرف الظالمون كيف يأخذون حقوقهم الملوقة وينتقمون من الظالمين . وليس ذلك بعيد .

الفرصة واللصوصية والغطف :

وهناك من هم أشد خطرا وأكثر فسادا من السرقه العاديين تلك هي عصابات التراصنة واللصوص والخطافين الذين يمشون في الأرض فسادا ، فيغرون على قوافل التجار والحجاج في البر والبحر . ويروعون الأمنين ويقطعون الطرق ، فيخطفون الأطفال والنساء والشيوخ مل والشباب والكهول ، ويضربون عليهم الرق ، ويختطفون بهم على الأسواق في المدن والقرى ويبيعونهم بيع الأثاث والمتاع والبهائم ، وان نصجب لشيء فالمجب ممن يتعاملون مع هؤلاء ، ويبيعون لأنفسهم مشاركتهم في جرائمهم ، ان التعامل معهم تشجيع لهم واقراء على الاستمرار في الإجرام .

وفد رأينا فيما عرضنا له ان الرومانيين والاغريق كانوا يصيرون هذا الاجرام مهنة العظماء والشرقاء ، وكان حيلهم ينظمون امر هذه العصابات ويروونها بالسلاح والسنن والركائب . لاسترداد الرقيق عن هذا الطريق . وكم من مدن وفري سمعت في عائلاتها واطعائها وسائها . وكم من حجاج وتجار فحموا في امسهم واموابهم ، وكم من دماء ركية بريئة سقطت في سبيل الشيطان لارتكاب هذا الفساد .

لقد اعد القرآن لهؤلاء العائشين الفاسدين عقابا شديدا صارما . وقد اعمالهم مثل الكفر بالله ومخالفتهم له ورسوله . فقال تعالى : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينعوا من الارض ذلك لهم حزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم »

ان هذه العصابات تهدد الأمن العام . وتسبب في وقف دولا الأعمال التجارية والصناعية والزراعية وتضييع الربح والحرى في قلوب الامراء والجماعات وتهدد آدمية الانبياء باسترقاقهم وسوقهم كالانعام للتجارة . وتفرق بين الأزواج . وتعد الأبناء عن امهم والأمهات عن ابناءهن وما الذى يحملها على ذلك ؟ انها الرقة والشر والحقد على الإنسانية ، والكراهية للأمن والسلام . لقد كانوا قد اقتراف جرائمهم محل العطف والرحمة من المجتمع ، يأخذون حقوقهم ، ويعدون العدل والمدالة والتكريم والتفضيل من الله والناس جميعا ، فاسأوا الى من احس اليهم ، وارخصوا انفسهم فارخصهم الله وجعل عقابهم شديدا صارما ، ليخزيهم في الدنيا ، ويعط الناس بهم ، ونهم في الآخرة عذاب عظيم وهذا العقاب الصارم الذى شرعه الله ليرتدع به المفسدون ، من يقوم بتطبيقه ؟ تقوم بتطبيقه الحكومة الرشيدة التى ضمنت لاجتماعها كل حقوقه عايها ، واعطتها كلمة غير منقوصة . اما الحكومة الفاسدة التى تستخدم كل ما اوتيت من سلاح وقوة وسلطان لتشييع مايشيحه المفسدون من استرقاق الافراد والجماعات بل والشعوب . فان جزاءها جزاء هذه العصابات . وعقوبتها ، اى عقوبة القاتل على رأس مثل هذه الحكومة ، هى نفس العقوبة التى تنزل بعصابات الافساد . وللناس ان يخرجوا

على حكومة لا تؤدي ضمانات الإسلام وتسرق الحقوق والواجبات،
وتفتك بالناس سرا وعلاية ، لأنهم إنما يخرجون على عصاة تها
بكتاب الله وثبوه شريعته. ولذلك جاء في بعض التعابير عند تفسير
هذه الآية الكريمة قوله ولا أمر ما قال النص : « الذين يحاربون الله
ورسوله » ، والخارجون بالقوة المسلحة على نظام الجماعة
لا يحاربون الله على ظاهر النص ، لأن الله لا يحاربه العباد باليأس
وقد لا يحاربون رسول الله بشخصه صلى الله عليه وسلم إنما أراد
بحرب الله ورسوله حرب شريعة الله وشعائره وحرمانه ، وتهديد
الجماعة الإسلامية التي كفلت لها الشريعة حرمانها إلا بمعقبا ،
وأنما أراد بهذا النص أن السلطان الذي يحق له أن يعاقب
الخارجين بمعقوبة الله ، هو السلطان الذي يقوم على شريعة الله
ورسوله وينفذ شريعة الله ورسوله . فاما الذين يخرجون على
نظام غير نظام الله ورسوله فليس لأحد أن يخلطهم باسم هذه
الشريعة . ولا أن يعاقبهم بمعقوبات هذه الشريعة . . .

نقرر هذا بوضوح لأن بعض أئمة السلطة في كل زمان ،
كثروا يفتنون لحكام لا يستمدون وجودهم من شريعة الله .
ولا يقومون على تنفيذ هذه الشريعة . يشنون لهم بأن يأخذوا
الخارجين عليهم بتلك المعقوبات باسم شريعة الله . وهؤلاء
الخارجون لم يكونوا يحاربون الله ورسوله ، لأنهم إنما كانوا
يحاربون سلطة خارجة على شريعة الله ورسوله . أنه ليس
لسلطة لا تقوم على تنفيذ شريعة الله أن تأخذ الخارجين عليها
باسم شريعة الله . لهذا كان النص : « الذين يحاربون الله ورسوله
ويسعون في الأرض فسادا » . يسعون في الأرض فسادا بمعابرهم
الله ورسوله ، وبانتهاكهم بالقوة حرمان الله ورسوله ، وباعتدالهم
السلح على امن الجماعة القائمة بشريعة الله ورسوله . إنما جاء
هذه المعاصيات الملحة التي تروع الناس وتسلهم أموالهم
وأرواحهم ، وتعدى على أعراضهم وحرمانهم ، جزاؤهم أن يقتلوا
أو أن يصلوا حتى يموتوا ، أو أن تنقطع أيديهم وأرجلهم من
خلاف ، أو أن يتفوا من الأرض .

الذين فقد مساوت - كما سبق أن قلنا - جماعة الحكام
الزينة المفسدة ومعاصيات الأنسداد ، وأصبحت جريمة هؤلاء
وهؤلاء واحدة ، فعقابهم يكون واحدا لا شك .

واستغاب مهما كان شديدا ومريعا اذا نزل بالحكم المنحرف
 من دين الله المبد لتثبون الجماعة المعتدى على حقوقها هو كفاء
 افساده وانحرافه وعدوانه . لأن الأثر الذي يتركه في المجتمع ،
 أشد وأعقق سوما من الأثر الذي تتركه عصابات الأفساد من الناس
 العاديين .

لأن المصاية اذا استقرت عشرات الأفراد بمسا لديها من قوة
 مسلحة محدودة فإن الحاكم المنحرف يسترق شعبا بأكمله لأن
 لديه من أدوات العدوان أصفاف الضعاف مالمدي المصاية ،
 مجرمة أشد خطرا وأعقق غورا . وأبلغ جرحا للانسانية
 اتى كرمها الله .

فاذا أراد الناس أن يعيشوا أحرارا كرما مبرزين محتفظين
 بأدमितهم وحقوقهم التي شرعها الله لهم فليعلم ألا يمكنوا المصابات
 المفسدة الصالة من العبث بهم ، ويلتفوا عن ذلك ما وسعهم
 الدفاع فإن ماتوا الحقهم الله بالشهداء والصدقين ، وإن عاشوا
 لميشية انسانية حرة كريمة . أما إذ استخذوا فإنهم يفعلون في
 الرق لا محالة ، وأرق ياباه كل من كان في نفسه ذرة من إيمان
 بالله باري الأنفس والنسمات . لأن الله يقول : (والذين إذا
 أصابهم البغي هم ينتصرون) وذلك هي صفة المؤمنين . وإذا حرص
 كل مجتمع على حقوقه ، ودافع عنها وجاهد في سبيلها تنبثق منه
 حكومة صالحة ، تحمي مجتمعها من أن تنجم فيه عصابات
 شريرة تخيف الاتس . وتعدى على الأمنين وإذا نضمت مثل تلك
 العصابات الضارة كان في إمكانها أن تنزل بها العقاب الذي شرعه
 الله .

إن مثل تلك العصابات لا تنجم غالبا إلا من انحراف السياسة
 الصالحة ، اقتصادية كانت أو قضائية أو اجتماعية فاذا استقامت
 القثون ، لا تنجم تلك المصابات إلا بدوافع احرابية شريرة فيجب
 حينئذ أخفها بالصرامة والشدية ، كما هو المنصوص في القرآن . أن
 اخذ المفسدين بالثبسة في القرآن دليل على غيرة الله على أعبية
 الاتمين وأمنهم وسلامتهم وليست هي دليل القسوة والهجية كما
 يقول الجاهلون والفترون .

وان تعجب فاعجب لأولئك الذين يزعمون أن الاسلام لم

يُضبط أجهزة الدولة كما صيغتها التشريعات الغربية . وهل يجدون في التشريعات الأوربية ضبطاً لأجهزة الدولة مثل هذا الضبط الذي شرعته الإسلام ؟ ومن المؤسف أن القائلين مُسلمون ، ريزعمون أنهم مستشرقون ، ولو أنهم قالوا لم يوجد في المسلمين من يضبط أجهزة الدولة التي يربدها الإسلام بتشريعاته بعد الخلفاء الراشدين لكان ذلك صحيحاً ، ولجاء قولهم آية على استنارتهم .

إن التشريعات الإسلامية في حاجة إلى مؤننين بها دوى غيره عليها . ولو أتيح بها فريق من المصلحين يصنعونها من كل ما علق بها من أدنى الصور المظلمة ، وما شابها من الأهواء الضالة والتحرجات السخيفة وينقوها من شوائب السياسات المنحرفة والتي أغرت كثيراً من الفقهاء والمفسرين والمحذاتين بالانحصراف تحقيقاً لأغراض الحكام وميولهم لربنا من العدل والعدالة والصعود بالإنسانية إلى مدارج الكمال سانبهر له الانعاس إعجاباً . . . ولو أتيح لتشريعات الإسلام علماء يصنعونها في صورة دستور مبسط نوجدنا العالم يقرر تنظيمه في كل مجتمع لو استطاع استخلاص من العناد والمكابرة ، ولو أتيح لنا حكام قوامون على تمديد هدى الله وهدى رسوله ، وما توحاه السبب الصالح - لا السلب الفاسد - لأصبحت مجتمعاتنا مصدر إشعاع قوى باهر للعالم كله ، ولأصبحت بلادنا قبلة تقصّر الحق والعلم والإنسانية من كل أركان الأرض .

أن في هدى القرآن وهدى الرسول كنوزاً محصورة لو بشئنا عنها لأحدثت انقلاباً عظيماً في الأفكار وفي التشريع وفي المفاهيم وفي المسلك . وفي كل ما بهم الإنسانية كلها في كل مرافقها ومختلف ألوان نشاطها وسلم من تهديد الأخطار المحدقة بها الآن .

لقد ابتلينا بمن عماها علينا ، وصرفنا عنها حتى تركناها وراء ظهورنا ، وانصرفنا نطلب المخرج من أدوائنا فيما لدى الناس ، فزادت مشاكلنا ، وتضاعفت شقوتنا ، لأننا رحنا نلتمس العلاج بما لا يتفق مع طبيعتنا . بل أن هؤلاء الذين رحنا نلتمس للمخرج بما لديهم هم في حاجة إلى مخرج ، لأنهم إنما يضررون في يداهم التحارب لعلمهم يجدون في إحدى تجاربهم المخرج من الألم الذي أرققه القلق ، وآخر به الخوف من المصير القاجع الذي يرون أنفسهم مدفوعين إليه دون رضا منهم أو اختيار .

والغريب أننا نجد التحمس عند الذين يقومون بالتجارب المختلفة والنظريات التنصيرية شديدا ، والفيرة على الحق بتحقيق نظرياتهم وتجربتها بالغة . ولا نجد عند المسلمين التحمس الكافي لتحقيق نظريات الاسلام التي قررها ، والتي شهد الواقع أنها صالحة لكل زمان ولكل بيئة . . قليلا من التحمس لديكم أيها المسلمون !! وقليلا من الإصرار على تنفيذ ماشرمه الله !

إن قوانين بعض الأمم الغربية أو كلها تمنح تظاهر بطوائف المختلفة إذا ما وقع عليها حيف أو ظلم وإن منحها انتظام مائما تمتعها إلى حد ، وعالها ما يكون هذا الحد الممنوح لا يحقق عدلا مطلوبا ، ولا يعطي حقا مملوبا . وإن أعطى فلا يعمد إلا لانصاف الحلول ، لأن قوانين أوروبا إنما يصرها ويشرعها ذوو المافع من أصحاب الإقطاعيات ، وروس الاموال الكبيرة ، والحكومات الرأسمالية خاضعة خضوعا لما لهذه الطبقة ، هي تسفل ارادتها ولا تنفذ ارادة المطالبين بحقوقهم .

أما تشريع الاسلام فهو تشريع أسمي ، شرع الهى لم ينزل لأمراء فريق على حساب الفريق الآخر . فهو يضمن حقوق الجميع على قدم المساواة والحكومة ليست خاضعة لفريق من الناس أو لطبقة من الطبقات . وإنما هي خاضعة لقانون ليست لها فيه يد ، وإنما هي أداة تنفيذ للقانون الذى بين يديها . وهذه الشريعة فرضت على الحكومة ضمانات لجميع الأفراد ولجميع الطبقات فإذا لم ف ضمانات هذه الشريعة أو هبت على المجتمع نتيجة الحكام عن كراسى الحكم ، ولو أدى ذلك إلى حمل السلاح واشهارة في وجوههم . وأعطت لكل ذى حق لم يصل إلى حقه أن يقاتل حتى يناله .

هذه الحقوق الممنوحة شرعا للأفراد جعلت عقابهم شديدا صارما إذا أعطتهم الدولة حقوقهم كاملة غير منقوصة ثم لم يكفوا بها ، وراحوا يعبثون بالامن ، ويهددون المجتمع في سلامته واستقراره بارتكاب الجرائم المختلفة من سرقة وسلبك للدماء واتهاك للأعراض وقطع للطرق .

فهل يجد القواون غطا مثل هذا الضبط لاجهرة الدولة في أى تشريع آخر !!

ان حق الافراد في معارضة من منعهم حقهم اكبر ضمان يضمن عدم الانحراف احكامهم عن الخطوط المرسومة في الشريعة الاسلامية وخوف الحاكم من ثورة الافراد عليه يجعله دائما متحررا للحق والانصاف مبتعدا عن الظلم والانحراف .

وخوف العبد من العقاب الشديد المبدله ، اذا هو انحرى حبا في الاجرام واثارة الشر وشيوع الفساد اكبر ضمان لعدم عشه بامن الحماة واستقرارها .

انه ضبط قد لاجهزة الدولة .

اما ان المسلمين — حاكمين ومحكومين — لم يحرصوا على انتقيد بشريعة القرآن تلك مسألة لا يحل انهما القرآن . وانما يشمل انهما العاشون بشريعة القرآن .

رولسب الرق :

لقد راينا فيما سلف كيف عالج القرآن الكريم المشاكل المختلفة التي كانت تدع منابع الرقيق تفجر باستمرار في المجتمعات الانسانية . وكانت حلوله حلولاً عميقة فذة . لم تسبقه شريعة من الشرائع الى مثلها . لقد نظر الى مشكلة الرقيق فوجد لها — كما قلنا — مشكلة متولدة من عدة مشاكل وليست هي مشكلة قائمة بذاتها مستقلة عما سواها .

من تلك المشاكل ما هو مكرى ، وما هو اقتصادى ، وما هو اجتماعى ، وما هو كهنوتى ، وما هو عنصرى ، وما هو طبقي . نعمد الى المشاكل الفكرية والفلسفية والروحية . فحرر العقول والافكار والارواح من كل فكرة خاطئة ، ومن كل عقيدة فاسدة . وقضى على الفلسفات المنحرفة التي تجعل من الناس خريفا لهم السلطة والسيادة ، وفريقا عليهم الرق والاستعباد .

وقضى على الخرافات الكهنوتية التي كان رجال الدين يروجونها ، ويستغلون سداجة الناس فيسرقون ارواحهم ، ويتحكمون في حياتهم ومصائرهم . ويستلبون من هذا الطريق اموالهم وحريتهم . وضرب روح القاطلة والقسوة التي كانت

سائدة في الشرائع والعوانين التي تحكم بها المجتمعات الانسانية حتى قضى عليها ، واقيم بدلها روح الرحمة والتعاطف ، واصبح الاوضاع الاقتصادية الفاسدة . فوزع الثروات توزيعا عادلا ، وحسب ملكية الارض وملكية النقد ، ومنع الاحتسكار والكتنار ، وحرم الربا والقمار والرشوة والقرصنة والصوصية . وجعل من حق الجبلة ان يشارك في الضرورات الاولى للحياة . ومنع الافراد والجماعات من احتكارها واستغلالها فكل الناس فيها سواء . ووضع معايير جديدة تقرر بها اقدار الناس ، وسوى بين الدني والفقير ، والعالم والجاهل ، والاسود والابيض امام القانون ، واطلق الحريات جميعها . فكل الناس احرار في عقائهم واموالهم وتجاراتهم وتفكيرهم وتصرفاتهم في حدود الاطر الاسلامي العام .

وحرم الحروب العدوانية ، واعد لكل عدوان عقوبة ، واحاط الانسانية بسياج من آدابه وتشريعاته ووصاياه . يضمن لها العزة والكرامة والحريه والعدل . ووضع لكل مشكلة من المشاكل الانسانية حلا حاسما ترضيه النفوس ، وتمتنع به العقول ، ونصام به الحياة ، وتطمئن له القلوب والارواح .

وقد بقيت في المجتمع الاسلامي دواشب الرقيق من عصور الجاهلية . ودواشب من اسرى الحروب التي كانت مشتتة بين الاسلام واعدائه . وبقيت امم وشعوب ما زالت مصرة على معاداة المسلمين ، والتربص لهم ، وشن الحروب عليهم ، والاغارة على بلادهم . وقد ابان لنا القرآن الكريم الحكم في اسرى الحروب المشروعة . وقد سبق ان اينا ذلك تفصيلا . ولم يقر القرآن سرقه الناس من بلادهم او الاغارة عليهم بغيا وعدوانا . ثم استرقاقهم . وجعل عقوبة من يفعل ذلك عقوبة صارمة . فلما ان يقتلوا او يصابوا او تقطع ايديهم ولوجلهم من خلاف او ينقوا من الارض وحفف كل المنايع التي كانت تتفجر بالرفيق فحرم الربا والبسر ، وقضى على عصابات القراصنة والصوص . وكل ذلك ببناء فيما سلف .

لما مارسنا من الرقيق من عصور الجاهلية . فكل الايات القرآنية الخاصة به دعت الى تحريره من رقة الاسترقاق ،

ولم تجرده من آدميته . ولم تعتبره شيئاً لا شخصاً كما كانت تعتبره الشرائع القديمة ، وحملته يقف مع غيره أمام القضاء موقف الندالة في جميع الحقوق والواجبات . أما في الجرائم فقد خففت عنه العقوبة في مقابل ما نقص من حريته لا كما كانت تفعل الشرائع القديمة التي تتخذ من سلب الحرية مدعاة للإجحاف به والقوة عليه ، وانزال كل أنواع الفطاعة والوحشية والجبروت به .

إن الشرائع القديمة كانت تتجاوز عن أخطاء السادة الأحرار ولا ترحم الأرقاء ، وتقسو عليهم . مع أن المطلق المسلم يقضى بأن نتجاوز عن أخطاء من لا يملك حريته ، ولا يملك من أمر نفسه شيئاً ، إذ ربما يكون الدافع تجريمه اغراء ماله على ارتكاب الجريمة أو مشايعته المفروضة له . أو أن ما يلقاه من حدود وتكرار وإرهاق ، آثار نفسه فارتكب جريمته . وهذه هي الآيات البينات التي وردت في القرآن الكريم خاصة بالرقيق نوردها ، ليقتنع من يقتنع عن بيعة ، وليفكر من يفكر من بيعة أيضاً . وحتى لا تكون له حجة يستند عليها في كفره بالقرآن . واقترائه على نشره المصحح الآخر .

ما جاء في القرآن : يقول الله تعالى .

١ - (لَسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجْهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ وَعِندَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْمَسِّ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) سورة البقرة آية ١٧٧ .

٢ - (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَاتَّكُمُوا مِطَاطِبَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنِّي وَثَلَاثَ وَرِبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْبَى أَلَّا تَعْدِلُوا) النساء ٣ .

٣ - (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ أَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) النساء ٢٤ .

٤ - « ومن لم يستطع منكم طويلاً أن ينكح المحصنات المؤمنات

فمما ملكت إيمانكم من فتيانكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم
بعضكم من بعض - فتكفونهم بأذن أهلهم وأئوئهم أجورهم
بالمعروف محصيات غير مصاصحات ولا متخذات أخدان فإذا
أحصن فإن ابن نفاعشة فليبين نصف ما على المحصنات من
العذاب (النساء ٢٥) .

٥ - (وأعيذوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين أحسانا
وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب
والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت إيمانكم إن الله لا يصب
من كل شيء خلقا كثيرا) النساء ٣٦ .

٦ - (وما كان المؤمن أن يصل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل
مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن
يصدقوا فإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى
أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين
توبة من الله وكان الله عليما حكيما) النساء ٩٢ .

٧ - (لا يؤخذكم الله باللغو في إيمانكم ولكن يؤخذكم بما
عقدتم الإيمان فكفارته أطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون
أهلكم أو كوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام
ذلك كفارة إيمانكم إذا طعتم واحفظوا إيمانكم كذلك بين الله
لكم آياته لعلكم تشكرون) المائدة ٨٩ .

٨ - (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها
والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والعالمين في سبيل الله وابن السبيل
فريضة من الله والله عليم حكيم) التوبة ٦٠ .

٩ - (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين
فضلوا يرادى رزقهم على ما ملكت إيمانهم فهم فيه سواء أفتنم
الله يصعدون) (١) النحل ٧١

(١) جاء تفسير الخازن لهذه الآية قوله . ملا تحسين الخوالي
يردون رزقهم على مساكنهم من عند أنفسهم . بل ذلك رزق الله
أجراه على أيدي الموالى للعالمين ، والمقصود منه بيان أن الرزق
هو الله سبحانه وتعالى لجسيع خلقه وأن الموالى والعالمين في الرزق
سواء به .

١ - قد اطلع المؤمنون الذين هم في صلاتهم حاشعون .
والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون .
والذين هم لفروجهم حافظون . الا على ارواحهم او ما ملكت
ايماهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم
الضالون (المؤمنون ١ : ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧) .

١١ - قل للمؤمنين يصصوا من ايمانهم ويحفظوا فروجهم
ذلك اذكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات

= ويقول النفسى في تفسيره : مكان ينبغي ان تردوا فعل
ما رزقتموه عليهم حتى تتأواوا في الميسر والمطعم .
ويقول فريد وجدى : فما الدين فضلهم الله في الرزق على
غيرهم بمطعم ماليكهم الرزق المقصود لهم بل معطيهم رزقهم هو
الله نفسه وانما جعل رزقهم تحت ايديهم فهم وسطه لا غير .
فاستوى اذن المالك والملوك كلاهما عيال الله . »

والخلاصة ان الكفار كانوا يابون المساواة مع عبيدهم .
ويابون مشاركتهم في الرزق ولا يردون عليهم فضل أموالهم .
بل كانوا يبعثرون أموالهم في الضلال والتكر وشهواته النفس .
لقد كان الرقيق يقومون بتسمية الثروات التي كانت للسلادة
كما يفعل العمال الآن سواء كان ذلك بالتجارة او بالصناعة او
بالزراعة . قيسائر السلادة بالارباح ويمشون عيشة ناعمة
مترفة . ويعيش العبيد عيش الشغل والحرمان . كما هو حال
العمال الآن في البلاد المستعمرة وغيرها .

وقد عد الله ذلك جحودا بالنعمة . لان الشكر على النعمة
والاحتفاظ بدوامها لا يأتيان عن هذه الطريق . وانما يأتيان عن
طريق المساواة والمشاركة . والبر بالناس .

وبهذه الآية الكريمة وضع الله لنا مبدأ الاشتراكية لو
المشاركة في الأموال والأرباح بين صاحب المال وبين العامل . للممل
مجتمعاتنا الاسلامية تنفعل لما شرع الله لها من حقوق وتعمل
على نوالها . ولعل الفقهاء والمشرعين يفتنون الى امر الله
وتشريعاته المحكمة العادلة البارة . ويمحقون مآشرعه الله لمبادء
وحينئذ يحق لنا ان نقول : اتنا قد بين بالقراآن وتهدى في حياتنا
جديه .

بعض من ابصارهم ويحفظون فروجهم ولا يبدن زينتهم الا ماظهر منها وليضربن بضرهن على جبينهن ولا يبدن زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخواتهن أو بنى أخواتهن أو نساءهن أو ما حلتكن إيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفى من ذنبتهم وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (النور ٣٠ ، ٣١ -

١٢ -) وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم (النور ٣٢ -

١٣ -) وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يتفقون الكتاب مما ملكت إيمانكم فكاوبهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإنه الله من بعد أكرههن غفور رحيم (النور ٣٣ -

١٤ -) يا أيها الذين آمنوا ليستادنكم الدين ملكت إيمانكم والذين لم يملأوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة العجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم (النور ٥٨ -

١٥ -) ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت إيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافوهم كخيفتكم أنفسكم كذلك تفضل الآيات لقوم يعقلون (الروم ٢٨ -

١٦ -) وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلك قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل - ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإنه لم تملأوا أبائهم فأخوانكم في الدين وعوايكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تصمت قلوبكم وكان الله غفورا رحيمًا النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام

بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أنتمعلوا
إلى أولياتكم معروف ما كان ذلك في الكتاب مسطوراً (الأحزاب ٤) .
٥ ، ٦ .

١٧ - (يا أيها النبي أنا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت
أحورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات
عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة
مؤمنة أن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة
لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما
ملكك أيماهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ،
الأحزاب ٥ .

١٨ - (ترجى من ثناء منهن وتؤذى البك من ثناء ومن
ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا
يحررن ويرضين بما آتيتن كلهن والله يعلم ما قل قلوبكم وكان الله
عليها حليماً ، لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من
أزواج ولو أحسك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل
شيء رقيباً (الأحزاب ٥١ ، ٥٢) .

١٩ (لا جناح عليهن في آياتهن ولا أمنائهن ولا أخوانهن
ولا أبناء أخوانهن ولا إبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت
أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيداً (الأحزاب ٥٥

٢٠ - (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا
فتحرير رقبة من قبل أن يتمموا ذلكم توعظون به والله بما تعملون
خبير (المجادلة ٢) .

٢١ - (والذين هم لغروجهم حافظون . إلا على أزواجهم
أو ما ملكت أيماهم فانهم غير ملومين . فمن انتهى وراء ذلك
فأولئك هم الفاسقون (الماعز ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١) .

٢٢ - (فلا اقنموا المعبة . وما أدراك ما المعبة . فك
رقبة (البلد ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣) .



هذا كل ما جاء في القرآن الكريم مما هو مختص بمراسم
الرفيق من المصور المنحدرة ، ومن بقايا الحروب التي كانت

منشعلة بين المسلمين وغيرهم من اعداء الاسلام . ومما هو جدير بالملاحظة ان ملك اليمى لم يأت من القرآن الا بصيغة الفعل الماضى وهذا يرجح ما ذهب اليه من ان المقصود بملك اليمى هو حارسب من رمن الجاهلية ، ومن اسرى الحروب الاسلامة . ولم نجد آية واحدة جاءت بصيغة فعل المضارع فليتبناه لهذا التنبهون .

ان الآية الاولى (رقم ١) تلزم الاعتياء ان يخصصوا من اموالهم حصة لتلك الرقاب المسترمة في المجتمع الاسلامى ، ليكون مجتمعا حرا ، كل الناس فيه احرار متساوون . وحمل الله ذلك هو البر الحقيقى الذى يريد . اما المجالات والمناقشات فيما لا يعود على المجتمع بغاضة فليس ذلك من البر فى شئ . « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » . اعبدوا الله كما تشاءون ولا تزعموا انكم بارون الا اذا انفقتم المال فى الوجوه التى بينها الله لكم فى هذه الآية الكريمة . لك هى الانسانية السامية ، وذلك هو البر الانسانى الجدير بالتمجيد والخطود . اما المناقشات البيرنطية فى شأن العبادات والتسككات البدوية الجاهلية فلا لزوم لها . لان العبادات انما هى وسائل لفايات اسى .

وفى الآية الثانية (رقم ٢) يحظر الله على الناس تصدات الزوجات الحرائر عند خشية الملل بينهن . أما ماملكت الإيمان فانه لم يحدد لهن عددا ، وترك التصداد مباحا من غير قيد ولا شرط . والحكمة فى ذلك واضحة فان الأمة اذا حملت من زوجها . واصبحت ام ولده تحرت . فالقرآن لم يحدد العدد ، ولم يحظره ، ولم يقيد بغيره لتحسور اكبر كربة من التسلم الرقيقات فى المجتمع . وحكمة اخرى ذكرها الله تعالى فى هذه الآية انكريمة فقال : (ذلك أدنى الا تولوا) اى لا تجربوا وتشقوا فكاح الحرائر له تكاليف مثقلة . اما نكاح ما ملكت أيمانكم فهو لايشقكم بتكاليف تبهظكم . وفى ذلك حث الرجال على نكاح الاماء ليستقلن من الرق الى الحرية . وهذا التشريع الكريم يعكس ما كانت عليه المواقف السابقة ، اذ كان بعضها ينزل المقاب الشديد بمن بطا السرقة ، وبعضها يلحقه بزمرة الرقيق . أما القرآن الكريم فهو يحث عليه ليلحق للسرقة بالحرائر فإين خلا من ذلك ؟

وفي الآية الثالثة (رقم ٣) تأكيد للمعنى الموجود في الآية الثانية وهو أن المحصنات من النساء محرم تكاثرهن حتى يخلصن من أزواجهن إما بموت أو طلاق . أما سببا الحرب فإن أزواجهن قد قتلوا في المعركة . أو أن أزواجهن ما زالوا محاربين لله ولرسوله وربما يكون لديهم مبيايا من الأسلمات فلمعاملة بالمثل في هذه الحالة واجبة . فتكاح السبايا متاح لمن في حوزته وفي ذلك حكمتان : الأولى أنها معطاة بالمثل . والثانية أن تكاثرهن وسيلة لتحريرهن إذا أصبحن أمهات أولاد . كما ذكرنا ذلك آنفا .

وفي الآية الرابعة (رقم ٤) حض من الله تعالى على تكاح ملك اليمن تكاحا مماثلا لتكاح الحرائر باذن أولياء أمورهن ، وبصداق مدقوع ، وعقد مشروع . وسمى أولياء أمورهن أهلهم ثلثا يشعرون بالأهانة ولا يسميهم أماء وإنما يسميهم فتيات . ويقول الله تعالى : « بعضكم من بعض » . فليس هناك ميزة لكم عليهن في شيء فأنتم منهن ، وهن منكم ، وكلكم من آدم عليه السلام .

ثم انظر الى سماحة الاسلام وكرم القرآن فانه بعد أن يرتفع بهم الى مرتبة النساء الحرائر يخفف صهبهن المفسوة اذا أتت بفاحشة بعد كل ذلك فيقول تعالى : (فان أتت بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) . يصح القرآن التكرم في حسابهن عند استحقاقهن العقوبة حالتهن الشعورية . فشعورهن مزال غير مستقر بأنهن أصبحن حرائر . فلهذا الشعور التقى الذي يكن فيهن خفف عنهم العقوبة .

ذلك هو القرآن ، وهذا هو شرعه الرحيم العادل .

وفي الآية الخامسة (رقم ٥) يأمر بالاحسان الى مملكت الایمان . ويجعلهم في مصاف الوالدين وذوي القربى والاصحاب الذين لابد من الاحسان اليهم والعناية بهم وعدم اهمالهم ، ويجعل هذا الاحسان مرادفا لعبادة الله وحده وعدم مشاركة احد معه سبحانه في العبادة . على ألا يكون هذا الاحسان مشوبا بالاختيال أو بالفخر ، لان الله تعالى لا يحب من كان مختالا فخورا

وفي الآية السادسة (رقم ٦) جعل الله كفارة القتل الخطا

تحرير رقبة مؤمنة الى جانب المدينة ، وسواء وقع القتل الخطأ على نفس المجتمع الاسلامي أو في غيره ان كان المؤمن قتل خطأ - رجلا من الأعداء ولكنه مؤمن ، أو أن القتل الخطأ وقع من مؤمن في يوم بينهم وبين المؤمنين ميثاق ، ففي كل تلك الأحوال لا بد من تحرير رقبة مؤمنة على القاتل على التحرير .

وفي الآية السابعة (رقم ٧) جعل الله كفارة الإيمان تحرير رقبة ، وفي هذه لم يشترط رقبة مؤمنة فيكفي أن يكون تحرير رقبة مؤمنة أو غير مؤمنة ، والمراد بالمؤمنة المؤمنة بدين الاسلام

وفي الآية الثامنة (رقم ٨) فرض على الدولة اخراج ثمن وارداتها لتحرير الرقاب ويؤكد الله ذلك بأنه عريضة من الله ألا يقول : عريضة من الله والله عليم حكيم

فأين الحكومات التي قامت باسم الدين بأداء هذه العريضة ولماذا لا تؤدبها ؟ أين دعاها الدين ؟ وأين دعاها الطويلة العريضة في الحرص على شعائره وأداء فرائضه ؟ فلنتعلم تلك الحكومات أنها خادعة مضللة أو أنها لا تمرف عن الاسلام إلا اسمه . وحسبها ذلك خيرا في الدنيا وقضيحة بين الناس ولها في الآخرة خطاب اليه .

وفي الآية التاسعة (رقم ٩) بنى الله تعالى على الذين فصلوا من الرزق عدم مشاركة حاملكت إيمانهم فيما لديهم من سعة الرزق ، فلا يجعلون أنفسهم ومملكت أيمانهم فيه سواء ، لأنهم يجعلوا نعمة الله عليهم . ولذلك يقول الله تعالى : « أفنتعمة الله يجعلون »

وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسالة إلى أبي بكر الصديق الأشعري يقول فيها - واقنع برزقك من الدنيا قال الرحمن فضل بعض عباده في الرزق بلا يبتلى به كلا ، فيبتلى من يسطر كيف شكره الله ولدأوه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وحوله .

قائمين قول الله تعالى هذا من معاملة الأمم الأخرى للعبيد ، أولئك الذين كانوا يتركون للعبيد الأعمال الشاقة ويستمتع

السادة يعرفهم وجهودهم . ويقسوا عليهم في المعاملة ولا يؤدّون لهم من الطعام والشراب والملبس والماوى ما يكفيهم . ان هؤلاء وامثالهم يجحدون نعمة الله ويظلمون احوالهم في الانسانية ، اما شريعة القرآن فهي تفرض على الدولة ان تحرر الارقاء وتعض الاغنياء على تحريرهم والاحسان اليهم كما هو مبين باصبع بيان وفي الآية العاشرة (رقم ١٠) يبشر الله المؤمنين الذين يخشعون في صلاتهم ويعرضون عن لغو الكلام ، ويؤدّون الزكاة ، ويحفظون فروجهم عن النكاح الا على أزواجهم وما ملكت ايماهم . يبشر الله المؤمنين الذين يفعلون ذلك بالفلاح فيقول : (قد افلح المؤمنون) الفح اما من يتقى ما وراء ذلك (فاولئك هم العادون) وقد سبق بيان نكاح ملك اليمين ، معصلا في الآيات السابقة فلا حاجة الى اعادة ما تكلمنا عنه في مواضعه السالفة . ونكتا نقول ان التكرار في اباحة تعدد السرارى واباحة نكاحهن فيه حكمة اخرى غير الحكم التي ابنا عنها . فاسيرات الحرب سواء كالنساء ، ولهن رغبات طبيعية بدافع من التفرقة الانسانية فلا بد من اشباعها . فلما لم يبع المشرع هذا النكاح فانه يضطرون لاشباع غرائزهم من طريق انقضاءه . فيقع المجتمع في مساوئ وامراض اجتماعية . اذ يكثر نتيجة لذلك الفساد الجنسى ، ويكثر اللقطاء الذين يكونون عائلة على المجتمع . والقرآن يريد تجنب الجماعات هذه الامراض . فيلتحق الابناء باباحة نكاح الاماء بآبائهن ، وتحرر الاماء عن هذا الطريق اذ يصبحن امهات اولاد .

وفي الآية الحادية عشرة (رقم ١١) امر بقض البصر ، وحفظ الفرج عن المحارم للرجال ، وامر مثله مع عدم ابداء الزينة للنساء ، ولهن ان يدين زينتهن امام من ذكرهم الله في الآية الكريمة ومنهم ما ملكت امهاتهن من الرجال .

وفي الآية الثانية عشرة (رقم ١٢) حث على النكاح ملك اليمين من الرجال ، ونكاح ملك اليمين من النساء . فلا يتمتعن بقرهن من انكاحهم ، ولا فقرهن من نكاحهن . فان يكونوا فقراء فبهم الله من فضله والله واسع عليم .

وفي الآية الثالثة عشرة (رقم ١٣) يامر الله بمكاتبة من

أرد تحرير نفسه من الذكور والإناث ، وأمر الله كذلك بمساعدتهم في إنجاز هذه الكتابة وتيسرها عليهم ، وأعطاهم من المال مايسهل لهم إجراءات التحرير . ونهى عن إكراه الفتيات ، كما يسمح القرآن وعن الإماء ، عن مزاوله البغاء كما كانوا يفعلون في زمن الجاهلية . ومن يكرههن على ذلك بعد معرفتهن عن أمر الله مرتكباً للمعاصي . أما من أكرهها مالكها على ارتكاب الرذيلة فإن الله يعدها مجبرة على فعل فاحشة لم ترددها فينولها الله بمغفرته ، ولا يوجب عليها عقاباً ولا يعدها آثمة .

وفي الآية الرابعة عشرة (رقم ١٤) من ادب القرآن الكريم حلد الأمر بالاستئذان لك أيمن وللذين لم يبايعوا الحسلم فإن هؤلاء وأولئك في داخل البيوت لا يستأذنون في دخولها ، لأنهم أصحابها أو كاصحابها ، ولكن هناك أوقات لا يد فيها من الاستئذان ، تلك الاوقات هي : وقت الظهيرة حيث يتحفظ الإنسان من ثيابه ، ويستمتع بقيلولة هادئة مع أهله . وكذلك بعد صلاة العشاء ، إذ ينهي الإنسان فيها للنوم ولمضاجعة أهله . وفي آخر الليل حيث يقوم الإنسان من نومه وهو بملابس النوم هذه الاوقات الثلاثة يأمر الله فيها بالاستئذان ، وهو أديب تحمته الصروقة ، ويدعو اليه الخلق الفاضل ، وترتاح اليه النفوس الهذبة .

وفي الآية الخامسة عشرة (رقم ١٥) ضرب الله مثلا لكافرين من أنفسهم فإن هؤلاء الكافرين لا يرضون أن يشاركهم أرقاؤهم في أموالهم فضلا عن أن يساووهم فيها . فكيف يصلون إلى مالك الكائنات كلها شركاء يشاركونه في عبادته . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . ثم جعلهم هم وما ملكت أيمانهم في الرزق سواد وليس لهم أن يردوهم عنه .

وفي الآية السادسة عشرة (رقم ١٦) إبطال لمادة قديمة يشأ من جرأتها ارتكك في الوارث والانسحاب . إذ كان بعض الناس يبنون ابتنا ليس من صلبه فيلقفه بنفسه وعمرائه . فأمر الله بترك هذه المادة وأمر بأن يدعى الإبناء لأبائهم الحقيقيين . ومن لم يعرف له أب فهو أخ في الدين . ومولى ، له ماله للناس جميعا من الحقوق والواجبات ، وعليه ماعليهم في ظل مجتمع

لا خلطة ولا اضطراب فيه ، وفي هذه الآية أيضا إبطال لأجراء مؤقت اتخذهُ الرسول تكريم في مطلع الدعوة حين آخى بين المهاجرين والانصار . واعداد الموارث الى أولى الارحام كما أعصا التكافل في الديات الى الأقرباء . إلا أن يصنع الانسان باختياره معروفًا الى من يشاء ، ففعل المعروف والاحسان لاحظر عليه .

وفي الآية السابعة عشرة (رقم ١٧) خاصة بما أحل الله سبحانه لنيه صلى الله عليه وسلم من النساء . وأحكامها خصوصية بالرسول وحده ، وأما غير النبي صلى الله عليه وسلم فأحكامهم معروفة فيما يحل لهم من النساء وما لا يحل . فهي آية تشريع لنكاح من يحل نكاحها من النساء النبي خاصة ، ولمن يحل نكاحها من النساء لغير النبي . وما ذكرناها إلا لما جاء فيها من ملك اليمين .

وفي الآية الثامنة عشرة (رقم ١٨) حرم الله على النبي صلى الله عليه وسلم الزواج بغير نسائه اللواتي في عصمته إلا أن يتنكح ما ملكت يمينه . وقد روت أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها أن هذا التحريم الذي قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتركته له حرية الزواج ، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج غيرهن فكان هن أمهات المؤمنين .

وفي الآية التاسعة عشرة (رقم ١٩) استثناء لمن لا يحتجب النساء عنهم من الرجال المحارم المذكورين في الآية الكريمة . وفيها أن ملك اليمين لا يحتجب عن مالكها .

وفي الآية العشرين (رقم ٢٠) كفارة الظهار بتحرير رقبة . ولم يشترط هنا رقبة مؤمنة فأى رقبة كافية في هذه الكفارة .

وفي الآية الحادية والعشرين (رقم ٢١) من يحفظ الفروج الا على الأزواج وما ملكت اليمين . أما من لم يحفظ فروجه فانه يتعدى حدود الله .

وفي الآية الثانية والعشرين (رقم ٢٢) حض من الله على اقتحام العقبة النفسية التي تقف حائلا بين المرء وفعل الخير ، واقتحامها لا يكون الا بترك الرقة ، أو باطعام الطعام كما هو مذكور في الآية .

لك هي جملة الآيات التي وردت في القرآن الكريم فيما يختص بالرقيق الراسب من زمن الجاهلية ومن أسرى الحروب والذي بقي في أيدي المسلمين . وكان نظام الرقيق نظاما شائما في جميع الأمم والشعوب .

لهل وجدنا بعد هذه الدراسة واستعراض آيات القرآن ، آية قرآنية أو حديثا نبويا يفرض الرق على أحد ؟ أو ينزل بالرقيق الذي كان موجودا إلى الدرك التي نزلت به إليه ، الشرائع والنظم والقوانين التي كانت سائدة قبل القرآن ؟

إن كل ما جاء في القرآن إنما هو لتصفية الرقيق وإنهاء نظامه .

إن القرآن أعاد لهذه الفئة المكونة آدميتها ، وأعطاهما كل حرياتهما المفقودة ، وضرب بالظلمات المنحرفة والقوانين الجائرة عرص البحر وعرض الصحراء . وارتفع بكل إنسان ذكرا أو أنثى إلى مرتقى الحرية ومنازل الكمال وجعل كل الناس في مستوى واحد فكلمهم لآدم وآدم من تراب . ولا فصل لأحد على أحد إلا بالتقوى فلا أجاس ، ولا ألوان ، ولا طبقات تفضل بعضها بعضا . وكلهم في الإنسانية اخوان .

إن الذين يهتمون القرآن بضرب الرق على فئة من الناس يفترود على القرآن ، ويضلون أناس ، والقرآن يحدد بآياته المضللين والمفترين .

ما جاء في السنة :

أما ما جاء في السنة فالأحاديث والأعمال الخاصة بالرقيق إنما جاءت مطابقة لآيات القرآن وكلها للتحرير وليست للاستعباد والامتقاق . فمن ذلك قول الرسول الكريم : « أطعموا الجائع ، فكوا العاني » . والعاني هو الأسير - وحده في صحيح البخاري في (كتاب المكاتب) : وقال دوح عن ابن جريج قلت لعطاء : أراجم على إذا علمت أن له مالا - أي غلامي - أن أكتيبه ؟ قال : ما أراه إلا واجبا . وقال عمر بن دينار قلت لعطاء آثاره عن أحد قال : لا . ثم أشبرني أن موسى بن أنس أخبره أن مسيرين

سأل أنسا المكاجة وكان كثير المال فأبى ، فانطلق صهر رضى الله عنه فقال : كاتبه ، فأبى فضربه بالدرّة ويتلو عمر ، فكانت بهم ان علمتم فيهم خيرا » فكانه .

وهذه القصة المأثورة تزيّننا ان الحاكم له ان يجبر الممتنع من المكاتبه بالمكاتبه تحقيقا للحرية التى ضمنها الله لعباده ، وروى مسلم عن أبى مسعود البدرى قال : « كنت أضرب غلاما بالسوط فسمعت صوتا من خلفى » « أعلم أبا مسعود » « فأم أفهم الصوت من العصي » فلما دنا منى اذا هو برسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يقول : « أعلم أبا مسعود ، أعلم أبا مسعود » فالتفت السوط من يدي ، وفى رواية قلت يا رسول الله : هو حر لوجه الله . فقال : « أما لو لم تفعل للفحتك النار ، أو لمستك النار » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما رجل كانت له جارية ادبها فأحسن تأديبها ، وعلّمها فأحسن تعليمها . وأعتقها وتزوجها فله أجران » .

وجاء فى صحيح البخارى : قال عروة : قالت عائشة رضى الله عنها . ان بريرة دخلت عليها تستعينها فى كتابتها وعليها خمسة أواق نجمت عليها فى خمس سنين . فقالت بها عائشة - ونفست فيها - أرايت ان عددت لهم عدة واحدة ، أيعيبك اهتك فاعتقك فيكون ولؤك لى ؟ فذهبت بريرة الى أهلها فعرضت ذلك عليهم . فقالوا : لا الا ان يكون لنا الولاء . قالت عائشة : فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لهارسول الله صلى الله عليه وسلم : اشترىها فاعتقها فانما الولاء لمن اعتق ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما بال رجال يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله ؟ من اشترط شرطا ليس فى كتاب الله فهو باطل . شرط الله أحق وأولى .

فهذا الحديث يزيّننا حرص المشرع الكريم على التمتع ببحرير المسترق بدون شرط ولا قيد الا ما اشترطه الله سبحانه ومعالي فان شرطه أحق وأولى . ذلك هو عدى الله وسنة رسوله ،

ان شريعتنا السمحة لا تدع فرصة تمر الا وتمتتها لغيرها .

على الرق - فقد رأينا في القرآن الكريم أن كفارات القتل الخطأ والظهار والأيمان تحرير الرقاب . ورأينا الرسول الكريم يقول إن ضرب غلامه « الله يقدرك منك » فلما اعتقه قال له : « أما أنتك لو لم تفعل للفمحتك النار » ورأينا عمر يضرب بالدرة من يستع عن مكاتبة غلامه حتى كاتمه . إن شريعتنا شريعة الحرية وليست كما يقول الجاهلون والمطلون أنها شريعة الاسترقاق . وأما المسلمون الذين يسرقون عباد الله من ذكور وإناث فأنهم ضلوا شريعة الإسلام أو أن لهم اسلاما غير دين الإسلام الذي حساه محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

خلاصة ما جاء في القرآن والسنة

والذي نستخلصه مما مر بنا من الآيات والأحاديث . هو

أولاً : الحق للمسترق في طلب الحسرة بالكاتبة ، والزمان القضاء بإجبار سيده على ذلك . كما عرض على المجتمع معاوته بالمال . حتى يحقق حريته وينالها بأسرع وقت ممكن .

ثانياً : من قال لعبده : أنت حر بمقد وفاني فليس له أن يبيعه . . وليس له أن يرجع قيمته قال وذلك هو المدبر ومن أعتق عبده بأي لفظ كان سواء كان جاداً أو مزاحاً سكران أو صاحباً يتفقد العتق .

ثالثاً : عرض على الفوعة إخراج ثمن وإردائها من الزكاة لتحرير الرقاب .

رابعاً : جعل كفارات المالك متى الرقاب .

خامساً : إذا علم السيد عبده أو جليده فكفروته متفه .

سادساً : يقتل السيد عبده ويقطع بقطعه . ويجدع بجذعه .

سابعاً : الترغيب بتزويج الأرقاء والمسترقات من الإحرار والحرائر .

ثامناً : أمر بأن يطعم السادة مواليتهم مما يأكلون ، ويكسونهم مما يكتسون ونهاهم من كل ما يجرح شعورهم وبمس آذيتهم بالفعل أو بالقول لا جاداً أو مزاحاً ،

تاسعاً : من جله من المسترقين إلى جماعة المسلمين حردوا حالاً وليس لأحد الحق في إعادتهم للرق .

عاشراً - حث القرآن على الاعتاق ، وجعله من أعظم القربات عند الله .

حادى عشر - كل مستترفة تنال حريتها بمجرد انجابها من سيدها .

ثانى عشر - حرم اباحة المستترفة لكل من ارادها وجعل عقوبة من يفعل ذلك شديدة صارمة .

ثالث عشر - من ارتكبت الفاحشة من المستترفات فعليه دفع العقوبة لا العتوبة الكاملة كما هو الشأن مع الخائز .

رابع عشر - اذا انكر السيد عتق عبده يحلف المسترق ويضفى له بذلك وفى ذلك غرامة للقاعدة « البينة على من ادعى واليمين على من انكر » .

خامس عشر - ولاء المكاتب لمن دفع المال وهباً له قرصة التحرر وحرمان مالكه من الولاء لتلا يتقاعد الناس عن تسهيل امر الحرية لمن يطلبها .

ذلك ماصنعه الاسلام لظاهرة لا يد له قبيحاً ونظام لم يضعه . ولم يرتج اليه بل نقض قواعده من الاساس وسد منافذه ، وقضى على اسباب نضجها فى وقت كن هذا الوضع سائداً فى كل الشعوب وتعرف به كل القوانين ، وتحينه ونفعه اليه كل افلسفات ، ولم يفكره احد من المنتسبين للاديان السابقة للاسلام .

انما نكتفى الآن بما سردناه تحت هذا العنوان (ما جاء فى السنة) ولندع اعلام المسلمين من علماء وادباء ومفكرين يتحدثون عن التحرير . فى القرآن والسنة ، فان اعلام المسلمين الذين فهموا دين الله وشريعته واستشفوا روح الاسلام . واستحقوا ان يكونوا متصدين بمجالس الافتاء لم تمل بهم الاهواء الى تنطية وجه الحق . انهم قالوا الحق وجهروا به حبا فى الله ، واحلوا لشريعته السمعة البيضاء .

اولئك هم المنارات التى تضيء ظلمات الجهل ، وتحطم القصور والتماني والاستكبار ، وتصيب الجاهلين والمفرورين اصابة تجعلهم سخرة السامعين وعبرة المعتبرين .

الإمام محمد عبيد :

إذا نظرنا في تفسير « جزم عم » للإمام المجتهد الذي عُدَّ جدار الجسود والرحمة ، وجعل الجامدين والرحميين يتوازون على أعين الناس خرباً وخوفاً من أن يصرفهم الناس بالمجساة - ورفع لواء التحرر من التقليد الأعمى ، وحلص النفوس والأفكار من أوهام المغلدين حجة الاسلام الشيخ محمد عبيد رضي الله عنه .

وحيده يقول : عند تفسير قوله تعالى (فلك رقعة) من سورة (البلد) « فإراد منها - أي العبة - الطريق التي يصعب سلوكها إلى حيث نزال مسافة الدنيا والآخرة ، وأما كانت صعبة السلوك لمعارضة الهوى ومقابلة الشهوة لسلوكها . وذلك الرقبة عتقها أو المعاونة عليه ، وقد ورد في فصل العتق ما بلغ مضاء حد القوام فضلاً عما ورد في الكتاب . وهو يرشد إلى ميل الاسلام إلى الحرية وجفوقه للأمر والعبودية » .

فالاسلام - كما يقول الإمام - يجافي الأسر والعبودية . وهذا القول مستخلص من المنادى الأولى في الاسلام ، والتي بينها بوصح فيما سلف من هذا الكتاب . ولو أن الاسلام شرع الرق لما حصى على الإمام وهو الحجة الصليح شرع الله وعهدى رسوله .

وإذا نظرنا في « كتاب التاريخ السرى لاحتلال اسحقيا مصر » وهو من كتب « احترا لك » لمؤلفه العريد طست وجدداً للإمام الشيخ محمد عبيد كتاباً يست به إلى هذا المؤلف الانجليزى (العريد طست) وكان صديقاً للإمام يقول فيه : « أما عن تجارة الرقيق فتبلفكم بأن الوزارة الراحنة تصل بجد في الفائها . والدين الاسلامى لا يعارض في هذا العلماء بل بالعكس يرى أن أوامر الدين تصح من اتخاذ الرقيق الا من الكفار الذين يغفلون المسلمين . فالعبد في الواقع أسير أحد في حرب مشروعة ، أو هو أحد أفراد أمة ليست على صفاء في علاقاتها بأمراء المسلمين . وليست بينها وبينهم معاهدات أو محالصات تحميها . زد على ذلك أن الكافر الذي يسمى إلى أمة متحالفة مع أمير مسلم لا يمكن أن يؤخذ في الرق . ومن هنا يتبين لكم أن الدين الاسلامى لا يعارض في الفاء الرقيق ، كما هو الحادث في هذه الأيام ، بل هو لا يوافق على استمراره . وأولئك العلماء الذين

لا يوافقون على هذا الرأي في اجلثرا او غمرا ، عليهم ان يابوا اليها
ويعلموا بحس شيوخ الأبرار أصول ايماننا . على هذا العمل يصير
من الأمور المدهشة والعالم الاسلامي سيصغر ، ويعقد لسانه
عندما يعلم ان مسيحيا قد احدث على نفسه تعليم علماء أكبر جامعة
اسلامية أصول ديانتهم وكيفية شرح القرآن .

هذا ويستصدر فتوى من شيخ الاسلام اعلاما بان الفاء الرقيق
يرادى روح القرآن والسنة . وستجهد الحكومة المصرية في ازالة
جميع العوائق في سبيل هذا الالفاء ، ولما يبدأ يالنا حتى تمحي هذه
التجارة من جميع الأراضي المصرية .

والمفهوم من كتاب الامام هذا ان الرقيق الذي كان موجودا
بمصر لا يتفق مع روح القرآن والسنة وان روح القرآن تتفق مع
الفاء الرقيق .

ورحم الله الامام ماذا يقول لو أنه رأى الآن - وبعد مضي مايزيد
على نصف قرن من وفاته - ان هناك في غير اجلثرا وفي بلاد اسلامية
تعلماء ليسوا من المسيحيين ولكنهم من المسلمين تمتلئ دودهم بما لا
يتفق مع روح القرآن والسنة ، ولهم دعوى طويلة نقول انهم مسلمون
ومن علماء المسلمين أيضا .

الشيخ محمد رشيد رضا :

واذا تركنا الامام الشيخ محمد عبده ، وانتقلنا الى تلميذه
صاحب المنار الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله وجدناه يقول في
كتابه (الوحي المحمدي) تحت عنوان (المقصد العاشر من مقاصد
القرآن) : تحرير الرقبه ، ان استرقاق الاقوياء للصغار قديم في
شعوب البشر . ثم يقول : كانت شحوب الحصار القديمة من
المصريين والبابليين والعرب والهنود واليونان والروم والعرب
وغيرها تنفذ الرقبى ، وتستجدهم في اثنق الأعمال ، وتعامله
بستهي القسوة والظلم ، وقد اقرته الديانتان اليهودية والنصرانية
وظلل الرق مشروعا عند الافرنج الى ان حررت الولايات الامريكيه
المتحدة رقيقها في اواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، وتلتها انكلترا

باتخاذ الوسائل لمنع من العالم كله في أواخر القرن التاسع عشر ، ولم يكن عمل كل منهما خالصا لمصلحة النشر العامة - فإن لهم فيها مصالح خاصة - ولا جنوحا للمساواة بينهم ، فإن الأولى لا تزال تعضل المجلس الأبيض الأوروبي المنعطب على الجنس الأحمر الوطني الأصلي بما يقرب من الاستعباد السياسي المباح عند جميع الأفريق لشعوب ، بل يمسح الشعب الأبيض تعذيب المخالف له في لونه في الولايات المتحدة على كل ذنب بما لا يبيحه القانون ، فيتحفظه دعارهم من أيدي الحكام والشرطة ، وينكلون به أشد تنكيل ، ويشلون به أقطع تمثيل ، كما أن انكلترا تحتكر اليهود وتستبدلهم ، ولكن النهضة الهندية في هذا العهد قد خفضت من غلوائهم ، وطبقت من كبرياتهم ، وغريهما من الأفريق المستعمرين شر منهما ظلما وقسوة وكل منهما يأمون أن يصلوا في كاثس مستعمراتهم مع أبناء البلاد فيتناوبون الصلاة فيها ، فلما ظهر الاسلام وأشرق نوره المحامي لكل ظلام كان مما أصلحته من قساد الأمم ، أبطال ظلم الرقيق وأرحافه ، ووضح الأحكام المبهمة لزوال الرق بالتدريج الممكن بغير ضرر ولا ضرار ، ولا بقى ولا استكبار إذ كان انطاله دفعة واحدة عتمفوا في نظام الاحتماع المشرى من الناحيتين . ناحية مصالح السادة المسترقين وناحية مهينة الأرقاء المستعبدين .

فإن الولايات المتحدة لما حررت رقيقها كان بعضهم يضرب في الارض يلتمس وسيلة الرق فلا يجد ما يحسنه أو يقصر عليه ، فيرجع الى سادته يرجو منهم العود الى خدمتهم كما كان .

وكذلك جرى في السودان المصري . فقد جرب الحكام من الانجليز أن يجندوا لهم رزقا بعمل يعملونه مستقلين فيه مكنتين به فلم يكن فاضطروا الى الآن لهم بالرجوع الى خدمة الرق السابقة بشرط أن لا تسمح للمخدومين ببيعهم والانجار بهم .

وتعليقنا على ما جاء في كلام الشيخ رشيد رضا من تصرف الأهرليكان والاصليز لتحرير الأرقاء . انهم لم ينظروا لمشروع الرق بنظرة عميقة ، كما نظر إليها الاسلام . فهم عمدوا لتحرير الرقيق دون أن يعمدوا الى اصلاح النظرة الفلسفية للمنحرفة التي تقول : ان بعض الناس خلقوا للحكم والسيادة ، وبعضهم خلقوا للاسترقاق

وهي النظرية القديمة التي كان يقولها أفلاطون وأرسطو من اليونان
وعن من الهنود ، ولم ينظر الإسكندر والأمريكان إلى النفس -
الاقتصادي ، التي تقوم عليه مجتمعاتهم . فإن الرأسمالية في كلتا
الدولتين مهيمنة على السياسة الاقتصادية ، كما أن الاحتكارات
(الامتيازات) قائمة لديهم . أما الإسلام فقد نظر إلى النفس -
الاقتصادي وأصلحه بما فصلناه في فصول هذا الكتاب ، وقضى على
كلى ألوان التمايز ، كما قضى على جميع الفلسفات المنحرفة ، كما
بيناه في مواضعه من هذا الكتاب .

وبذلك استطاع الإسلام أن يحرر الرقيق وأن يبطل الرق
ويسد منابعه حتى لم يعد لها أثر في التنظيم الإسلامي لحياة الجماعة .

وبعد الآن لا جاء في (الوحي المحمدي) لؤلؤه السيد رشيد
رضا يقول السيد رشيد في صفحة ٢٩٠ تحت عنوان (هداية
الإسلام في تحرير الرقيق) .

« منع الإسلام جميع ما كان عليه الناس من استرقاق الأقوياء
لضعفهم بكل وسيلة من وسائل البحر والعدوان وقيدوا باسترقاق
الأمري والسبايا في الحروب التي اشترط فيها ما تقدم بيانه من دفع
المقاصد وتقرير المصالح ومنع الاعتداء وسرقة المدل والرحمة (١)
وهي شروط لم تكن قبله مشروعة عند الملئين ولا عند أهل الحضارة
فضلا عن المشركين الذين لا شرع لهم ولا قانون ولست أعني باستثناء
أن الله تعالى شرع لنا في هذا النوع من الاسترقاق كل ما كانت الامم
تفعله معاملة لهم بالمثل بل شرع لأول الامر من المسلمين مراعاة
المصلحة للبشر في امضاءه وانطاله بأن خيرهم في أسرى الحرب
الشرعية بين امرين (أولهما) المن عليهم بالحرية فضلا واحسانا
ورحمة (ثانيهما) القداء بهم وهو ذروا . عدا بالمال ، وفداء بالانفس
إذا كان لنا أسارى أو سبي من قومهم »

ثم يقول : « ولما كنا متخيرين فيما بين اطلاقهم بسير مضابل

(١) راجع المقصد الثامن من مقاصد القرآن في كتاب الوحي
المحمدي للسيد رشيد رضا »

والقاء بهم جلد أن بعدها أصلا شرعيا لإبطال استثناء الاسترقاق في الإسلام . فإن ظاهر التخيير بين هذين الأمرين أن الأمر الثالث الذي هو الاسترقاق غير حائز ، انتهى ما نقلناه عن الشيخ رشيد رضا .

والى انتهى بما نقلته عنه ولكن الشيخ رشيد أفاض في الموضوع بما أراهي لست في حاجة إلى نقل تفاصيله ، ومن أرادها فليرجع إليها في كتابه الوحي المحدث ص (٢٩٠) وما بعدها .
والذي يحس أن أقوله أن كلمات : رقي ، واسترقاق ، ورقيق لم تأت في القرآن الكريم ، ولم يذكر في أحاديث الرسول وبشواته على ظني أن هذه الكلمات لم تنسب إلى كتب الفقهاء والمحدثين والمفسرين إلا في القانون الروماني .

الشيخ محمد محمد المدني :

وبقي أيضا رأي الشيخ محمد محمد المدني عميد كلية الشريعة بالقاهرة من كتابه «المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة البقرة» .

يقول الأستاذ محمد محمد المدني في صفحة ٢٨١ وما بعدها من كتابه المذكور تحت عنوان : « ليس في القرآن الكريم أسر بالرق ولا بالتسري » .

بيان ذلك أن القرآن يتحدث عما ملكك الإيمان في نحو خمسة عشر موضعا فلا يقول أكثر من «ملكك إيمانكم» أو «ماملكك بميتك» أو «ما ملكك إيمانهم» .

بعم قد عر في بعض الآيات بقوله تعالى «والذين هم لفروجهم حافظون» إلا على أزواجهم أو ماملكك إيمانهم ما بهم غير علومهم» . ولكن هذا لم يزد عن كونه نفيا لأنهم ملاحظة على أنهم على واقع فعلي (١) تقضى الحكمة بمسايرته حتى يغير .

(١) قد سبق أن قلنا أن هذه التشريعات لرواسب الرقيق من زمن الجاهلية للحروب التي كانت مشتعلة بين المسلمين وأعداء الدعوة الإسلامية ، وهذا ذا الأستاذ محمد محمد المدني يؤيدنا فيما ذهبنا إليه . لقوله «واقع فعلي» .

للاسلام خطة يحرم عليها لتصفية الاسترقاق والتعمرى .

كل ذلك - كما يرى - يحدث عن الواقع وليس فيه تعرض
قولى للأمر به . وأقول ليس فيه تعرض نولى لاني أعلم أن السكوت
عليه أو الحديث عنه كواقع يستلزم إقراره . وأنا لا أعارض ذلك
بل أقرر أنه يستلزم هذا الإقرار ، ولكنه إقرار لاعوم له لا هي كل
الأحوال ولا هي كل الأوامر . فإن من الجائز أن يكون هذا الإقرار
السكوتي ملاحظا فيه ظروف خاصة يومئذ والدلائل تدل على ذلك .
فقد كان العالم كله معترفا بالرق ، وكان التعامل العام وإنما على
الاعتراض به ، فلم يكن من صالح المسلمين يومئذ أن يطلخوا هذا
اللون من التعامل العام دفعة واحدة ، أو أن يهتروا عن العالم
بذلك فلا يعاملوا بالمثل فيتخذوا الأسرى أوقاء كفرهم من
الأمر ، فنصت الحكمة الإلهية بأن سرج في هذا الالام ورسمت
لذلك خطة محكمة تتألف من النقط الآتية :

(أ) لم يرد في القرآن الذي هو التصوص الأصلية الأساسية
أي نص يدل على الأمر بالاسترقاق أو اتخاذ الإماء سرايرى . وإن كان
ذلك لا يمنع أن يتحدث القرآن عن هذا حديث من يعرفه ويفقه كواقع
ويرتب الأحكام التشريعية على أساس واقعيته التي تمضى الحكمة
أن تتحرك مؤقتا .

(ب) تتكفل التصوص من الكتاب والسنة ببيان أن الرق واقع
مكروه وتشريع ما يكمل تصفيته من العتق في مناسبات متعددة
كال كفارات والوان العرب والركاة والصدقات وعقوبة من يشغل
بعبء يهتفه عليه ونحو ذلك .

(ج) بقصر مورد الرق على الأسرى في حرب لأعلاء كلمة الله تعالى
وقبى هذه الحرب لا يجوز للمسلمين أن يتخذوا أسرى حتى يشعروا
في الارض أى حتى يظهروا فيها ويطلوا كلمة الحق والنوحيد فإذا
أخذوا في حرب وانتصروا كان لهم أن يأمرؤا جيشه . ثم كان
لأولياء الأمر الخيار المقرر بقوله تعالى وهما منا بعد وإما فداء أى
فأما أن تصدوا عليهم منا فتطلقهم ففصلا عليهم واحسانا بغير مقابل
وأما أن تأخذوا منهم فداء أى تطلقهم بمقابل . وعلى هذا فلا ذكر
صراحة للاسترقاق وإنما يكلف بعضهم فيجعل الاسترقاق داخلا

النس ، لان المن اما ان يكون كاملا باطلاقهم دون معابل ، واما ان يكون جزئيا باعتاقهم من القتل مع استرقاقهم ، وبعضهم يحاول ادخال الاسترقاق تحت الفداء فيقول ، ان فداء حياتهم - اما ان يكون بمعابل يبدلونه ، او بنفس الأسير حيث يستعد ويسترق ثمتا لابقائه حيا دون قتله ، ولا يحفى ان هذا وذاك تكلف يراد به تبرير الاسترقاق ، ومحاولة اثبات أنه محير فيه بص القرآن (١) .

تلك هي المحطة التي وضعها الاسلام لتصفية الرق وتهيئ في مداخله ، وتوسيع في مخارجه ، ولا ينبغي أن يؤخذ الاسلام بعمل المسلمين فيما نصبه حينما كان الاسترقاق خارجا على هذه الخطة ، او كان الخلفاء من أمويين وعباسيين وغيرهم من الأعيان يتحكمون الشراري بغير تميد بل بتوسع واسراف ، فان ذلك مناف لروح الاسلام (٢) وان ادخل على النصوص بالآراء والاقوال وتأويل الرجال :

والآن وقد اتفق العالم على مسح الرق فليس في نصوص الشريعة ما يمنع من مجازاة الدنيا في هذا الاتفاق الإنساني ، بل ان المسلمي اذا أبوا الا استمراره والتعامل به فيما بينهم يكونون قد أساءوا الى أنفسهم وإلى تعاليم شريعتهم لقاء التمسك بأمر لم يوجهه الله ولم يقره بشريعا دائما كما أوضحنا . انتهى عاقلناه عن الأستاذ محمد محمد المدني .

الأستاذ إبراهيم أبو القشيب :

وهنا أسناد من اساتذة كلية الشريعة بالقاهرة يقول في

(١) لاشك انه تكلف سخيف لايقوله الا مفرص يدفعه الفرس الذي . لثل هذا السخف وما أكثر السخف والمفرصين الذين شوخوا ديننا وحملوا لفتنا مالا تحتل . ولوثوا الأفهام وأبصوها عن الصفاء والاستقامة .

(٢) وما زالت هذه المخازي التي يكرها الاسلام ويحاربها القرآن حارية في قصور بعض الحكام بأسراف كاسراف العباسيين والأمويين . وما زال بعض الدين يدعون أنهم علماء الدين يبيحون ذلك لأنفسهم ولأولياء أمورهم ، وما زال في تلك المجتمعات الجاهلة عن يقلدهم ويتأسي بهم ونسبت الأسوة السيئة .

كتابه ، الاسلام المظلوم (ص ١٩) وما بعدها) ومن مقترحات
 حصوم الاسلام ودعواهم انه في الوقت الذي ينادى بمحسنة في
 البشرية كلها بان الناس كلهم لادم . وادم من تراب لافضل لعربي
 على عجمي الا بالتقوى كمال الاسترقاق عنده مشروعاً وعبودية الناس
 بعضهم لبعض قائمة وهو تمويه للحق وبهتان على التاريخ ، لان
 الاسلام جاء والرق ضارب اطنابه لا في البلاد العربية وحدها ولكن
 فيما حوالها - كذلك - من الممالك والامصار - ولم يكن له طريق
 واحد واسلوب خاص ، وانما كانت طرقه متنوعة كلها يحمل عليها
 الحاجة « أو يلجأ اليها السلطان الفاشم ، والجبروت الظالم ،
 والحاكم المسلط ، والمستبد الجائر الذي كان يرى من حقه على الرعية
 ان يكونوا عبيداً له من دون الله »

كما قال فرعون « ما علمت لكم من اله عيرى » والويل كل الويل
 لمن يشذ عن الخضوع له والتعاني في طاعته . ولذلك أمثلة يطول
 شرحها ، ويراضى بها الحديث عنها والتعرض لها .

وقد كان في كثير من الاوقات الحاج الضرورة على الفقير المعوز ،
 والبائس الملهم ، يسوقه الى أن يبيع نفسه ببيع السلعة ، ويبدل
 كرامته بذل الصعقة لانه لا يجد مخلصاً في الضيق . ولا فكلاً من
 الكرب . ولا مبيلاً الى الخروج من المآزق التي يورط فيها سوى أن
 يمرض آدميته هذه المرض الدليل . وكان الرق الذي يجنيه من
 الحروب ويخرج من أسرى القتال أقل من أن يذكر . والحديث
 عن احساس الارقاء بالمائة . وشموخهم بوجودهم وتقديرهم لمعنى
 آدميتهم يندى له الجبين . وتنقطع له يابط القساوي . وتعتنت
 من موله الأحشاء . وهذا تصوير يدل على أن الناس كانوا يعيشون
 في هذه الدنيا عيشه الوحوش الكاسرة ، والحرائيم التي لا يجد لها
 سوى الاستئصال . فقد أحبرنا القرآن الكريم عن لون من تلك
 الألوان البقيضة التي كانت في الجزيرة حسنة (١) مما يظهر منه

(١) ليس في الجزيرة وحدها بل في كل العالم وقد مر بنا في
 الفصول السابقة ما كان يصنع الرومان والامبرطيون والانيثيون
 وغيرهم من أنواع البغاء الذي كانوا يدفعون اليه العتيات والنساء
 ومنه ما كان يسمى بالبغاء الديني عند الاغريق وغيرهم .

ان المفوس حدث من الشعور النبل ، والدوق لسليم - ذلك انهم كانوا يستخرون الجارية لاختراف الرن طمعا في الحطام القاسي .
والما انحقير . على الرغم من كراهتها له وبورها منه وعدم رغبتها فيه وبزلت الآية (ولا تذكروا فتياتكم على الفداء ان اردن تحصننا لتبتقوا عرض الحياة الدنيا) تدبر بهم ونسفه احلامهم وتعلن اليهم انهم اتحدروا الى اقصى ما تنزل اليه العقول الوصيصة . والافكار الحيرة . والبول المسهية .

ولما آذن الله لهذه الاسامية المعدة ان تخرج من الظلمات الى النور - وحله محمد صلى الله عليه وسلم لاسعاد البشرية من ذلك الموت الذي كانت تعانيه . كانت بعالمية الرشيدة وادبها الحميمة تجعل هؤلاء الارقاء احوالنا في الدين وشركاها في الحماية وزملاها في الاسامية ولايصح ان تكون الظروف التي لحاطت بهم ، والنوادر اسي اسابتهم حرية يؤاخذون بها ووروا يحدسون عليه . والله قتله بعصمكم عن بعض في الرزق فما الدين قصاوا برادى رزقهم على ما ملكت اسيابهم وهم فيه سواء اقبصة الله يجعلون . وهناك احد الاسيد يعاملونهم معاملة اخرى . ويؤمنونهم ميزان كرمهم متى آدم ومات حواء بصرف النظر عن غير ذلك من الملائكات التي ليس لهم فيها يد مصرفة ، أو حيلة موحية ، أو اختيار مسبب . . . وحملت الشريعة المرأة تحرير الرقة ، وعنت العبد أو الجارية بانها من ابواب الطاعة ، ومعنى من معاني الرلفي الى الله سبحانه حيث قتلها حواء لبعض أنواع العتل (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقية مؤمنة ودية مسلمة الى أهله) ورغب الموتى في ان يتمتع باب الحرية واسعا ليعتد منه الرقيق على أي شكل أراد من طريق المكاتبه أو غير ذلك من الطرق والمجاهات .

وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال . دلس على عمل يدخلني الجنة فقال له . عتق المسية وفك الرقة . . . والاسلام يشهد الكبير على من يساوى العبد أو الجارية بهذا الوصف الذي يشعر بالدلة . . . ويسى عن المهابة . يا عبد أو يا حارية . ويجعل مكانهما يا فتى أو يا فتاة . ويسمى على من يسأل في العنف منهما . من لطم مملوكا أو ضربه فكفارته ان يستقته . .

ولو اننا رحنا نستقصى الفرس التي اتاحها الدين للعبيد أو

لئلا ننتهي حياتهما بالحرية المحبوبة والانطلاق من اسرار الرق
 اليهم لوجدناهما اكثر من فرصة ولكننا نتقبل الى أسلوب آخر
 من الاساليب لجعل ما بين السيد والملوك من صلة لا تقل عن الصلة
 التي تكون بين اثنين يجمعهم نسب ولقد ذلك انه يحصل المولى
 مسئولا عن بعض معاربه وحنانياته ، ومطالبنا بتسديد ديونه ان كان
 عاجزا عن سدادها ، ولولا له في عقد الكناح وفي القصاص والمطالبة
 بالدية وغير ذلك من الاساليب التي تدل على تمكن الوثائق وقوة
 الروابط .

وعلى هذا فان الاسلام لم يشرع الرق بل قضى عليه وأزاله .

السيد عميد الخطيب :

وهذا أحد علماء الحجاز الاعلام ، وأحد المدرسين بالمسجد
 الحرام ، السيد عبد الحميد الخطيب ، يقول في كتابه القيم « أسرار
 الرسالات » تحت عنوان (نظام الرق) ص ٥٥٠ وما بعدها :

فسر علماء الاسلام الرق بمعنى استعباد الانسان لغيره من
 احواله في الاسامية ويبيحوا أحكامه ، ولم يتعرضوا لحقيقة ذلك
 وانقاية منه ، فاتخذ القرييون من ذلك سبيلا للطعن في الاسلام
 وفاتهم أن الاسلام الذي جاء لتحرير الانسان من روق العبودية لغير
 الله لا يمكن أن يقر استعباد شخص لآخر . وقد قال سيدنا عمر . ومضى
 استعبادتم الناس وقد جعلهم الله احرارا ، والاسلام الذي قدم على
 احترام الحقوق واقامة العدل لا يتصور أن يمر الظلم بأي حال من
 الأحوال خصوصا اذا علمنا أن تلك الانسان لأخيه الانسان أمر
 كانه شائما في العصور الأولى ، وكان في الأمم المتوحشة أناس
 يسرقون بعض الناس من الأمم المستعصمة ويمتلكونهم بهذه الرقة
 ويبيعونهم في الأسواق . حتى كان المصريون ، والبابليون ، والفرس
 والهنود واليونان والروم ، والعرب يتخذون المالك ، ويستغفونهم
 في أشق الاعمال ، وكان من عادة بعض الأمم الفقيرة أن يبيع الرجل
 بعض أبنائه ليشتري بثمنه ما ينفع على نفسه ، فجاء الاسلام محرما
 كل هذا .

عد حقيقة اذا سلمنا بها وجب أن نبحث عن السر فيما يسمونه

من أعمالهم الخاصة إلى أن يتسنى لهم دفع المديونية المطلوبة منهم .
أو يرق قلب محتومهم فيحرروهم من الأسر .

فسر الأسرى بهذا الحكم . وفدى كثير منهم نفسه بالمال حتى
بده كان من ضمن الأسرى روح ابنته فاحسنت زوجته لرسوله
بعدائه فأطلق سراحه . وأمر بفك ابنة حاتم الطائي نظرا لما كان عليه
أنبوا من مكارم الأخلاق . وعاد صلى الله عليه وسلم . فلم تقبل
هبة الشريفة أن يسوى بين دوى العلم والجهلاء من الأسرى فأمر
بفك لسرى العلماء على أن يعلم كل أسير عشرة من المسلمين مما علمه
الله وكان من أهم العلوم لديه القراءة والكتابة ، لكن يصح على الأمية
بين قومه . ثم عاد فقدر ضعف المرأة وحاجتها إلى الرحمة فأباح
للمرجل الاستمتاع بها بدون عقد ليكون من هذا وسيلة لتبادل الآله
والحبة والحكام روابط العرى والرحم والأخوة ، وحفل من استيلائهم
سبيلا لتحريرهم من رق الأسر . وأحد يدعو إلى تحرير من بقى من
الأسرى يستعمل الوسائل فشرح مكاتبهم على شيء معين يتحدرون
بإدائه من حالة الأسر ، وحسن على موقوفهم عليه حتى أن جويرية
بنت الحارث وقعت في الأسر . وكانت من نصيب ثابت بن قيس
ابن شماس ، فكاتبها على نفسها . فذهب إلى النبي صلى الله عليه
وسلم تماله أن يعينها بما يمكنها من دفع ما تعاقبت عليه من فداء ،
فأجابها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طلبها . وقال لها بل
لك ما هو خير من هذا . فقالت . وما هو يا رسول الله قال أتص
عنك كتابك . واتزوجك ؟ فقالت نعم . فقال : لقد فعلت ، ودفع
عنها ما عليها وتزوجها . فلما علم الناس بهذا قالوا : لقد أصبح
يو المصطفى أصهار النبي وسارعوا إلى تحريرهم من الأسر . وفي
هذا يقول تعالى : والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم
إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ، (١) ولم يكتب
بهذا . بل أخبر الناس بأن الإحسان إليهم بالعق من أهم القربات
إلى الله المتجبة من عذابه . حيث قال : فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك
ما العقبة فك رقبة أو أطعام في يوم فدى مستقبة . (٢)

(١) سورة النور

(٢) البقرة .

وحصله تعالى كغزاة كثير من الجهاد والآنم وقد صلى الله عليه وسلم . « أما رجل اعتق امرأ مسلماً استنقذ الله بكل عضو عضواً منه من النار » .

واحد يوضح للناس معنى الرق وما يجب أن يعامل به الأرقاء . حيث قال . « هم أحوالكم وعونكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلموه ما يغنيهم فإن كلفتموهم فأفسدوه عليه » . وبهي أن يلتموا بالعبد حيث قال صلى الله عليه وسلم . « لا يقول أحدكم عبي وأمتي ، ولا يقولن المملوك ربني وربني . وليقل المالك فتاه وفتاتي . وليدع المملوك سيدي وسيدي فأتكم المملوكون والرب الله تعالى » .

وأمر بالمعروف عمنهم في حاله ما إذا بدا منهم قصور في عملهم فوجب المواجهة إذ جاء رجل وقال . يا رسول الله كم أعفوا عن الخادم تصمت ثم قال أعف كل يوم سبعين مرة ، ونهى عن ضربهم ، وقال من لطم مملوكاً أو ضربه فكفارته أن يستقه .

وروي ابن مسعود قال كنت أضرب عبداً لي بسوط فسمعت صوتاً من خلفي يقول . اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا السلام . فالتفت فوجدت العائل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرمه أن يضرب مملوكاً بعد ذلك أبداً (١) .

وقال أيضاً . « من قذف مملوكه وهو بريء مما قال أقدم الله البعد عليه يوم القيامة » .

لقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في معاملة الموالى إذ قرب إليه ويلاً عتيقه وزوجه بابنة عمته ، وولاه قيادة جيش الجيوش ، ولما جلفه خبر موته بكى عليه وعطف على ابنه أسامة وقال « من أحبني فليحب أسامة » ثم ولاه قيادة الجيش مكان والده ، وهو حتى في العشرين من عمره وجعل أكابر الصحابة من جنده ، وقد سمى الله أولئك الأرقاء باسمهم الحقيقي وهو (الأسرى) وأمر رسوله أن

(١) قد تقدم نقلنا لهذا الحديث وقد اعتق ابن مسعود عبداً وقال الرسول لولا أنك لم تعمل للعبتك النار أو لممتلك النار . راجعه في موضعه .

يعطي خواتمهم حيث قال : « يا أيها النبي قل إن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبهم حيرا يؤتكم حين مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم » (١) والنبي أنكم إن تؤمنوا بقلوبكم ناله يشكم على الإيمان والرضا بعضه الله أكثر مما انزع منكم من الحرية التي كنتم فيها مع التردى في الفصل - عقد في حقيقة الرق في الإسلام ، وتلك هي تعاليمه في معاملتهم ، أين منها ما يراه اليوم من معاملة الأسرى لدى الأمم التي تدعي الحضارة والمدنية ، وتمتد الرق ونحوه من أنواع التعسف والاضطهاد والتكيد بهم ، وصحاحهم في الأعمال الشاقة دون رحمة أو شفقة " لا بل أين هنا مما تقدم عليه الدول المستعمرة من استبعاد التسويب الضعيفة ، وامتناع دعائهم ، والتحكم في مقدراتهم بما يتنافى وحقوق الإنسان على أخيه الإنسان »

أما استرقاق العبيد والحواري في عصرنا هذا عن غير طريق المهاد بوسائل أخرى غير مشروعة وبوساطة القراصنة ، فهذا ما لا يعرفه الإسلام ، ولا يطبق عليه أحكامه خصوصا فيما يتعلق بالاستمتاع بالحواري مهن ولا يكون عمل المسلمين فيه حجة على الإسلام . شأنهم في ذلك كشأنهم من جميع تعاليم الإسلام التي آمنوا اتباعها ، وأنوا بهذا نتيجة تقليد لهم لأقوال بعض العلماء (٢) دون الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله .

الشيخ عبد العزيز جاويز :

والشيخ عبد العزيز جاويز أشهر من أن يعرفه مني ، وهو من العلماء الأحرار الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، ومنهم من هو

(١) سورة الأنعام .

(٢) إن الدين يسمح بالرق والاستمتاع بالحواري ليسوا علماء وإنما هم من أهل الجاهلية . ولكنهم من سوء الحظ استطاعوا في غفلة من الزمن أن يرتفعوا إلى مقام العلماء ، وأن يضلوا المعاهم وسواكاتهم كثيرا من المسلمين . فاصابوا المسلمين في حقائدهم فكانوا الشررة التي نفذ منها أعداء الإسلام لطفن الإسلام والمسلمين

الاسلام على حقيقته ، ووقفوا حياتهم للنسب عنه ، وتخليص الافهام
مما علق بها من اعوجاج وانحراف .

يقول الشيخ عبد المير جايش في كتابه (الاسلام دين
النفرة) ص ٥٨ وما بعدها .

(١) سوى الاسلام دين الامم من غير اعتبار اختلاف اصنافها
والنوابها فصوى دين الاسود والابيض ، والبنوى والمنعصر ، والرعايا
والمرعيين ، والرجال والنساء ، والمسلمين والنصارى واليهود ماداموا
في سلم . انظر الى المسلمين في المسجد يؤدون الصلاة ، او في مكة
وعم يعجبون البيت الكريم او في المحاكم الشرعية في صدر الاسلام
اقتصد عيهم من مقدم ومؤخر ، او من فاضل ومفصول ؟

كيف وافقه تعالى حمل المؤمنين احوة كما لم يجعل بينهم تباوتا
الا فقدر ما يتفاضلون به من الحق فلقد قال عليه الصلاة والسلام في
حطبة الوداع .

« ايها الناس ، ايما المؤمنون احوة ، ولا يجعل لامرئ مال احيه
الا عن طيب نفس ، فلا ترحن بعدي كفاروا يضرب بعضكم بعضكم رقاب
بعض ، فاي قد تركت فسكنكم ما ان اخذتم به لن تحصلوا بعدي .
كتاب الله ايها الناس ان ربكم واحد ، وان اناكم واحد ، كلكم لادم
وادم من تراب ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لمرئ فضل على
عبيي الا بالتقوى . »

اي هنا ما يفعله اهل امريكا حتى الان وهم في مقدمه الاسم
حساسة وعلماء ؟؟

ازدري البيض منهم السود . وامتهنوهم لسواد الرانهم ،
وتجسبوهم ؛ وحرموهم كثيرا من المزايا التي استمتع بها البيض ؛
ولطالما نشرت الجرائد ما يفعلون بهم من الفتك ، والمقت والتجاني عن
مخاطبتهم حتى لقد حصصوا لهم في مراكز السكك الحديدية مقاصد
خاصة بهم لا يجوز ان يتجاوزوها الى غيرها .

وعم كثير من الناس لا سيما من غير المسلمين ان الاسلام اياح
للناس اختطاف غيرهم من السود أو البيض مستغلين على ذلك بما

كان يعمله النخاسون من أهل الياض وأهل السودان وكثير من
الأتراك - وقد تقدم لنا (١) أنه لا ينبغي الاستدلال على صحة الدين
أو فساده بما يفعل أهله ، فإن هذا من العبث الذي ينبغي أن تصان
عقول العقلاء عنه -

إن الشرع لا يبيع أن يسرق مسلم أصلا . ثم إنه لا يبيع معه
ذلك إلا استرقاق أسرى حرب شرعية . لم تقم إلا لإعلان كلمة الله
تعالى مراعى فيها أن تكون مسبوقة باعتداء غير المسلمين عليهم .
ومن هنا يؤخذ أن أسرى الحروب التي أقامها كثير من أمراء المسلمين
وحملاتهم لا لفرص سوى السلب والنهب والبطش مع العدوان على
الخير لا يجوز استرقاقهم بحال سواء أكانوا مسلمين أم كافرين
أم وثنيين أم مجوسا -

أما استرقاق غير المغاربة ممن لا كتاب لهم ولا شبه كتاب
كعبدة الأوثان فقد قال مالك وإشاقفي وأحمد في إحدى روايتيه أن
ذلك لا يجوز مطلقا -

عماذا ترى فيمن يصبوه إلى الصحاري . ويختطفون ما وصلت
إليه أيديهم من السودان وغيرهم (٢) . ثم يجلبونهم كما يجلبون المتاع
فيعرضونهم في الأسواق عرس الحيوانات المعماء . وكثير منهم
مسلمون ؟؟ وعماذا ترى في كثير من الأمراء وشيوخ المسلمين يبيعون
أهلهم ويسودونهم كما يسام المتاع ، ثم يسوقونهم إلى بيوتهم أما
للخضعة ، ولما للاقتراض ؟

وعماذا ترى في الفرية التي يتجهها اقتراش انتمى على هذا
الاسترقاق القاسد ؟

(١) راجع كتابه «الاسلام دين العطرة» فإن به مباحث اسلامية
قيمة .

(٢) ممن يسودهم بلوشيات وكرجيات ويعترشونه ويهدونهم
الذين ضيقتهم يعترشونه أيضا . ان ذلك واقع أناس يرفعون الاسلام
ويتجهجون عند كل مناسبه أنهم حصة الاسلام والمسلمين . - هل
هؤلاء يخادعون أنفسهم أم يخادعون حالكهم ، أم يخادعون الناس ؟
دعهم في ضلالتهم وجهالتهم حتى تأتيهم القارعة .

ان الدين ليرى بما حى عليه أولئك الطغاة الجبهة ، ومظاهرهما
الصقوة به من ذلك الدس والرحس . قد سولت لهم يومئذ
الحبيثة ما شامت أن تسول فافتاتوا على الله ، وتسبوا فيه ما تسبوا
معتولين عليه ، وهذا قرآنه الكريم هـ ثم باطى بتكديسهم وتأييدهم .

واعلم أن هناك نوعا من الاسترقاق قشما فى المسلمين أيضا
وهو لا يبيحه الشرع أيضا . ذلك أن بعض أمم آسيا كالقوقاز وغيرهم
قد يحتو بهم العقر المدقع (١) الى جلب مائتهم بأيديهم الى أسواق
المناس الإسلامية . ومن صفار جدا - ليسبعوا الى الامراء والمترفين من
الرجال ، ولعد يكون منهن المراهقات والنساء حتى اذا صارت احداهن
فى ملك أحد استباح منها واتخذها فراشا ، محتاح الله بما عتقه من
السمة القاسية . وما يصدع الا نفسه من حيث لا يشعر . فيظل
طول حياته مستبيحا ما حرمة الاسلام ، ويدخل فى دينه ما أمته
عليه التوسوس والاوهام .

هذا ولعدك الى ما يتعلق بالرقى فى الاسلام . نقول

١ - كل من أسلم من الاسرى عصم نفسه وماله .

٢ - مجرد تحول المملوك المخارب دار الاسلام آمن له من السبي
عنه مالك والشافعى وأحمد بن حنبل .

٣ - للرفيق فى الاسلام أن يتزوج بنت سيده فيتعلم بذلك
سيد البيت .

أين هذا مما سبق لنا نقله (٢) من قوانين أوروبا فى القرن
الثالث عشر من بحريم الزواج بين الارقاء ، وكذا بينهم وبين الاحرار ،
وأنه يجب قتل المرأة التى يتزوجها عبد كما يجب احراقه حيا .

ولنكتف بما نقلناه من كتاب الشيخ عبد العزيز الجاويش بهذا

(١) ان سبب ذلك فساد النظام الاقتصادى الذى أصبح
الاسلام . ولكن المسلمين لم يستجيبوا لله ولرسوله ، فكابوا منه
على الاسلام .

(٢) راجع كتاب (الاسلام دين الفطرة) .

«الفرد» ، فإنه انتم بحثه بالأحاديث الواردة عن صلصلة الاسرى . وقد
تقدم ذكرها فى غير موضع من هذا الكتاب .

الاستئذان سميك كقطب :

والاستئذان سيد قطب داعية اسلامى مشهور يقول فى تفسيره
المسمى « فى ظلال القرآن » (ج ٢ ص ٦١ وما بعدها) عندما يتعلق
الامر أو النهى بمسألة اعتقادية أو أخلاقية فإن الاسلام يقضى فيها
بما يريد قلبه حاسما منذ اللحظة الاولى .

ولكن عندما يتعلق بمادة شعورية ، أو بوضع اجتماعى ، فإنه
يسرّث ويأخذ الامر بالميسر والتدرج حتى يبلغ الى الهدف الذى يرمى
اليه فى رفق وهوانة .

فعندما كانت المسألة مسألة عقيدة كالشرك أمضى امره
بتحريمه فى حطوة جازمة قاطمة ، كذلك صنع فى تحريم الزنا
والسرقة والنفسى والحيانة - - الخ لأن التحريم البات هنا ابطال لامر
ليس عميق الجذور فى أعماق النفس أو أعماق المجتمع ، ولا يترتب
عليه انتقال معاجىء من عادة الى عادة ، أو من وضع الى وضع .

فأما فى الخمر والميسر فقد كان الامر أمر عادة شعورية والم
وعرف ، والمادة تحتاج أحيانا الى التدرج فى تركها . فهذا بتحريك
الوحدان الدبى ، والمنطق التشريعى فى دعوى المسلمين بأن الانم فى
الخمر والميسر أكبر من النفع وفى هذه إشارة الى أن تركها أولى . - تم
حاصت الخطوة التالية بتحريم الصلاة على السكارى حتى يملأوا
ما يقولون . يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون ، -

والصلاة تقع فى خمسة أوقات معظمها متقارب لا يكفى ما بيننا
للسكر والانفاقة - وفى هذا تصييق لقرص المزاوله العملية لمادة
الشرب بعد تصييق العرس الشعورية بما قدم من أن الانم أكبر من
البلغ - - حتى اذا تمت هاتان الخطواتان جاء النهى الحازم واللاحق
بتحريم الخمر والميسر . انما الخمر والميسر والاهصاب والازلام
رجسى من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، -

وأما في الرق فقد كان الأمر وضع اجتماعي . وعرف دولي . في استرقاق الأسرى ، وفي استخدام الرقيق ، والأوضاع الاجتماعية تحتاج إلى تعديل شامل لقوانينها وأحكاماتها . والعرف الدولي يحتاج إلى اتفاقات دولية ، وصاحيبات جماعية ، ولم يأمر الإسلام بالرق قط ، ولم يرد في القرآن نص على استرقاق الأسرى ، ولكنه جاء فوجد الرق نظاما عالميا ، ووجد استرقاق الأسرى عرفا دوليا . فلم يكن بد أن يتربص في علاج هذا الوضع الاجتماعي القائم والنظام الشامل ، وقد أخذ أن يصحف منابع الرق وموارده حتى ينتهي بهذا النظام كله مع الزمن إلى الألفاء دون إحداث هزة اجتماعية لا يمكن ضبطها ولا قيادتها .

بدأ بتجفيف موارد الرق ومنابعه كلها فيما عدا أسرى الحرب الشرعية ذلك أن المجتمعات المعادية للإسلام كانت تسترقق الأسرى المسلمين حسب العرف الدولي العام في ذلك الزمان . وما كان الإسلام قادرا يومئذ على أن يجبر المجتمعات على مخالفة ذلك العرف الدولي . ولو أنه قرر إبطال استرقاق الأسرى لكان هذا إجراء مقصورا على الأسرى الذين يقعون في أيدي المسلمين .

بينما الأسارى للمسلمون يلاقون مصيرهم السيئ في عالم الرق هناك . وفي ذلك أطباع للمعادين للإسلام في أهل الإسلام .

لهذا الوضع الاجتماعي القائم لم ينص القرآن على استرقاق الأسرى بل قال : فأما ما بعد وإما البدء حتى تضع الحرب أوزارها ، ولكنه كذلك لم ينص على عدم استرقاقهم . وترك الدولة المسلمة تعامل أسراها حسب ما تفتق عليه مع معاربيها فتفدى من تفدى من الأسارى من الجانبين ، وتبادل الأسرى بين الفريقين ، وتسترقق من يسترققون المسلمين كي لا يصحج الأسارى بين المسلمين أرقاء والأسارى من الكفار طلقاء وذلك إلى أن يتسنى تنظيم هذا العرف باتفاق .

وبتجفيف موارد الرق كلها فيما عدا هذا المورد التي لا احتياز للإسلام فيه يقل العدد ، وهذا العدد القليل أخذ يعمل على تحريره بمجرد أن ينضم إلى الأمة الإسلامية ويقطع صلته بالكفار المحاربين . يحصل للرقيق حقه كاملا في طلب الحرية بدفع فدية عنه يكاتب عليها

سينه - وعند هذه اللحظة يملك حرية الفصل ، وحرية الكسب والتملك ، فيصبح أجر عمله له ، وله أن يعمل في غير خدمة سينه ليحصل على ثديته . ثم له حصيبه من بيت المال في الزكاة ، وللمسلمون مكلفون فوق هذا أن يساعفوه بالمال على استرداد حريته . وذلك عبر الكمفارات التي لا تقصى الا يفتق رقبة كالقتل خطأ . وفدية اليمن والظهار وما اليه . وبذلك ينتهى وضع الرق بآية طيبية مع الزمن لانه عميق الجذور فى التنظيم الاحتشاعى والعرف الدولى .

وعلى هذه الطريقة سار الإسلام فى أواخره وبواحيه وهى علاج انحرافات النفس ، وانحرافات المجتمع ، وتقويم العطرة البشرية وردھا الى سوة المسيل .

ثم يقول سيد قطب فى كتابه (فى ظلال القرآن) (ج ٤ ص ٨٣) عند تفسير قوله تعالى : ان حفتكم الا تصلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم .

ان الزواج عن أمة لا يحتاج الى القول بأنه رد لاعتبارها وكرامتها الإنسانية فاما التسرى فعليه أهانه لأبنتها ما فى ذلك شك أيضا . ولكن الضرورة التي أباحت استرقاق الأسرى والتي عرّضناها هناك (١) هي ذاتها التي اقتضت إباحة التسرى ، لان مصير المسلمات حين يؤمرن كان كذلك بل هو شر من ذلك (٢) فهي اذن المعاملة بالمثل (٣) اذن حتى يمكن الاتفاق على نظام لاسرى الحرب خير من ذلك النظام الذى كان يسود العالم يومذاك .

على انه يحسن الا ننسى ان هؤلاء الأميرات المسترققات لهن مطالب فطرية يحسم حساساتها فى حياتهن فاما ان تتم عن طريق

(١) يقصد ما قدسناه من قوله الذى نقلناه من الجزء الثانى .

(٢) ان غير المسلمين يبحن الاسيرة لكل من ارادها . أما الاسلام فيحرم ذلك ولا يبيحها الا لمن هو فى يده .

(٣) ان عدم ايجتها لمن ارادها أشرف من ايجتها لكل من ارادها فهي معاملة بالمثل مع الفارق .

الرواج حين يتحررون ، وأما أن نتم عن طريق السرى ما دام نظام
استرقاق الأسرى بضروراته قائما -

أما ما حدث في أيام بني أمية وبني العباس ومن بعدهم من
تلك الحيوانية الشبهوانية حيث كانت تزدهم القصور والجواري
والسراري عن طريق الشراء فقد لعبت فيه النحاسة دورا هاما ،
والاسلام يرى منه وهو مخالف لروح الشريعة بلا جدال .

الاستاذ محمد قطب :

والاستاذ محمد قطب شاب عربي مثقف - يمارس تعليمه بدمه
وحقوق قويم وهو يلتزم بغيره على الاسلام ويمتليء إخلاصا له وبنائه
ونظمه ونشريعاته . وله مؤلفات قيمة في هذا الشأن ومن بينها كتابه
« شبهات حول الاسلام » وقد كتب فيه تحت عنوان (الاسلام
والرق) بحثا قوى الحجة - شائق الأسلوب رأيت أن أقتله حرفيا
بجملته . من صفحة (٢٧) الى صفحة (٦٣) -

يقول الاستاذ محمد قطب :

الاسلام .. والرق :

ربما كانت هذه الشبهة أحيث ما يلعب به الشيوعيون لزلزله
عقائد الشباب ؟ يقولون

لو كان الاسلام صالحا لكل عصر - كما يقول تعالى - لما أباح
الرق .. وإن أباحه للرق لفيلق قاطع على أن الاسلام قد جاء لفترة
محدودة ، وأنه أدى مهمته وأصبح في نه التاريخ -

وإن التضييق المؤمن ذاته لتسلوه يحصى الشكوك ! كيف أباح
الاسلام الرق ؟ هذا الدين الذي لا شك في نزوله من عند الله ولا شك
في صدقه ، وفي أنه جاء لخير البشرية كلها في جميع أحوالها ..
كيف أباح الرق ؟ الدين الذي قام على المساواة الكاملة ، الذي رد
الناس جميعا إلى أصل واحد ، وعاملهم على أساس هذه المساواة في
الأصل المشترك .. كيف جعل الرق جزءا من نظامه وشرع له ؟

لو يريد الله للناس أن ينقسموا أمدا إلى سادة وعبيد ؟ أو تلك

منسبته في الأرض ؟ أو يرضى الله للمخلوق الذي كرمه إذ قال :
 « ولقد كرمنا بني آدم ، أن يصير طائفة منه سلعة تباع وتشترى
 كما كان الحال مع الرقيق ؟ وإذا كان الله لا يرضى بذلك ، فلماذا لم
 ينص كتابه الكريم صراحة على إلغاء الرق . كما نص على تحريم
 الحر والميسر والزنا وغيرها مما كرمه الإسلام ؟

وان هذا الضابط المؤمر ليعلم أن الإسلام دين الحق ، ولكنه
 كدراهم . وقال - أو لم تؤمن ؟ قال بلى ، ولكن لطمش قلبي ! »

أما الشباه التي أفسد الاستعمار عقله وعقائده . فإنه لا يلبث
 حتى يتبين حقيقة الأمر . وأما يميل به الهوى فيقرر دون مناقشة
 أن الإسلام نظام عتيق قد استشف أغراضه !

وأما الشيوعيون خاصة فاصحاب دعاوى « عمنية » مزيفة ،
 يتلقونها من سادهم هناك فيستشعرون بها عجباً ، ويحسبون أنهم
 رفعوا على الشيعة الأبدية الخالفة التي لا مراة فيها ولا جدال ، وهي
 المادية الجدلية التي تقسم الحياة البشرية إلى مراحل اقتصادية معينة
 لا معنى عنها ولا محيص . وهي الشيوعية الأولى ، والرق والإقطاع ،
 والرأسمالية والشيوعية الثانية (وهي نهاية العالم !) وأن كل عاصرت
 البشرية من عقائد ونظم وأفكار ، إنما كانت مكملة للحالة الاقتصادية ،
 أو للتطور الاقتصادي القائم حينئذ ، وأنها صالحة له ، متلائمة مع
 ظروفه . ولكنها لا تصلح للرحلة التالية التي تقوم على أساس
 اقتصادي جديد . وأنه - من ثم - لا يوجد نظام واحد يمكن أن
 يصالح لكل الأجيال . وإذا كان الإسلام قد جاء والمالم في نهاية
 فترة الرق ومبادئ فترة الإقطاع فقد جاءت تشريعاته وعقائده ونظمه
 ملائمة لهذا القدر من التطور ، فاعتبرت بالرق ، وأباحت الإقطاع (١)
 ولم يكن في طرق الإسلام أن يسبق التطور الاقتصادي أو يشر نظام
 لم تنهأ به إمكانياته الاقتصادية لأن كارل ماركس - سبحانه
 قال إن هذا مستحيل !!

وتريد هنا أن تضع المسألة في حقيقتها التاريخية والاجتماعية
 والسيكولوجية بعيداً عن الغبار الذي يثيره هؤلاء وأولئك فإذا حصلنا

(١) سنناقش في الفصل التالي شبهة الإقطاع .

على حقيقة موضوعية فلا علينا حينئذ من دعاوى المنحرفين .
و « العلماء » الزبيري !



بعد نظر اليوم الى الرق بعقوبة القرن العشرين ! ونظر اليه
فى ضوء الشفاعات التى ارتكبت فى عالم النخاسة ، والمعاملة
الوحشية البشعة التى سجلها التاريخ فى العالم الرومانى خاصة
فنستطلع الرق ، ولا نطبق مشاعرنا أن يكون هذا اللون من المعاملة
امرا متروعا يقره دين أو نظام . ثم تغلب علينا انفعالات الاستبشاع
والاستنكارات فمحب كيف أباح الاسلام الرق ، وكل توجيهاته
وتشريعاته كانت ترمى الى تحرير البشر من المبودية هى جميع الوانها
واشكالها . وفتحنى فى حرارة الانفعال أن لو كان الاسلام قد أراح
قلوبنا وعقولنا فنص على تحريمه بالقول الصريح .

وهنا وقفة عند حقائق التاريخ . فغطات الرق فى المسالم
الرومانى لم يعرفها قط تاريخ الاسلام . ومراجعة بسيطة للحالة
التي كان يعيش عليها الارقاء فى الامبراطورية الرومانية ، تكفيله
بأن ترسا الذئلة الهائلة التى نقلها الاسلام للرقيق ، حتى لو لم يكن
عمل على تحريره - وهذا غير صحيح ؟

كان الرقيق فى عرف الرومان « شيئا » لا بشرا ، شئنا
لا حقوق له السنة وإن كان عليه كل ثقل من الواجبات . ولنعلم
أولا من أين كان يأتى هذا الرقيق . كان يأتى من طريق العزو . ولم
يكن هذا العزو لفكرة ولا لبيد . وإنما كان سببه الوحيد شهوة
استعباد الآخرين وتسخيرهم لمصلحة الرومان . فلكن يعيش الرومان
عيشة اليذخ والترف ، يستمتع بالحمامات الباردة والساخنة والثلثيات
الفائضة ، وأطياب الطعام من كل لون ، ويفرق فى المذاق الفاجر من
خمر ونساء ورقص وحفلات ومهرجانات ، كان لا يد لك هفا من
استعباد الشعوب الأخرى وامكصاص دعائها . وعصر مثل ذلك حين
كانت فى قبضة الرومان ، قل أن يحطصها من يدهم الاسلام ، إذ
كانت حقل قمع للامبراطورية . وموردا للاهوال . . .

فى سبيل هذه الشهوة الفاجرة كان الاستعمار الرومانى .
وكان الرق الذى نشأ من ذلك الاستعمار . أما الرقيق فقد كانوا

كما ذكرنا - أشياء ليس لها كيان البشر ولا حقوق البشر . كانوا يعملون في الحقول وهم مصفون في الاغلال الثقيلة التي تكفي لنسبهم من الفغار . ولم يكونوا يطعمون الاابقاء على وجودهم ليعملوا ، لا لأن من حقهم - حتى كالبهاثم والاشجار - أن يأخذوا حاجتهم من الغذاء . وكانوا - في أثناء العمل - يساقون بالسوط لغير شيء إلا اللذة الفاحشة التي يحسها السيد أو وكيله في تعذيب هذه المخلوقات . ثم كانوا ينمون في « زراعات » مظلمة كريمة الرائحة نمت فيها الحشرات والعنران ، فيأفون فيها عشرات عثبرات قد يلفون خمسين في الزلزلة الواحدة - بأصعدهم - فلا يتاح لهم سوى الفراغ الذي يتاح بين بقرة وبقرة في حظيرة الحيوانات .

ولكن الشناعة الكبرى كانت شيئا أظلم من كل ذلك ، وأدلى على الطبيعة الوحشية التي ينطوى عليها ذلك الروماني القديم . والى ورثها عنه الأوروبي الحديث في وسائل الاستعمار والاستغلال .

تلك كانت حلقه المبارزة بالسيف والرمح ، وكانت من أحب المهرجانات اليهم ، فيجتمع اليها السادة وعلى رأسهم الامبراطور أحياء ، ليشاهدوا الرقيق يتبارزون مدارزة حقيقية ، توجه فيها طعنات السيوف والرمح الى أي مكان في الجسم بلا تحرر ولا احتياط من اغتيل . بل كان المرح يصل الى أقصاه ، وترفع الحواجر بالعنافة والاكتم بالتصفيق ، وتنتطلق الضحكات السعيدة العميقة العنيفة حين يقضي أحد المتبارزين على زميله قضاء كاملا ، فيلقيه طرعا على الارض مائة الحياة [1] .

كذلك كان الرقيق في العالم الروماني . ولا يحتاج أن نقول شيئا عن «الوصع النقائمي للرقيق عندئذ ، وعن حق السيد المطاق في قتله وتذيبه واستغلاله دون أن يكون له حق الشكوى ، ودون أن تكون هناك جهة تنظر في هذه الشكوى أو تعترف بها ، فلذلك لغو بعد كل الذي مردها » .

ولم تكن معاملة الرقيق في فارس والهند وغيرها ، تختلف كثيرا عما ذكرنا . حيث اهنر انسابية الرقيق اعدارا كاملا ، يوتحميله بأحق الواجبات دون اخطائه حماة لها ، وهن كانت تختلف بعضها بينها قليلا أو كثيرا في مدى قسوتها وبشاعتها .

ثم جاء الإسلام ...

جاء ليرد لهؤلاء الشر انسانيتهم - جيله ليعول للسادة عن الرقيق : « بعضكم من بعض (١) » - جاء ليقول : « من قتل عبدا قتلناه ، ومن حدى عبدا حدىناه ، ومن اخصى عبدا اخصيه (٢) » - جاء ليقرر وحدة الاصل والنشأ والمصير : « انتم بنو آدم وادم من تراب (٣) » ، « وانه لا فضل لسيد على عبد لجرد ان هذا سيد وهذا عبد ، واما الفضل للنفوى » - « لا لا فضل لعربي على عجمي » ، ولا لعجمي على عربي » ، ولا لاسود على احمر ولا لاحمر على اسود الا بالنفوى (٤) » - وليقرر ان السادة ليسوا اصحاب فضل حسي يتفقون على عبيدهم ، لانهم جميعا في وضع واحد بالنسبة لله خالق الجميع وحده ، ورازق الجميع وحده : « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ، فما الذين فضلوا يرادى رزقهم على ما ملكت ايماهم ، فهم فيه سواء (٥) » - جاء ليامر السادة امرا ان يحسنوا معاملتهم للرقيق « وبالوالدين احسانا ، وبني القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل » ، وما ملكت ايماكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا (٦) » - وليقرر ان العلاقة بين السادة والرقيق ليست علاقة الاستعلاء والاستعباد ، او السخير والتحقير ، واما هي علاقة القربى والاخوة ، فالسادة « اهل » للجارية يستأذنون في رواجها ... « فما ملكت ايماكم من مياتكم للمؤمنات ... بعضكم من بعض ، فانكوحهن باذن اهلن ، واتوهن أجورهن بالمعروف (٧) » - وهم احوه للسادة ، « اخوانكم حولكم » - « من كان « أخوه » تحت يده

(١) سورة المائدة (٢٥) -

(٢) حديث رواه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي -

(٣) حديث رواه مسلم وأبو داود -

(٤) أخرجه الطبري في كتاب « آداب النفوس » (باستلذه

عن سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم) -

(٥) سورة النحل (٧١) -

(٦) سورة النساء (٣٦) -

(٧) سورة النساء (٢٥) -

وليطمعه ما يعلم ، وليلبسه ما يلبس ، ولا تكلفهم ما يقلمهم ،
 فان كلفتموهم فاعيوهم (١) . » وزيلدة في رعاية مشاعر الرقيق
 يقول الرسول الكريم : « لا يقل احدكم هذا عبدي وهذه امتي ،
 وليقل : فتاى وفتاى (٢) » . ويستند على ذلك أبو هريرة فيقول
 لرجل ركب وحلفه عنده سحري . « احمله خلفك ، فانه اخوك وروحه
 مثل روحك » .

ولم يكن ذلك كل شيء . ولكن ينبغي قبل أن نستدل الى الخطوة
 التالية أن نسجل النقطة الحديثة التي قهره الاسلام بالرقيق في
 هذه المرحلة .

لم يجد الرقيق شئ . - واما هار بشرأ له روح كروح
 السادة ، وقد كانت الامم لآخرى كلها تعتبر الرقيق جنسا آخر غير
 جنس السادة ، خلق ليستعبد ويستذل ، ومن هنا لم تكن صغارهم
 تتأثم من قتلته وتعديه وكيه بالار وتسحيوه في الاعمال القذرة
 والاعمال الشاقة (٣) . ومن هالك رقه الاسلام الى مستوى الاحوة
 الكريمة . لا في عالم المثل والاحلام فحسب ، بل في عالم الواقع
 كذلك . ويشهد التاريخ - الذي لم يكره احد - حتى الصليبيون
 المتصليون من أهل أوروبا - بأن معاملة الرقيق في صدر الاسلام
 بلغت حدا من الانسانية الرفيعة لم تلبسه في أي مكان آخر . هذا
 جعل الرقيق المحررين يأبون معاداة مآذتهم السابقين - مع أنهم
 يملكون ذلك - لانهم يعبرونهم أهلا لهم ، يربطهم بهم ما يشبه
 روابط الدم .

واصبح الرقيق كأننا اسانيا له كرامة يحميها القانون ، ولا

(١) حديث رواد البحري .

(٢) رواد أبو هريرة .

(٣) يعتقد اليهود ان الرقيق (المبوذين) خلقوا من ائدام الاله ،
 ومن ثم لهم بخلفتهم حقراء مهينون ، ولا يمكن أن يرتفعوا عن هذا
 الوضعية المقسوم لهم ، الا تتحمل الهوان والمذاب عسى أن تسخ
 أرواحهم بعد الموت في مخلوقات افضل ؛ وبذلك تضاف الى لعنة
 الوضعية السيئة الذي يعيشون فيه لعنة أخرى روحية تقضى عليهم
 أن يرضوا بالذل ولا يقاوموه .

يجوز الاعتداء عليها لا بالقول ولا بالفعل . فاما القول فمفسد بهي
الرسول السادة عن تذكرياتناهم بانهم اوقاه ، وامرهم ان يحاطبوه
بما يشعرون بمودة الامل ، ويسمى عنهم صفة العبودية ، وقد لهم
نبي معصي هذا التوجيه : « ان الله ملككم اياهم وبو شاء ملككم
اياكم (١) » . فهي احدى مجرد ملاسات عارضة جئت هؤلاء رقيقا .
وكان من الممكن ان يكونوا سادة لمن هم اليوم سادة ا وبذلك يعص
من كبرياء هؤلاء ، ويرودهم الى الاصرة البشرية التي تربطهم جميعا .
ولادة التي يسمي ان تسود علاقاتهم بعضهم ببعض . واما الاعتداء
الجسدي فمقرونه الضريبة هي المعاملة بالمثل : د من قتل عبدا
فتشاء . . . » وهو مبدأ صريح الدلالة على المساواة الانسانية التامة
بين الرقيق والسادة ، وصريح في بيانات الضمانات التي يحيط بها
حياة هذه الطائفة من الشر - التي لا يخرجها وضعها المارضي عن
صفاتها البشرية الاصلية - وهي ضمانات كاملة وواقية . . . تبلغ حدا
عجيبا لم يصل اليه قط تشريع آخر من تشريعات الرقيق في ان تاريخ
كله ، لا قبل الاسلام ولا بعده ، اذ جعل مجرد لطم العبد في غير
تاديب (وللسايب حدود مرسومة لا يتعداها ، ولا يتجاوز على اي حال
ما يؤدب به السيد اسامه) ميرا قانونيا لتحرير الرقيق ! !

ثم منتقل الى المرحلة التالية ، مرحلة التحرير الواقعي -
لقد كانت الخطوة السابقة هي الواقع تحريرا روحيا للرقيق ،
يرده الى الانسانية ، ومعاملته على انه بشر كريم لا يقتري عن السادة
من حيث الاصل ، واما هي ظروف عارضة حدثت من الحرية الخارجية
لرقيق في التعامل المباشر مع المجتمع ، وفيما عدا هذه النقطة كانت
لرقيق كل حقوق الادمين -

ولكن الاسلام لم يقتف بهذا ، لان قاعدته الاساسية العظمى
هي المساواة الكاملة بين البشر ، وهي التحرير الكامل لكل البشر .
ولذلك عمل فعلا على تحرير الارقاء ، بوسيلتين كبيرتين : هما العتق
والكاتبه .

(١) ذكره الامام الغزالي في كتاب احياء علوم الدين في الكلام
عن حقوق المملوك ، وفي حديث طويل قال انه آخر ما اوصى به الرسول
صلى الله عليه وسلم .

فإنما الحق هو التطوع من جانب السادة بتحرير من في يدهم من الأرقاء . وقد شجع الإسلام على ذلك تشجيعا كبيرا ، وكان الرسول الكريم القدوة الأولى في ذلك ، إذ اعتق من عبده من الأرقاء ، وتلاه في هذا أصحابه . وكان أبو بكر يصدق أموالا طائلة في شراء العبيد من سادة قريش الكفار ، ليعتقهم ويمنحهم الحرية . وكان بيت المال يشتري العبيد من أصحابهم ويحررهم كلما بقيت لديه فصلة من مال . قال يحيى بن سعيد . « بعثي عمر بن عبد العزيز على صدقات أقرقية نجحتها ثم طلبت فقراء نمطيها لهم فلم يجد فقيرا ولم نجد من يأخذها منا ، ففقه أغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، فاشتريت بها عبيدا فاعتقهم » .

وكان النبي يعتق من الأرقاء من يطعم عشرة من المسلمين القراة والكتابة ، أو يؤدي خفصة مائة للمسلمين . ونص القرآن الكريم على أن كفارة بعض الذنوب هي عتق الرقاب . كما كان النبي يصت على العتق تكفيرا عن أي ذنب يأتيه الأسان . وذلك للعمل على تحرير أكبر عدد ممكن منهم . فالذنوب لا تنقطع . وكل ابن آدم خطاء كما يقول الرسول . ويحسن هنا أن نشير خاصة إلى إحدى هذه الكفارات لدلائها الخاصة في نظرة الإسلام إلى الرق ، فقد جعل كفارة القتل الخطأ دية مسلمة إلى أهل القتل وتحرير رقبة : « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله (١) » . والقتل الذي قتل خطأ هو روح إنسانية قد فقدتها أهلها كما فقدتها المجتمع قبل أوانها . لذلك يقرر الإسلام التمويض عنها من جانبين التمويض لأهلها بالدية المسلمة لهم ، والتمويض للمجتمع بتحرير رقبة مؤمنة . فكان تحرير الرقيق هو إحياء لنفس إنسانية تموص النفس التي ذهبت بالقتل الخطأ . والرق على ذلك هو موت أو شبه بالموت في نظر الإسلام . على الرغم من كل الصعوبات التي أحاط بها الرقيق ، ولذلك فهو يستهز كل فرصة « لإحياء » الأرقاء بتحريرهم من الرق (٢) .

ويذكر التاريخ أن عددا ضخما من الأرقاء قد حمسرد بطريق العتق ، وإن هذا العدد الضخم لا مثيل له في تاريخ الأمم الأخرى

(١) سورة النساء (٩٢) .

(٢) عن « المبادئ الاجتماعية في الإسلام » .

لا قبل الإسلام ، ولا بعده يعرفون عدة حتى مطلع العصر الحديث .
كما أن عوامل عتقهم كانت انسانية بحتة ، تبعد عن صوائر الناس
ابتغاء مرضاة الله ، ولا شيء غير مرضاة الله .

اما المكاتبه فهي منح الحرية للرقيق متى طلبها بنفسه ، مقابل
مبلغ من المال يتفق عليه السيد والرقيق . والمتفق هنا اجباري لامتلاك
السيد نفسه ، ولا تأجيله بعد أداء المبلغ المتفق عليه ، والا تدخلت
المoule (القاضي أو الحاكم) لتنفيذ المتفق بالقوة ، ومنح الحرية
لطلبها .

وتحرير المكاتبه فتح في الواقع باب التحرير في الإسلام ، لمن
أحسن داخل نفسه برغبة التحرر ، ولم يستطع أن يتطوع سيده
بتحريره في فرصة قد تسبح أو لا تسبح على من الأيام .

ومنه اللحظة الاولى التي يطلب فيها الرقيق المكاتبه - والسيد
لا يملك رفض المكاتبه متى طلبها الرقيق ولم يكن في تحريره خطر على
من النوله الاسلاميه - يصبح عنه عبد سيده باجر ، أو يتاح له -
كما نرى - أن يعمل في الخارج باجر ، حتى يجمع المبلغ المتفق عليه .
ومثل ذلك قد حدث في أوروبا في القرن الرابع عشر - أي بعد
تحرير الإسلام له بسبعة قرون - مع عارق كبير لم يوجد في غير الإسلام ،
وهو كفالة الدولة للأرقاء المكاتبين وذلك الى جانب مجهود الامتداد
الفسخ في عتق الأرقاء بطوعاً وبلا مقابل ، تمرباً الى الله ووفاء لعبادته .
تقول الآية التي تبين مصارف الزكاة : « إنما الصدقات للفقراء
والمساكين والعاملين عليها » وفي الرقاب ٢٥ - (١) « فتحرير أن
الزكاة تصرف من بيت نكاح - وهو وزارة المالية في السرف الحديث -
لمعاونة المكاتبين من الأرقاء لاداء ثمن التحرير ، اذا عجزوا بكسبهم
الخاص عن أدائه -

وهذا وذلك يكون الإسلام قد حطاً خطوط فعلية واسعة في
سميل تحرير الرقيق ، سبق بها التطور التاريخي كله بسبعة قرون
على الأقل . وراه على هذا التطور عناصر - كراية النولة - لم يفت
اليها العالم الا في مطلع تاريخه الحديث . وعناصر أخرى لم يفت اليها

أندا ، سواء في حسن معاملة الرقيق ، أو في عتقه تطوعاً ، بخير صفت
من التطورات الاقتصادية أو السياسية التي اضطرت العرب اضطراراً
لتحرير الرقيق كما سيأتي .

وبهذا وذاك نسقط حدقة الشيوعيين ودعواهم « العلمية »
الرائجة ، التي تزعم أن الإسلام حققه من حقائق التطور الاقتصادي
حامت في موعدها الطبيعي حسب سنة المادية الجدلية - فهناك حقيقت
موجعا بسبعة قرون - والتي تزعم أن كل نظام - بما في ذلك الإسلام
- أن هو إلا انعكاس للتطور الاقتصادي القائم وقت ظهوره ، وأن كل
عقائده وأفكاره تلائم هذا التطور وتستجيب له ، ولكنها لا تسبقه ،
ولا تستطيع أن تسبقه ، لما قرر العقل الذي لا يخطئ ولا يأتبعه
الباطل من فوقه ولا من تحته ، عقل كارل ماركس قدسيت ذكره !
فيها هو ذا الإسلام لم يعمل بوحى النظم الاقتصادية القائمة حينئذ
في جزيرة العرب وفي العالم كله ، لا في شأن الرقيق ، ولا في توزيع
الثروة ، ولا في علاقة الحاكم بالمحكوم أو الملك بالاجير (١) ، وإنما
كان يشيء نظمه الاجتماعية والاقتصادية تطوعاً وانشاءً على نحو غير
مسبق . ولا يزال في كثير من أموانه منفرداً في التاريخ .

وهنا يحطر السؤال الحائر على الأفكار والاعتقادات : إذا كان
الإسلام قد حقق هذه الخطوات كلها نحو تحرير الرقيق ، وصق بها
العالم كله تطوعاً عبر مضط ولا مضطوط عنه ، فمنماذا لم يخط
الخطوة الحاسمة الباقية ، هيطن في مراحه كاملة إلغاء الرق من حيث
المبدأ ، وبذلك تكون قد أسدى للبشرية خدمة لا تقدر ، ويكون هو
النظام الأكمل الذي لا شبهة فيه ، والجدير حقاً بأن يمدح عن الله
الذي كرم بني آدم ، ومصلهم على كثير ممن خلق ؟

وللاجابة عن هذا السؤال ينبغي أن ندرك حقائق اجتماعية
وسيكولوجية وسياسية أحاطت بموضوع الرق ، وأحررت هذا الإعلان
المرتقب بإلغاء الرق ، وأن كان ينبغي أن ندرك أنه تاجر في الواقع

(١) انظر الفصول التالية .

كثيرا جدا عما أراد له الاسلام ، وعما كان يمكن ان يحدث لو سار
الاسلام في طريقه الحق ، ولم تغسله الشهوات والاسرافات .

يجب ان نذكر أولا ان الاسلام جاء والرق نظام معترف به في
جميع أنحاء العالم ، بل كان عملة اقتصادية واجتماعية متداولة ،
لا يستنكرها احد ، ولا يفكر في امكان تغييرها احد . لذلك كان تغيير
هذا النظام او محوه أمرا يحتاج الى تدرج شديد و زمن طويل - وقد
احتاج ابطال الخمر الى نصف سنوات - والخمر عادة شخصية قبل
كل شيء ، وان كانت ذات مظاهر اجتماعية ، وكان بعض العرب أنفسهم
في الجاهلية يتصمون عنها ، ويرون فيها شرا لا يليق بفوق النفوس
العالية .

والرق كان أعنى في كيان المحنح ونفوس الافراد ، لاشتماله
على عوامل شخصية واجتماعية واقتصادية . ولم يكن احد يستكره
كما اسلفنا . لذلك كان ابطاله في حاجة الى زمن طويل مما تتمتع له
حياة الرسول ، وهي الفترة التي كان ينزل فيها الوحي بالتنظيم
والتشريع ، والله أعلم بمن خلق . فلو كان الله يعلم ان ابطال الخمر
يكفي فيه اصدار تشريع ينفذ لساعته ، لما حرّمها - سبحانه وتعالى -
في بضعة سنوات .

ولو كان يعلم ان ابطال الرق يكفي له مجرد اصدار مرسوم،
بالخاتمة لما كان هناك سبب لنسخ هذا المرسوم ! وقد ظل الرق نظاما
معمولا به في أوروبا الف سنة بعد الاسلام، حتى ألتته الثورة الفرنسية
من حيث المبدأ ، وظل في أمريكا بعد ذلك حتى إلغاء أبراهام لنكولن
من حيث المبدأ أيضا سنة ١٨٦٣ - وكان موجودا في الحبشة الى ما
قبل الغزو الإيطالي الأخير . ولا يزال موجودا بصفة رسمية في بعض
أجزاء العالم التي لم تصلها الأديان ، ولم تنفذ اليها الحضارة . ولم
يكن في وسع الاسلام أن يتخطى هذه الاحيال كلها ، ويصدر تشريعا
يحتاج تنفيذه الى ألف سنة ! وليس معنى قولنا ان الاسلام قد نزل
لل البشرية جميعا وللأجيال جميعا ، وانه يحمل العناصر الصالحة للبقاء
والاستمرار ، انه قد وضع التشريعات التفصيلية ، لكل مايجد من
الملايسات في جميع الأجيال ، فهو يصنع ذلك فقط في المسائل التي
لا تتغير في جيل عن جيل ، لانها تنطلق بالكيان البشري في أعماقه .

والشرعات العنصرية في حقيقتها - لما الملايسات المتفجرة على الدوام فحسبه
 فيها أن يضع الاسس العامة التي ينبغي أن تتطور لبشرية في حدودها .
 وكذلك صمم في مسألة الرق ، اد وضع الاسس الكاملة للتحرير ،
 عتقا ومكانه ، وأشار الى الطريق الذي ينبغي أن تسلكه الانسانية
 لخلاص من هذه المشكلة القديمة ، حتى يجيء الوقت المناسب للقضاء
 عليها نهائيا .

والاسلام لم ينزل لتغيير طبائع البشر . وليس في وسميح اي
 نظام مهما يكن مصدره أن يغير طبائع الناس بالقوة وانما نزل الاسلام
 لتهديب البشر في حدود واجمهم السيكالوجي ، وادوماع بهم - دون
 كبت ولا قهر - الى اقصى ما يستطيعونه من ارتفاع - وقد وصل الى
 حد الاعجاز في تهذيب بعض الافراد مكانهم ملائكة لا بشر - ووصل
 في ذلك في حيث النوع فانهم الى ما لم يصل اليه نظام آخر في التاريخ
 ولكنه مع ذلك كله لم يكن مكلفا أن يحول جموع الناس الى ملائكة .
 ولو اراد الله ذلك لخلق الناس من البدء ملائكة - وكلفهم تكاليفه
 لاصحابهم . ويكفي الاسلام على أي حال أن يكون هو الذي بدأ حركة
 التحرير في العالم . قبل أن تفي اليها البلاد التي لم تسبق الاسلام
 بسبعة قرون . وأنه في الواقع قد جفف منابع الرق القديمة كلها في
 الجزيرة العربية ، وكان قريبا أن يلقه بالسبب للمستقبل في العالم
 الاسلامي . لولا منبع جديد ظل يعيى بالرق من كل مكان ، ولم يكن
 في وسمع الاسلام يومئذ القضاء عليه ، لانه لا يتعلق به وحده ، وانما
 يتعلق بأعدائه الذين ليس له عليهم سلطان . ذلك هو رق العرب ،
 ومستحدث عنه شيء من التفصيل بعد قليل .

ويجب أن نذكر ثانيا ان الحرية لا تمنع واما تؤخذ . وتحرير
 رقيق ماصدار مرسوم لم يكن ليحرر الرقيق ، والتجربة الامريكية
 في تحرير الرقيق نجحة قلم على يد ابراهيم لنكولي حو شاهد لما نقول
 فالعبيد الذين حررهم لنكولين - من الخارج - بالتشريع ، لم يطلقوا
 الحرية ، وعادوا الى سادتهم يرحوبهم أن يخلوهم عبيدا لديهم كما
 كانوا ، لانهم - من الداخل - لم يكونوا قد تحرروا بعد .

والسالة على غرايتها ليست غريبة حين ينظر اليها على ضوء
 الحقائق النفسية . فالحيات عادة . والملايسات التي يعيش فيها
 الانسان هي التي تكيف مشاعره وقصوغ احساسه واحاسناته

النفسية (١) • والكيان المعنى للميد يختلف عن الكيان المعنى لجر ،
لا لانه حسى آخر كما على القدماء ، ولكن لان حياته فى ظل اليهودية
الدائمة جعلت أجهزته النفسية تتكيف بهذه الملائات ، فتتو أجهزته
الطاعة الى أقصى حد ، وتصر أجهزته المسئولية واحتمال التمدت الى
أقصى حد .

فالميد يحسن القيام بكثير من الامور حين يأمره بها سيده
فلا يكون عليه الا الطاعة والتفديد • ولكنه لا يحسن شيئا مع
مسئوليته على نفسه ، ولو كان أبسط الاشياء ، لا لان حسه يجر
عن القيام بها ، ولا لان فكره - فى جميع الاحوال - يجر عن نفسه •
ولكن لان نفسه لا تطبق احتمال تساقطها ، فيتخيل فيها احطارا موهوما ،
ومشكلات لا حل لها ، فيقر مه ، يراء على نفسه من الاحطار •

وأهل الدين ينعمون النظر فى الحياة المصرية - والثرفية - فى
المهود الأخيرة يدركون أثر هذه اليهودية الحفية التى وضعها الاستثمار
الحديث فى نفوس الشرقيين ليستعيدهم للعرب • يدركونها فى
المشروعات المعطلة التى لا يطلها - فى كثير من الاحيان - الا الدين
عن مواجهه نتائجها • والمشروعات المدروسة التى لا تغدوها الحكومات
حتى تسبق خبرا انجليزيا أو أمريكيا • الخ • ليتحمل عنها
مسئولية المشروع ومصدر الاذى بالتفديد • والشئل شروع الذى يخيم
على الموظفين فى الدواوين ويقيد اتاجهم بالروتين المتحجر ، لأن احدا
من الموظفين لا يستطيع أن يصنع الا ما يأمر به • السيد • الموظف
الكبير وهذا بدوره لا يملك الا اطاعة • السيد • الوزير ، لا لان هؤلاء
جميعا يمحزون عن العمل ، ولكن لان جهاز التسعات عندهم متصخم •
فهم أشبه شىء بالميد • وإن كانوا رسميا من الاحرار •

هذا التكيف النفسى للعبه هو الذى يستعبده وهو بائى • فى
أصله من الملائات الخارجية بطبيعة الحال ، ولكنه يستقل عنها •

(١) يقول دعاة انتصاف المادى ان الملائات الخارجية هى التى
• تخلق • المشاعر • ونحن لا نؤمن بذلك لان فيه مغالطة سارخة •
فهناك رصيد نفسى سابق فى وجوده لهذه الملائات • وهى • تكيفه
هذا الرصيد ولكنها لا تنطقه من المدم •

يصبح شيئاً قائماً بذاته ، كرفع الشجرة الذي يتصل بالارض ثم يحد جذورا خاصة به ويستقل عن الأصل . وهذا التكيف النفسى لا يذهب به اعلان تصدره الدولة بالقاء الرقيق بل يتبين أن تغير عن الداخل ، بوضع ملاسبات جديدة تكيف المشاعر على نحو آخر ، وتتمى الأجهزة الضامرة فى نفس العبد ، وتصنع كيانا بشريا سويا من كيانه المتسوه للمسوخ .

وذلك ما صنعه الاسلام .

فقد بدأ أولا بالمعاملة المحسنة للرقيق - ولا نرى كحس المعاملة يعيد توازن النفس المنحرفة ، ويرد اليها اعتسارها ، فتشعر بكيانها الانسانى ! وكرامتها الذاتيه ! وحين ذلك تحس طعم الحرية وتتفوقه ، ولا تنمر منه كما نمر عبيد أمريكا المحررون .

وقد وصل الاسلام فى حسن المعاملة ورد الاعتبار الانسانى للرقيق الى درجة عجيبة صرنا أمثلة منها من قبل هى آيات القرآن واحاديث الرسول ، ونسرد هنا أمثله أخرى فى التطبيق الواقعى .

كان الرسول يؤاحى بين بعض العبيد وبعض الاحرار من سادة العرب . فآحى بين بلال بن رباح وخالد بن ربيعة الخنصى ، وبين هولاء زيد وعمه حمزة . وبين خارجة بن زيد وابى بكر . وكانت هذه المؤاخاة صلة حقيقته تعمل راسطة الدم ، وتصل الى حد الاشتراك فى المعاش !

ولم يكتف بهذا الحد . . .

فقد زوج بنت عمته زينب بنت جحش من مولاة زيد ، والزواج مسألة حساسية جدا وخاصة من جانب المرأة ، وهى تقبل أن تتزوج من يفصلها مقامها ، ولكنها تأبى أن يكون زوجها دونها فى الصميم والنسب والثروة . وتحس أن هذا يخط من شأنها وينقص من كبريائها . ولكن الرسول كان يهدف الى معنى أسمى من كل ذلك ، وهو رفع الرقيق من الوهنة التى دفعت اليها البشرية الظالمة الى مستوى أعظم سادة العرب من قريش .

ولم يكتف كذلك بهذا الحد . . .

فقد أرسل مولاه ريذا على رأس جيش فيه الأبطال والمهاجرون
 من سادات العرب ، فلما قتل ولي ابنه أسامة بن زيد قيادة الجيش .
 وفيه أبو بكر وعمر وزيرا الرسول وحليفاه من بعده ، فلم يسط
 الرقيق بذلك مجرد المساواة الانسانية ، بل أعطاه حق القيادة
 والرياسة على « الأحرار » . ووصل في ذلك الى أن يقول : « اسمعوا
 وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حتى كان رأسه ربيبه ما أقام بكم
 كتاب الله تبارك وتعالى (١) » . فأعطى العبد بذلك الحق في أرفع
 مناصب الدولة كلها ، وهو حلاله المسلمين - وقد قال عمر وهو
 يستخلف « لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لولته » فيسير على
 نفس المبدأ الذي سنه الرسول .

ويصرب عمر مثلا آخر من الأمثلة الرائعة على احترام الرقيق .
 إذ يعارضه بلال بن رباح في مسألة الفريه فيستد في معارضه ، فلا
 يجد سبيلا في رده الا أن يقول « اللهم اكفني بلالا وأصحابه » اذلك
 وهو الخليفة الذي كان يملك - لو أراد - أن يأمر فيطاع .

هذه التماذج التي وضعها الاسلام كان المقصود بها تحرير
 الرقيق من الداحل - كما قلنا في مبدأ هذا الفصل - لكي يحس
 بكيانه فيطلب الحرية . وهذا هو الضمان الحقيقي للتحرير .

ومحجج أنه شجع على العتق واستحث عليه بكل الوسائل .
 ولكن هذا نفسه كان جزءا من التربية التي تربيها للرقيق ، لكي يشعروا
 أن في امكانهم أن يحصلوا على الحرية ويتمتعوا بكل ما يتمتع به
 السادة من حقوق . فتزداد رغبتهم في الحرية ، ويتقبلوا احتمال
 التبعات في سبيلها ، وهنا يسارع في منحها لهم ، لانهم حينئذ
 مستحقون لها ، قادرون على صيانتها .

وفرق كبير بين النظام الذي يشجع على طلب الحرية ويهيئ
 لها الوسائل ثم يعطيها لهم في اللحظة التي يطلبونها بأنفسهم ،
 وبين النظم التي تدع الامور تتعقد وتتخرج ، حتى تقوم الثورات
 الاقتصادية والاجتماعية ، ونزوح الارواح بالثبات والالوف ، ثم
 لا تعطى الحرية لطلابها الا مجبرة كل مرة .

(١) رواه البخاري .

وقد كان من فضائل الاسلام الكبرى في مسأله الرقيق ، انه قد حرص على التحرير الحقيقي له من الدخول والخارج ، فلم يكتف بالنيه الطيبة كما فعل لليون بامصادار تشريع لا رحيم له في داخل الموسى ، مما يشكك في نوايا الاسلام لطبيعة البشرية ، وقطعته الى خير الوسائل لمعالجتها . وهذا الى جانب تطوعه باعطاء الحقوق لاصحابها : مع تربيتهم على النمساك بها واحتمال قيمتها على اساس الحب والمودة بين جميع طوائف المجتمع ، قبل أن يتصارعوا من اجل هذه الحقوق كما حدث في اوربا . ذلك الصراع البئيس الذى يجفف المشاعر ويؤثر الاحقاد ، عيسد كل ما يمكن أن تصيبه الشرية من الخير في أثناء الطريق .

واخيرا نفوذ الى العامل الاكبر الذى غل يد الاسلام عن حرير الرق قبل اربعة عشر قرنا من الزمان .

قلنا ان الاسلام قد جفف منابع الرق القديمة كلها ، فيما عدا سبعا واحدا لم يكن في طوفه ان يجفمه ، وذلك هو رق الحرب . والآن نأخذ في شدة من التفصيل .

كان العرف السائد يومئذ هو استرقاق شرى الحسرب أو قتلهم (١) وكان هذا الحرف قديما جدا . موعلا في ظلمات التاريخ يكاد يرجع الى الانسان الاول . ولكنه ظل ملازما للانسانية في شتى أطوارها .

وجاء الاسلام والبس على هذا الحد . ووقتئذ وبين أعدائه الحروب فكان الاسرى المسلمون يسترقون بعد أعداء الاسلام ، فتسلب حرمانهم ، ويماعل الرجال منهم بالمسك والظلم الذى كان يجسرى يومئذ على الرقيق ، وتنهبك أعراض السد لكل طالب . يشترك في المرأة الواحدة الرجل وأولاده وأصدقائه من يبغى الاستمتاع منهم .

(١) جاء في الموسوعة التاريخية للنساء : تاريخ العالم ، Universal History of the World - في ص ٢٢٧٣ ما ترجمته . وفي سنة ٩٩٩ رقص الامبراطور (الرومانى) موريس - بسبب رغبته في الاقتصاد - أن يقتل بضع ألف من الاسرى وقموا في يد الآوار ، فقتلهم خان الآوار عن بكره أبيهم .

ملا صيايط ولا نظام ، ولا احترام لاسانية اولئك النساء أبكارا كن
أم غير أبكار ، أما الاطفال - ان وقعوا أسرى - فكأوا يشاؤون في
ذلك اليهودية البقيض .

عندئذ لم يكن في وسع الاسلام أن يطلق سراح من يقع في يده
من أسرى الأعداء . فليس من حسن السياسة أن تشجع عدوك عليك
بإطلاق أسراء ، بينما أهلك وتدمرك وأنداع دينك يساهون المحسف
والعذاب عند هؤلاء الأعداء . والمعاملة بذلك هنا هي أعدل قانون
تستطيع استخدامه ، أو هي القانون الوحيد .

وقد مرت على الاسلام أربعة عشر قرنا ، وتقلبت البشرية في
سهم شتى ! ودخلت في حروب لا نهاية لها . ثم ما هي ذى في نهاية
الطاف لا نجد قانونا ترجع اليه في مسألة الأسرى ، غير قانون المعاملة
بالمثل ! والحرب الكورية الأخيرة ما تزال ماثلة للذهان ، والمشكلة
القائمة بشأن أسراها لا تزال موضع النزاع .

واذن فقد كانت ضرورة لا حكاك للاسلام منها ، ما دام العدو
مصررا على استرقاق الأسرى والاسلام لا سلطان له عليه . ضرورة
تظل ماثلة حتى يتفق العالم على مبدأ آخر في معاملة هؤلاء الأسرى
غير مبدأ الاسترقاق . ومع ذلك فيمنى أن نلاحظ فروقا عميقة بين
الاسلام وغيره من النظم في شأن الحرب وأسرى الحرب .

كانت الحروب - وما تزال - في غير العالم الاسلامي لا يقصد
بها الا المرو والعنك والاستعداد . كانت تقوم على رعية مة في قهر
غيرها من الأمم ، وبوسيع رقعتها على حسابها أو لاستغلال مواردها
وحرمات أهلها منها ، أو لشهوة شخصية تقوم في نفس ملك أو قائد
حربي ، ليرضى غروره الشخصي ويتعش كبرا وخيلاء ، أو لشهوة
الانتقام . . . أو ما إلى ذلك من الأهداف الارضية الهابطة . وكان
الأسرى الذين يسترقون لا يسترقون كخلاف في عقيدة ، ولا لانهم
في مستواهم الحضاري أو النفسي أو الفكري أقل من أسريهم ، ولكن
فقط لانهم غلبوا في الحرب .

وكذلك لم تكن لهذه الحرب تقاليد تمنع من هتك الاعراض أو
تخريب المدن المسالمة أو قتل النساء والاطفال والشيوخ ، وذلك
مسلط مع قيامها لغير عقيدة ولا مبدأ ولا هدف رفيع .

فلما جاء الاسلام أبطل ذلك كله ، وحرم العروب كلها . إلا أن تكون دفعا لعدوان أو مخالفة الفتنة من المفرقين : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين (١) » . « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله (٢) » .

وعلى ذلك لا يبدأ المسلمون الحرب العدوانية أبدا ، ولا يكونون هم المعتدون أبدا . أما نشر الدعوة فلا يقوم على الحرب بأدى ذى بدء ، فهي دعوة سلمية لا تكرر أحدا . « لا أكره في الدين قد تبين الرشد من الغي (٣) » . « وبقاء اليهود والنصارى في العالم الإسلامي على دينهم حتى اللحظة » . برهان قاطع لا يقبل الجدل ولا المساحة ، يثبت أن الاسلام لم يكره عيودهم على اعتناقهم بقوة السيف (٤) .

فإذا قبل الناس الاسلام ، واعتدوا الى دين الحق ، فلا حرب ولا حصوة ، ولا خضوع من أمة لأمة ، ولا تمييز بين مسلم ومسلم على وجه الأرض ؛ ولا فصل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .

فمن أبى الاسلام وأراد أن يحتفظ بعقيدته - مع إيمان الاسلام بأنه خير من هذه العقيدة وأقوم سبيلا - فله ذلك دون إكراه ولا سخط . على أن يدفع الحرية مقابل حماية الاسلام له ، بحيث تسقط الجزية أو ترد أن يجبر المسلمون على حمايته (٥) . فإذا أبوا الاسلام

(١) سورة البقرة (١٩٠) .

(٢) سورة الانفال (٢٩) .

(٣) سورة البقرة (٢٥٦) .

(٤) شهد بذلك مسيحي أوربي هو السير ت . و . أرنولد في كتابه (الدعوة الى الاسلام) .

(٥) الأمثلة على ذلك كثيرة . منها مثالان وردا في كتاب أرنولد (الدعوة الى الاسلام) ص ٥٨ . قال : « وكذلك حدث أن سجل في المعاهدة التي أبرمها مع بعض أهالي المدن المجاورة للبحيرة . فإن منعناكم فلنا الجزية والا فلا » وقال : « فلما علم أبو عبيدة قائد العرب بذلك (متجهيز هرقل لهاجمته) كتب الى عمال المدن المفتوحة في الشام يأمرهم بأن يردوا عليهم عاجبي من الجزية من حقه للمد ، وكتب الى الناس يقول : « انما ردونا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جمع لنا من

والجزية فهم اذن معاندون متبجحون ، لا يريدون للدعوة السلمية ان تأخذ طريقها ، وانما يريدون أن يقفوا بالقوة المادية في طريق النور الجديد بحجبهونه عن عيون قوم ربما اهتموا لو خلى بينهم وبين النور .

عند ذلك فقط يقوم القتال ، ولكنه لا يقوم بغر اضرار واعلان ، لاعطاء فرصة احيرة لحق الدماء ومشر السلم في ربوع الارض . وان حفرها للسلم فاجنح لها وتوكل على الله (١) .

ذلك هي الحرب الاسلاميه ، لا تقوم على شهوة الفتح ولا رغبة الاستقلال ولا دخل فيها لمرور قائد حربي أو ملك مستبد ، فهي حرب في سبيل الله ، وفي سبيل عداة البشرية حين تحقق الوسائل السليمة كلها في عداة الناس .

ولها مع ذلك تقاليد ، الرسول في وصيته :

اغزوا باسم الله في سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله . اغزوا ولا تمذبوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا (٢) .

فلا قتل لغير المحارب الذي يقفه بالسلاح ليقاتل المسلمين . ولا حريب ولا مدبر . ولا هتك للأعراض ، ولا اطلاق لشهوة الشر والافساد : «ان الله لا يحب المفسدين» .

وقد راعى المسلمون تقاليدهم النبيلة هذه في كل حروبهم . حتى في الحروب الصليبية العادرة ، حين انتصروا على علوهم الذي كان في جولة سابقة قد انتهك الحرمات واعتدى على المسجد الأقصى فهاجم المحتمين فيه بحمي الله عز الجميع واسال دماهم فيه انهيارا . فلم ينتقموا لانفسهم حتى حاصم النصر وهم يملكون الاذن من الدين ذاته بالمعاملة بالمثل : «من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى

= الجيوش . وانكم قد اشتغلتم علينا أن نستعكم واننا لا نقدر على ذلك . وقد رددنا عليكم ما اخذنا منكم ونحى لكم على الشرط وما كتبنا بسنا وبينكم أن نصرنا الله عليهم .

(١) سورة الانفال (٦٦) .

(٢) أخرجه مسلم وإبو داود والترمذي .

عليكم(١) * . ولكنهم غيروا المثل الأعلى الذي يجزئ عنه غير المسلمين في كل الأرض حتى العصر الحديث .

ذلك فارق أساسي في أهداف الحرب وتقاليدنا بين المسلمين وغير المسلمين . وقد كان الاسلام يملك لو أراد - والحق يستند له ذلك - أن يعتبر من يقع في يده من الأسرى ، ممن وقعوا بالقوة المسلحة يعاملون الهندي ، ويصرون على وثيقتهم الهابطة ، وشرتهم المخرف ، فما مآلهم الأدمية . ويسترقهم بهذا المعنى وحده . فما يصير بشر على هذه الخرافة - بعد إذ يرى الثور - إلا أن يكون في نفسه هبوط أو في عقله انحراف . فهو مانع في كيانته البشري ، غير حدير بكرامة الآدميين ، وحرية الأحرار من بني الإنسان .

ومع ذلك فلم يلجأ الاسلام الى هذا الطريق . ولم يسرق الأسرى ليجرد احتيازه اياهم ناقصون هي آدميتهم . وإنما لجأ الى المعاملة بالمثل بحسب . فعلق استرقاقه للأسرى على اتفاق الدول المتحاربة على مبدأ آخر غير الاسرقاتي ، ليضمن فقط ألا يقع الأسرى المسلمون في ذلك الرق بغير مقابل .

وعما هو حدير بالإشارة هنا . ان الآية الوحيدة التي نعرض لاسرى الحرب : «ما ما بعد واما فداء حتى تصع الحرب أوزارها(١)» . لم تذكر الاسترقاق للأسرى ، حتى لا يكون هذا تشريعا دائما للبشرية . وإنما ذكرت الفداء ، أو الطلاق السراح بلا مقابل ، لان هذا وذاك هما القانونان الدائمان ، اللذان يريد القرآن للبشرية أن تقصر عليهما معاملة الأسرى في المستقبل القريب أو البعيد . وإنما كان أخد المسلمين بمبدأ الاسرقاتي خصوصا لصورة قاهرة لا فكاك منها . وليس خضوعا لنص في التشريع الاسلامي .

ومع هذا فلم يكن تقليد الاسلام الدائم هو استرقاق الأسرى . فحيثما أمن لم يسترقهم . وقد أطلق الرسول أسرى المشركين في يثرب ما بقي فداء ، واخذ من نصارى بجراند جزية ورد اليهم أسراهم . ليصير بذلك المثل لما يريد أن تهتمى اليه البشرية في مستقبلها . حين تتخلص من وراثتها الكريمة . وتستطيع أن تضبط شهواتها

(١) سورة البقرة (١٩٤) .

(٢) سورة محمد (٤) .

وترتفع إلى الإنسانية حتى في القتال ، وحينئذ يكون الإسلام أول
موجب وأول مستجيب .

يضاف إلى ذلك أن الأسرى الذين يفعلون في يد الإسلام كانوا
بماملون تلك المعاملة الكريمة التي وصفتها من قبل ، ولا يلغون
الهوان والتعذيب ، وكان يفتح أمامهم باب التحرر حين تسمى نفوسهم
إليه وتحتمل تبعاته ، وإن كان معظمهم في الواقع لم يكن حراً قبل
أسره . وإنما كان من الرقيق الذي استرقه الفرس والرومان ودفعوه
إلى قتال المسلمين .

أما النساء فقد كرمهن - حتى في رقبهن - عما كن يلقين في غير
بلاد الإسلام ، فلم بعد أعراضهن نهبا مباحا لكل طامع على طريقة
النساء (وكأنه هذا مصير أسيرات المروبي في أغلب الأحيان) وأباحلهن
ملكاً لصاحبهن فقط ، لا يدخل عليهن أحد غيره ، وحمل من حقهن نيل
الحرية بالمكاتبه ، كما كانت تحرر من ولدت لسيدها ولداً ، وتحرر
بها ولداً ، وكى يلقى من حسن المعاملة ما أوصى به الإسلام .



تلك قصة الرق في الإسلام : صفحة مشرقة في تاريخ البشرية
والإسلام لم يوافق على هذا الرق من حيث المبدأ ، بدليل أنه سمى
إلى تحريره يشتى الوسائل ، وحقق مباحه لكي لا يتجدد - وإنما
كانت هناك ضرورة لامتلاك الإسلام الخلاص منها ، لأنها لا تتعلق به
وحده ، وأما تتعلق بدول وأقوام لاسلطان للإسلام عليهم ، يستفرون
الأسرى المسلمين ويسومونهم سوء العذاب ، فلا يد من معاملتهم بالمثل
في مبدأ الاسترقاق على الأقل وإن لم يكن في طريقة معاملة الرقيق ،
والمعاملة بالمثل قانون دولي لا يزال قائماً إلى اليوم بعد نزول الإسلام
ما يقرب من ألف وأربعمائة عام .

وعلى الإسلام مصطفاً إلى عدم إلغاء الرق حتى تنفق العالم كله
على تجفيف هذا المنبع الوحيد الذي يعترف به الإسلام ميرراً للرق ،
وفي اللحظة التي يحدث فيها هذا الاتفاق يرجع الإسلام إلى قاعدته
المطلقة التي قررها بصراحة كاملة لأمورية فيها : وهي الحرية للجميع
والمساواة للجميع .

أما ما حدث في بعض اليهود الإسلامية من الرق في غير أسرى
المحروب الدينية . ومن نخاسة واحتطاي وشراء لمسلمين لا يجوز
استرقاقهم أصلاً ، فإن بسسته الى الاسلام ليست أصديق ولا أعبدل
من بسسة هؤلاء المسلمين اليوم الى الاسلام . بما يرتكبونه من موبعات
وأثام !

ويسعى أن يجعل في بالنا عدة أمور في هذا الموضوع .

الأول هو بعدد منافع الرق عند الدول الأخرى بغير ضرورة
ملحثة سوى شهوة الاستعباد . من استرقاق أمة لأمة ، وجنس لجنس
واسترقاق لفقير ، واسترقاق بالوراثة من الميلاد في طبقة معينة .
واسترقاق بسبب الفصل في الأرض الخ . والقضاء هذه المنافع كلها في
الاسلام ، فيما عدا المنع الواحد الذي لم يكن يملك امرء ، وإنما
كان حاضماً فيه للضرورة ، وربما تنتهي هذه الضرورة -

والثاني ان أوروبا مع تعدد موارد الرق فيها بغير ضرورة .
لم تلغ الرق حين ألقته منطلوعه - ، وكتابهم يعترفون بأن الرق الذي
حين صمغ انتاج الرقيق - لسوء أحوالهم المعيشية وتقدان الرغبة
في العبرة على العمل - بحيث أصبحت تكاليف العبد من إعاشة
وحراسة أكثر من إنتاجه ! فهي إذن حسبة اقتصادية لا غير ، يحسب
فيها المكسب والخسارة ، ولا ظل فيها لأي معنى من المعاني الإنسانية
التي تشعر بكرامة الجنس البشري ، فتمنح الرقيق حريته من أجلها ،
هذا بالإضافة الى الثورات المتتالية التي قام بها الرقيق فاستحال معها
دوام استرقاقه -

ومع ذلك فإن أوروبا حينئذ لم تمنحه الحرية . ولكنها حولته من
رقيق للسيد الى رقيق للأرض ، يباع معها ويشترى ، ويخدم فيها .
لا يجوز له أن ينادرها ، والا اعتب أبها وأعيد إليها بقرء القايون مكبلاً
بالسلاسل مكرها بالنار - وهذا اللون من الرق هو الذي بقي حتى
حرمة الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر ، أي بعد أن قرر الاسلام
مبدأ التحرير بما يريد على ألف ومائة عام !

والأمر الثالث - انه لا يجوز أن نخفطنا الأسماء . فقد ألغت
الثورة الفرنسية الرقيق في أوروبا ، والذي لسكون الرقيق في أمريكا
ثم اتفق العالم على إطلاق الرق ، كل ذلك من الظاهر . والا فأتين

هو الرق الذي النى ؟ وما اسم ما يبيض اليوم فى كل أنحاء العالم ؟
ما اسم الذى تصنعه فرنسا فى المغرب الاسلامى وفى الهند الصينية ؟
وما اسم الذى تصنعه أمريكا فى الزنج ؟ وانبجرتا فى الملونين فى
جنوب أفريقيا ؟ .

ليس الرق فى حقيقته هو تبعية قوم لقوم آخرين ، وحرمان
طائفة من البشر من الحقوق المناحة للآخرين ؟ أم هو شيء غير ذلك ؟
بماذا يعنى أن يكون هذا تحت عنوان الرق ، أم تحت عنوان الحرية
والإخاء والمساواة ؟ ماذا تجدى العناوين الراقية اذا كانت الحقائق
التي وراءها هي أخست ماعرفته البشرية من الحقائق في تاريخها
الطويل ؟

لقد كان الاسلام صريحا مع نفسه ومع الناس فقال - هذا رق ،
وصيبه الوحيد هو كذا ، والطريق الى التحرر منه مفتوح ، والطريق
الى الظلمة كذلك موحود ، ولكن صفحه موهون باتفافق العالم على عدم
استرقاق أسرى الحرب -

أما الحضارة الزائفة التي يعيش اليوم في أحضانها فلا نجد في
بعضها هذه الصراحة ، فهي تصرف براعتها في تزيين الحقائق وطلاء
الافتات الراقية - فمثل مئات الألوف في تونس والجزائر ومراكش
آخر شيء سوى أنهم يطالبون بالحرية والكرامة الإنسانية وحريتهم في
أن يعيشوا في بلادهم بلا خييل ، وأن يتكلموا لعنهم ، ويعتقدوا
عقيدتهم ، ولا يخذلوا إلا أنفسهم ، وحريتهم في التعامل المباشر مع
العالم في السياسة والاقتصاد .. قتل هؤلاء الأبرياء وحبسهم في
السجون القذرة بلا طعام ولا ماء ، وانتهاك أعراضهم والسطو على
سبلاتهم ، وقتلهم بلا مبرر ، وشق بطونهم للتراض على نوع الخييل ..
هذا اسمه في القرن العشرين حضارة ومدينة ونشر لمبادئ الحرية
والإخاء والمساواة . أما المعاملة المثالية الكريمة التي كان يصحها
الاسلام للرق قبل ثلاثة عشر قرنا تطوعا منه وإكراما للجنس
البشري في جميع حالاته ، مع إعلانه العمل بأن الرق وضع مؤقت
وليس حالة دائمة ، فهذا اسمه تأخر واصطاط وهمجية -

وحين يصح الأمريكان على فنادقهم وبواديهم لافتات تقول
«لنبيع فقط» أو تقول في وقاحة كريمة «ممنوع دخول السود

والكلاب . • وحين يفتك جماعه من البيض «المتحضرين» بواحد من الملونين فيطرحونه أرضا ، ويضربونه بالحديد حتى يسلم الروح . • ورجل البوليس واقف لا يتحرك ولا يتدخل ، ولا يهم لسجدة أخيه في الوطن ، وفي الدين واللغة ، فضلا عن الاحوة في البشرية . كل ذلك لانه - وهو ملون - تجرأ فمشى الى جانب فتاة أمريكية يبيضا لا عرض لها - وبأذنها لا كرها عنها - يكون هذا أقصى ما وصل اليه اللون المشروح من التحضر والارتقاء .

أما حين يتهدد العيد المجوسي عمر بالقتل ويهم بحنه عمر ذلك ، ثم لا يجسسه ولا ينفيه من الأرض ولا يقول ينتمى ، وهو مخلوق ناقص الأدمية حقاً لانه يعبد النار ويصر على عبادتها تعصبا مهلناطل بعد أن رأى الحق بعينيه ، فما أشد همجية عمر ، وما أشد ازدراء لكرامة الجنس البشري لانه قال . وتهديني العيد ! ثم تركه حرا حتى قتله وهو خليفة المسلمين ، لانه لم يكن يملك عليه سلطانا قبيل أن تقترف الجريمة .

وقصة الملون في أفريقيا ، وحرمانهم من حقوقهم البشرية وقتلهم أو «اصطيادهم» حسب تعبير الجرائد الانجليزية الوحشة لا بهم جرارا فأحسوا بكرامتهم وطالوا بحريتهم ، هذا هو العدل البريطاني في قمته ، والحصارة الانسانية في أوجها . والمبادئ السامية التي تجيز لأوروبا الوصاية على العالم - أما الاسلام فهو حمقى جدا لانه يسترق أمري الحرب معاملة بالمثل لا اقتسارا لمبدأ الفرق . وهو متأخر جدا لانه لم يتعلم «اصطياد» الشراة والتلهي بقتلهم لا بهم سود البشرة . بل وصل توغله في التأخر والانحطاط أن يقول «اسموا واطيعوا ولو استعمل عليكم عيد حتى كان رأسه ريمة» .



أما المرأة فلها حساب آخر :

كان الاسلام قد أباح للسيد أن يكون عنده عدد من الجوارى من سبي الحرب (١) يستمتع بهن ورحله ، ويتزوج منهن أحيانا اذا

(١) بذلك يخرج من دائرة الاسلام كل ما كان في قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء من الجوارى المشتريات من أسواق النخاسة .

شاه . وأوروبا تستنكر هذا اليوم ، وتنصف عن هذه الحيوانية البشعة التي تعتبر الجوارى متاعاً مباحاً ، وأجساداً لا حرمة لها ولا كرامه . كل مهمتها في الحياة اشباع لذة بهيمة بغيضة ، لرجل لا يرتفع عن مستوى الحيوان .

وحريمة الاسلام الحقيقية في هذا الأمر أنه لم يستطع أن يبيع البغاء . فقد كانت أسيرات الحرب في البلاد الاخرى يهوى الى حصة الرديلة بحكم أنه لا عائل لهن ، ولأن سادتهن لا يشعرون بحوجهن بحمية العرس ، فيستغلونهن في هذه المهمة البغيضة ، ويكسبون من هذه النجارة القدرة - تجارة الأعراس - ولكن الاسلام - المتأخر - لم يقبل البناء ، وحرص على حفظ المجتمع طبقة من الجبرية ، فقصر هؤلاء الجوارى على سيدتهن ، عليه اطعامهن وكسوتهن وحفظهن من الجبرية ، وارضاه حاجتهن الجنسية - عرضاً - وهو يقضى حاجته .

ولكن صميم أوروبا لا يطبق هذه الحيوانية . ولذلك أيا حب البغاء ومنحته رعاية القانون وحمايته ! وراحت نشره عامه في كل بلد وطئته أقدامها مستعمرة . فما الذي تغير من الرق حين تغير عنوانه ؟ وأين كرامة البغى وهي لا تملك رد طالب - أي طالب - وما يطلبها أحد الا لأقذر معنى يمكن أن تهبط اليه البشرية . دفعة الجسد الخالصة التي لا تملؤها عاطفة ، ولا ترتفع بها روح ؟ وأين من هذه القدرة الحسية والمعنوية ما كان بين السادة والجوارى في الاسلام ؟

لقد كان الاسلام صريحاً مع نفسه ومع الناس ، فقال : هذا رق ، وهؤلاء جوار ، وحدود معاملتهن في كذا وكذا . ولكنه لم يقل ان هذا هو الوضع الدائم للبشرية ، ولا الوضع الذي يليق بكرامتها في المستقبل ، وانما هي ضرورة حرب تمتهي حين يتفق الناس على علم استرقاق أسرى الحرب .

ولكن الحضارة المزيعة لاتعد في نفسها هذه الصراحة ، فهي لاتسمى البغاء رقاً ، وانما تقول عنه : « ضرورات اجتماعية » !

ولماذا هو ضرورة ؟

لان الرجل الأوربي المتحضر لا يريد ان يعول أحداً . لا زوجة

ولا اولاداً • يريد ان يستمتع دون ان يحتمل نوبة • يريد جسداً
امرأة يفرغ فيه شحنة الجنس • ولا يعنيها من تكون هذه المرأة ، ولا
تعنيه مشاعرها نحوه ولا مشاعره نحوها • فهو حسد يتزود كالبهيمة ،
وهي حسد يتلقى هذه النزوة بلا اختيار ، ويتلقاها لامر واحد بعينه
ولكن من أى عابر سميل •

هذه هي «الضرورة» الاجتماعية التي تبیح استرقاق النساء في
الغرب في العصر الحديث • وما هي بضرورة نوارتفع الرجل الاوروبي
الى مستوى «الانسانية» ولم يجعل لأمانيته كل هذا السلطان عليه •

والدول التي الفت اليها في الغرب المتحضر لم تله لان كرامتها
أوجعتها ، او لان مستواها الحلقى والنفسى والروحى قد ارتفع عن
الجريمة ، كلا ! ولكن لان الهاويات قد أغنين عن المحترفات ، ولم تعد
الدولة في حاجة الى التدخل !

وبعد ذلك يجد الغرب من التصحح ما يميم به نظام الجوارى في
الاسلام ، ذلك النظام الذى كان قبل انه وظيفاة عام - وعلى انه
نظام مؤقت غير مطلوب له الدوام - اكرم بكثير وانظف بكثير من
النظام الذى يقوم اليوم في القرن العشرين ، وبعتهمة المدنية نظامها
طبيعياً ، لا يستنكره أحد ، ولا يسعى في تغييره أحد ، ولا يصانق
أحد في أن يظل باقياً الا ماشاء الله !

ولا يقل فائق ان هؤلاء « الهاويات » يتطوعن دون اكراه من
أحد ، وهى مائكات لمريضى الكاملة ، فقد كان هناك كثيرون من
العبيد يردون الحرية المنوحة لهم ، ويتطوعون بالعبودية - دون اكراه •
ولكننا لم نعتبر ذلك ميروا للرق في الاسلام ولا غير الاسلام - والعرة
بالنظام اننى يدفع الناس باوضاعه الاقتصادية والاجتماعية
والسياسية والعكرية والروحية الى قبول الرق أو الوقوع فيه ، ولا
شك أن الحضارة الاوربية هي التي تدفع الى البغاء وتقره ، سواء
كان البغاء الرسمى أو بغاء المقطوعات الهاويات ! •



لك قصة الرق في أوروبا حتى القرن العشرين : رق للرجال

م ١٢ ، ١٣ - لارق في القرآن

والنساء والامم والاحناس . رق متعدد المايح متجدد الموارد ، في غير
ضرورة متبعة كالتي يوجهها الاسلام ، اللهم الا خسة الغرب وعبوته
عن المستوى اللائق لبني الانسان .

الدكتور على عبد الواحد وافى :

والدكتور على عبد الواحد وافى شخصية متميزة ببحوثها في
مشكلة الرق والرقيق ، ويكاد يكون متخصصا في دراسة هذا
النظام ، نظام الرق ، فهو دكتور في الآداب وعصو المجمع الدول لعلم
الاجتماع ، وكان رئيسا لقسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية
بجامعة القاهرة وقد أصدر مؤلفين بالافرنسية فيها دراسة وافية
عن الرقيق . ونحن ننقل هنا ما جاء في كتابه (حقوق الانسان في
الاسلام) تحت عنوان « الحرية المدنية » ص ١٢٥ وما بعدها .

يقول الدكتور :

«يستوفى بالحرية المدنية صفة المرشد المدني التي تجعل الشخص
اهلا لاي يتحمل . الالتزامات ، ويعقد باسمه مختلف العقود المشروعة
من بيع وشراء وعبية ، وصية ، ورهن ، وواج . وعلم بيرا . ويقابل
هذه الحالة من الحرية حالة الرق ، وهي التي تجعل الشخص قاهرا
من الناحية المدنية ، وتحول بينه وبين مباشرة اى عقد أو القيام بآى
التزام ، وتنزع عنه اهلية التملك ، وتجعله هو نفسه مملوكا لغيره
وتنزله من بعض النواحي منزلة المسلمة .

وقد أخذ كثير من باحثى الفرنجة على الاسلام انه اباح الرق ،
وان في هذا وجهه علما لاعظم ركن من اركان الحرية الاسمانية .
وردنا على هؤلاء يتلخص في نقطتين :

احدهما . ان الظروف الاجتماعية التي كانت تكتنف العالم
في العصر الذي ظهر فيه الاسلام كانت تحتم على كل شارح حكيم
أن يقر الرق في صورة ما ، وتجعل كل محاولة لالغائه الغاء سريعا
مقصيا عليه بالفشل والاضعاق . وثانيهما . أن الاسلام لم يقر الرق
الا في صورة تؤدي هي نفسها الى القضاء عليه بالتدريج .

٦ - ظهر الاسلام في عصر كان نظام الرق فيه دعامة ترتكز

عليها جميع دواحي الحياة الاقتصادية ، وتعتمد عليها جميع فروع الإنتاج في مختلف أمم العالم . فلم يكن من الإصلاح الاجتماعي في شيء أن يحاول مشروع بحريته تحريراً باتناً لأول مرة ، لأن محاولته كهذه كان من شأنها أن تعرض أوامر المشرع للمخالفة والامتهان . وإذا أتيج لهذا المشرع من وسائل القوة والقهر ما يكفل به إرغام العالم على تنفيذ ما أمر به . فإنه بذلك يعرض الحياة الاجتماعية لهزة عنيفة ، ويؤدي تشريعه إلى إصرار بالغة لا تقل في سوء مفعولها عما تتعرض له حياتنا في العصر الحاضر إذا ألغى بشكل فجائي نظام البنوك أو الشركات للمساهمة ، أو حرم استخدام العمال ، وقضى على كل مالك أن يعمل بدينه ، أو بطل استخدام التجار . والرقائق كأن عماد الحياة الاقتصادية في تلك العصور .

٢ - لذلك أقر الإسلام الرق ، لكنه أقره في صورة تؤدي هي نفسها إلى القضاء عليه بالتدريج بلون أن يحدث ذلك أثراً سيئاً في نظام المجتمع الإسلامي . بل يدور أن يشعر أحد بتغيير في مجرى الحياة والوسيلة التي ارتضاها للوصول إلى هذه النهاية من أحكام الوسائل وأبلغها أثراً وأصدقها نتيجة ، وهي التخلص في العمل على تضييق الروافد التي كانت تمد الرق وتعديه وتكفيل بقاءه ، وفي توسيع المنافذ التي تؤدي إلى العتق والتحرير . وبذلك أصبح الرق أشبه شيء بجندول كثرت مصباته ، وانقطعت عنه منابعه التي يستمد منها الماء . وخلقين بجندول هذا شأنه أن يكون مصيره في الحطاب . وبذلك كفل الإسلام القضاء على الرق في صورة سليمة هادئة ، وأتاح للمسلم فترة للانتقال يتخلص فيها شيئاً فشيئاً من هذا النظام .

(١) كانت ووافد الرق في العصر الذي ظهر فيه الإسلام كثيرة متنوعة أصنافاً ومبعدة ووافد :

أحدها - الحرب بجميع أنواعها . فكان الأسير في حرب أهلية أو خارجية لا يخرج مصيره عن القتل أو الاسترقاق . وثانيها - الفرصة والختطف والسبي ، فكان ضحايا هذه الاعتداءات يعاملون معاملة أسرى الحرب فيعرض عليهم الرق ، وثالثها - ارتكاب بعض الجرائم الخطيرة كالقتل والسرقة والزنا ، فكان يحكم على مرتكب واحدة منها بالرق لصلحة الدولة أو لصلحة المجنى عليه أو أسرته ،

ورأيها - عجز المدين عن دفع دينه ، فكان يحكم عليه بالرق لتسديده
دائسه ، وخامسها - سلطة الوالد على ولاده ، فكان يباح له ان
يبيعههم يبيع الأرقاء ، وسادسها - سلطة الشخص على نفسه لقاء ثمن
معين (١) وسابعها - تناسل الأرقاء ، فكان ولد الأمة يولد رقيقا
ولو كان أبوه حرا - وكانت هذه الرواقد تقصف كل يوم في يار
الرق بألاف مؤلفة من الأعمس حتى أن عدد الرقيق كان يزيد من
كثير من الأعم على عدد الأحرار زيادة كبيرة .

جاء الإسلام ورواقد الرق على هذه الكثرة والفزارة ، فحرمهم
جميعا ما عدا راقدتين اثنتين وهما رق الوراثة وهو الذي يعرض على
من تلده الأمة (٢) ، ورق الحرب وهو الذي يعرض على الأسرى .
وعمد الى هذين الراقدتين نفسيهما فقيدهما بقيود تكفل تصويب
معيتهما بعد أحد غير طويل -

فمن أهم القيود التي قيد بها رق الوراثة أنه استثنى منه
لولاد الجوارى من أسيادهم فقرر أنه من تأتي به الجارية من سيدها
يولد حرا اذا اعترف به السيد . واذا لاحظنا أن الغالب في أولاد
الجوارى أن يكونوا من مواليد أنفسهم ، لأن الاغتياص ما كانوا
يقضون الجوارى الا لمتعتهم الخاصة ، تبين لنا أن هذا القيد الذي
قيد به الإسلام رق الوراثة كفيلا بالعمل على جفاف هذا الرق
نفسه ونضوب معيته بعد أحد غير طويل .

ومن أهم القيود التي قيد بها لولود الثاني وهو رق الحرب ،
أنه استثنى منه الدين يؤصرون في حرب بين طائفتين من المسلمين
فهؤلاء لا يضرب عليهم الرق . سواء آكانوا من الطائفة الباغية أم
من الطائفة الاخرى - أما الحروب الاخرى - وهي التي تكون بين
المسلمين وغيرهم - فلا تؤدي الى رق من يؤصرون فيها الا بشروط
كثيرة - من أهمها أن تكون الحرب شرعية أى يجيزها الإسلام ،
وتعمد وفق قوانينه ، وبعثها خليفة المسلمين . ولا يكاد الإسلام

(١) قد سبق أن قلنا ان هذه الاسباب كان سببها الفساد
الاقتصادي وابتاحة العدوان وقد أصلح الإسلام الفساد الاقتصادي
وحرم العدوان .

(٢) وهذا ما كان راسبا من زمن الجاهلية . المؤلف .

يبيع الحرب الإنسي ثلاث حالات . حالة الدفاع قال الله تعالى : « وقتلوا
 في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » -
 وحالة نكث العهد والكيد للدين الإسلامي ، قال تعالى : « وإن نكثوا
 إيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينهم قتلوا أئمة الكفر الهام
 لا إيمان لهم لعلهم ينتهون » - أو حيث تقتضي ذلك اعتبارات تتعلق
 بسلامة الدولة وانقضاء على الفتنة قال تعالى : « وقتلوهم حتى لا تكون
 فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » -
 ولم تتجاوز حروب الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الحالات
 سواء ذلك في حروبه مع العرب وحروبه مع اليهود - وحروبه مع
 الروم - فإذا لم تكن الحروب مشروعة بأن أعلنت في غير الظروف
 السابقة ، أو لم تنفذ وفق للمهاج التي وضعها الإسلام ، أو لم تكن
 مطلوبة من قبل الخليفة فإنها لا تؤدي إلى رق من يؤسرون فيها .
 وحتى مع توابع هذه الشروط فإن الإسلام لا يجسّل الرق نتيجة
 لازمة للأسر بل يبيح للإمام أن يمن على الأسرى بدون مقابل ، أو
 يطلق سراحهم في نظير فدية ، أو عمل يؤدونه ، أو في نظير أسرى
 من المسلمين عند العدو ، أو في نظير جزية تفرض على رؤسهم -
 بل إن القرآن تحاشى أن يذكر الرق من بين الأمور التي يباح للإمام
 أن يعامل بها الأسرى ، واقتصر على ذكر لبن والعهد - قال تعالى
 (فإذا لقيتم الذين كفروا فعذبوا الرقاب حتى إذا اخضعتموهم فسدوا
 الرثاق ، فأما منا بعد وأما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) -
 ومن هذا يظهر أن الإسلام قد ملك حيال الرق عن طريق
 الأسر للمسلك نفسه الذي يملكه حيال الرق الوراثي ، فقد قيده
 بقيود تكفل القضاء عليه ، فهو لم يجعله نتيجة لازمة للحرب بل
 جعله مسلكتاً من المسالك التي يصح أن يتخذها الإمام ، ولم يرغب
 فيه ، بل ورغب في غيره ، وفضل عليه ، بل أنه لم يجز الاتجاه
 إليه إلا بشروط لا تكاد تتوافر إلا في الحروب التي اضطر اليها
 الإسلام في مبدأ ظهوره . أما بعد استقراره وتنظيم العلاقات بينه
 وأهله والأمم أخرى ، فيندر أن تتوافر هذه الشروط - ومعنى هذا
 أن الإسلام لم يبيح هذا النوع من الرق إلا لأجل مألوم (١) .

(١) وكما قلنا إنه لم يكن إلا إجراء مؤلفنا اتخذه الإسلام
 لظروف خاصة .

هذا ما فعله الاسلام حيال روافد الرق . قضى عليها جميعا
ما عدا رافدين اثنين ، وقيد هذين الرافدين بقيود لكل تضروب
مبينهما بعد امد غير طويل .

(ب) وأبلغ من هذا كله في الدلالة على حرص الاسلام على
مبادئ الحرية هو ما سلكه حيال العتق وتحرير الارقاء .

كأن مساعد العتق قبل الاسلام صيغة كل الصيغ ، فلم يكن
له الا سبيل واحدة وهي رغبة المولى في تحرير عبده ، فبدون عبده
الرعبه كان مقصيا على الرقيق ان يظل هو وذريته راسمين في اعراض
العبودية أبدا الأيدي .

هذا الى أن معظم الثرائع كانت تحظر على السيد أن يعتق
عبده الا في حالات خاصة وبشروط فاسية وبعد اجراءات قضائية
ودينية معقدة كل التعقيد .

وبعضها كان يعرض على السيد فضلا عن هذا كله تخراجه
مالية كبيرة يدعمها للدولة ، لان العتق كان بعد تضييعا لمق من
حنوقها .

جاء الاسلام وهذه حالة العتق في خيبي مناهده وقسوة شروطه
فحطم كل هذه القيود ، وفتح للارقاء أبواب الحرية على مصاريها ،
وافتاح لتحريرهم آفا من الفرص ، وتخلص للعتق من الاسباب
ما يكفر بعضه للقضاء على نظام الرق نفسه بعد امد غير طويل .

فجعل الاسلام من اسباب العتق أن يجري على لسان السيد
في أي صورة اعط يدل صراحة على عتق عبده سواء آكان قاصدا
معنى اللفظ أم لم يكن قاصدا له بأن جرى خطأ على لسانه ، وسواء
آكان جادا في اصداوه أم كان هاذلا ، وسواء آكان مختارا أم كان
مكرها عليه ، وسواء آكان في حالة عادية أم فاقد ارشده بفعل
الخمر أو غيرها من المحرمات . ومن هذا يظهر أن الاسلام يتلصص
أو يبي اسباب لتحرير الارقاء .

ومن اسباب العتق كذلك أن يجري على لسان السيد في أية
صورة لفظ يفيد (التنبيه) أي يدل على الوصية بتحرير العبد بعد
موت حبيبه .

فبمجرد أن تصدر من السيد عبارة تفيد هذا المعنى تصبح الحرية مكفولة للسيد بعد وفاة سيده .

وقد اتحد الاسلام جميع وسائل الحيلة لضمان الحرية لهذا النوع من العبيد . فعُظِر على السيد في أثناء حياته أن يبيع عبده للمدير أو يرهقه أو يهبه أو يتصرف فيه تصرفا ينقل ملكيته لشخص آخر .

وإذا كان (المدير) حاربه فإن حكمها يسرى على ماله بعد تدبيرها ، فتمتلك معها بعد وفاة سيدها ، إثر ذلك ورثته أم لم يتركه .

ومن أسباب العتق في الاسلام كذلك أن يأتي السيد من جاريته بولد يتعرف ببنوته . ففي هذه الحالة يعتبر الولد حرا من يوم ولادته ، وتصبح الام نفسها مستحقة للحرية بعد وفاة سيدها . وقد اتخذ الاسلام لضمان الحرية لهذا النوع من الاماء الاحتياطات نفسها التي اتخذها حيال النوع السابق ، وإذا جاءت أم الولد (وهذا هو الاسم الشرعي الذي يطلقه العلماء على كل جارية من هذا النوع) بعد ذلك بولد من غير سيدها يسرى حكمها عليه فيعتق بعد وفاة السيد .

ومن أسباب العتق في الاسلام كذلك أن يكتب السيد عبده أي يتفق معه على أن يعتقه إذا دفع مبلغا من المال . وقد ذلل الاسلام لهذا النوع من السيد جميع وسائل الحصول على المال في صورة تدل أوضح دلالة على شأته حرصه على الحرية . فأباح لهم أن يتصرفوا تصرف الأحرار فيبيعوا ويشترؤا ويتاجروا ويعضوا المقود حتى يستطيعوا أن يجسوا المبالغ التي كوتبوا عليها فتحرر وقابهم . وحث جميع المسلمين على مساعدتهم ، والتصديق عليهم فقال تعالى : (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاوتهم إن علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) (١) .

ولم يكتف الاسلام بذلك بل خصص جزءا من ميزانية الدولة لمساعدتهم من الرقة كما أشرنا الى ذلك فيما سبق . ويبلغ ظاهر

(١) النور آية ٣٢ ،

القرآن في الآية التي ذكرناها على أنه لا يصح للسيد أن يمسح عن قبول المكاتب حتى أبقى العبد رغبته في تحرير نفسه لقاء مبالغ ينفقه . وقد سأل ابن جرير عطاء بن رباح فقال : (أوجب على إذا طلب حتى يملوكي الكتابة أن أتأنيه ؟) فأجابته بقوله (ما أراه إلا واجبا) واستعمل بالآية الكريمة السابقة .

وإذا كان المكاتب جارية سرى حكمها على من تملكه يسهل مكانتها ، فيعتق معها بدون عوض بمجرد أمانتها المبلغ الذي تعاقدت مع سيدها عليه سواء أرضى السيد بذلك أم لم يرض به . وفضلا عن هذا كله فقد عمد الإسلام إلى طائفة كبيرة من الجرائم والاحطار التي يكثر حدوثها ، وجعل كفارتها تحرير الإرقاء محمدا تقفيرا للقتل الناشئ عن خطأ وما في حكمه قال تعالى : (وما كان لؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) (١) وللانقطاع في رمضان ، وللحنث في اليمين . قال تعالى : (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم) (٢) .

وجعله وسيلة لمراجعة المرأة إذا أوفع عليها زوجها طهارة أي إكمال لها : (أنت على كظهور أمي) أو عبارة من هذا القبيل قال تعالى : (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يصودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا) (٣) .

وتقرر الشريعة الغراء أن من وجبت عليه كفارة من هذه الكفارات ، ولم يكن يملك عبدا وجب عليه أن يشتري عبدا ويمتقه متى كان قادرا على ذلك (٤) .

(١) سورة النساء آية ٩٢ .

(٢) المائدة آية ٨٩ .

(٣) المجادلة آية ٣ .

(٤) من هذا تعلم أن كل هذه التشريعات لم تكن إلا لرواسب الرقيق من زمن الجاهلية حتى يتحرر كل ما كان موجودا من الرقيق بهذه الوسائل . أما إذا خلا المجتمع من الرقيق فيكون التكفارة شيئا آخر . مما يتطلبه المجتمع الإنساني من إصلاح . (لزالف)

وبجانب هذا كله حبيب الاسلام الى الناس تحرير الرقيق .
وجعله أكبر قربة يتقرب بها المؤمن الى الله تعالى حتى ان النبي
صلى الله عليه وسلم ليضرب به المثل في جلال السمل وعظم الاجر .
فيقول : « من فعل كذا فكانما اعتق رقبة او يكون ثوابه عند الله
ثواب من اعتق رقبة » .

ولم يكف الاسلام بهذا كله بل حصص كذلك سهما من
مال الزكاة الى جزءا من ميزانية الدولة في الاتفاق على تحرير
الارقاء وعتمهم ومساعدة من يحتاج منهم الى مساعدة في سبيل
تحريره كالكتاتين ومن اليهم فقال تعالى : « انما الصدقات للفقراء
والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب » (١) اي
في تلك قيود الرق عن رقاب الارقاء .

والمتصور بالصدقات هي الاية الزكاة التي كان يخالف منها
أهم جزء من موارد الدولة .

ومن هذا يظهر صدق ما قلناه من ان الاسلام لم يقر الرق الا
في صورة تؤدي الى نفسها الى القضاء عليه بالتدريج . وذلك بان
صدق روافده . لم يسمح ببقائها الا لأجل معلوم . ووسع مصادق
العتق الى أصل المردود . وبذلك أصبح الرق كما قلنا أشبه شيء
بجدول كثر مصباته . وانقطعت عنه موارده التي يستمد منها
المال . وخلق جدول هذا شأنه أن تكون مصيره الى الحذف .

الاستاذ محمد عبد النعم خليفة :

وهذا أحد علماء الأزهر الناصبي الدين وقفا بهودتهم لجنة العدل
والحرية وبيان مزايا الاسلام وعدائنه . وللاستاذ خليفة مؤلفات
لا تحصى في هذا السبيل - هذا الاستاذ العاضل يقول في كتابه
(الاسلام دين الانسانية الخالدة) تحت عنوان (الاسلام ونظام الرق)
ص ٢٨٨ وما بعدها :

« كان الرق دائما قبل الوسالة المصيرية في كل مكان .
وكانت أسمايه متعددة كثيرة . فهناك أمري الحروب الارقاء

(١) سورة التوبة آية ٦٠

والارقاء بالسبي والخطف والصلوصية ، والارقاء بسبب اجرامهم ، والرق بسبب الدين ، والرقيق بالوراثة ، وكان يجوز للانسان ان يبيع نفسه وأولاده على أنهم أرقاء ، وكان بعض الاغنياء يملكون الملاحين في مزارعهم رقيقاً مملوكاً لهم ، وبعض المجتمعات تصد المرأة في منزلة الرجل المملوك .

وقد ظهر الاسترقاق منذ الصور القديمة ، والله بكثرة المصريين القدماء ، والمصريين والبرابرة ، والفرس ، واليونان ، والرومان ، وأقره أفلاطون ، وأرسطو الذي ذهب الى أن أرواحهم غير مخلقة كأرواح الحيوانات .

واعتبرت الديانة المسيحية شرعياً ، واستحي المسيحيون على تلك الشريعة ، وكان الاوروبيون يسترقون سكان أمريكا - بعد اكتشافها - ويعاملونهم أسوأ للعامة .

أما الاسلام فقد حرم شتى أنواع الرق عدا الرق بسبب الاسرى في حرب اسلامية عامة بين المسلمين والمشركين ، وما عدا الرق بسبب الوراثة والتماثل .

ومع ذلك فقد قيد الاسلام - بعد ذلك - نظام الرق بقيود شديدة فجعل للملوكة بسبب الوراثة يولد انتهياً من سيدها حراً اذا أحقه بنسبه ، وتمال هي حريتها بعد وفاة السيد وجعل الرق في الحرب قاصراً على الحرب في ممييل الدين ، الحرب التي تحدث بين المسلمين والمشركين ، أو المسلمين وأهل الكتاب الذين يريدون أن يطفئوا نور الله ، وهي الحرب التي تكون للدفاع عن الدين من اعتداء معتد أثيم ، أو ملكية من دولة كافرة ، أو للحدث بالمهود والالتزامات ، والتي ينص القرآن الكريم على مشروعيتها بقوله : (وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) .

نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا
الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) . وجعل للحاكم الحق في أن يمن على الاسرى ، وفي قبول الفداء (١) .

(١) هذه القاعدة القرآنية فيما يخص بأسرى الحرب (فاعلمنا بعد وأما فداء حتى تضم الحرب أوزارها) . أما ابقاء الاسرى فليس الا للمعاملة بالمثل فقط كأن نفتدى اسرا من ايدي أعدائنا بالاسرى الذين هم في أيدينا . وليس في القرآن رق ولا استرقاق .
(المؤلفه)

ثم فتح الاسلام الابواب للحرية والعنق ، وحث على تحرير
الارقاء بكل طريق وسبيل ، وحمله معنيا عن كثير من الاحطاء
وقرض على الدولة ان تقوم بتحرير الارقاء من اموال الزكاة الخ .
ويقول في مكان آخر من كتابه : تحت عنوان (حقوق الانسان
في الاسلام) ص ٢٢٦ .

« كفل الاسلام حريات الافراد والجماعات ، وناوأ الاستعداد
البشرى في جميع صورته وشئى مظاهره حتى قال عمر فيما يصفه
لأحد ولاته وقد اعنسى على رجل من الرعية : (كيف تستعبدون
الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا) »

الاستاذ شيد الرحمن عزام

وهذا احد اعلام المسلمين وكان امياً للجماعة العربية .
يقول في كتابه الرسالة الخالدة في صفحة (٨٧) وما بعدها تحت
عنوان (ادب الحرب) :

« اجازت الدعوة المحمدية الحرب في اضيى نطاق ، كما
تضاقت من الرق لانه كان ايضا نظاما عالميا ، وعملت تدريجيا
على منع الحرب ، ومنع الرق باساليبها المختلفة ، وجعلت
القاعدة العامة بالنسبة للأسير الم أو الفداء ، فصار تشريعها
العام بالنسبة للأمير مانسا للرق - وبالمضى بجميع الوسائل
على تحرير الرقيق ، وتخصيص سهم من الزكاة لفك الرقاب
وبالاحسان اليه وفقا لأداب خاصة تستلزمها الشريعة وتستلزمها
الورع ، قاومت الدعوة المحمدية الرق مقاومة كانت بالتدريج
أفعل في هيئة الضعير البشرى للقضاء عليه من المفاجأة بالتحريم
البات .

كذلك الحرب ، حلت الدعوة المحمدية والقتال نظام عمام
مفصل في نفوس البشر وفي حياتهم الاجتماعية فلم يبدأ بتحريمها
ولكنه حصرها في دفع العدوان ، وبصرة المظالم محدد اغراضها ،
ثم امر بوقفها بمجرد جنوح الخصم الى السلم ، وانهاها بالهدوء
والمواتيق التي لها حرمة الإيمان ، حتى حصل حق الميثاق بوقد
سبلة الاسلام ، فأحاط الحرب بحدود ونظم واسباب ، وأغراض ،
وعهود ، وعرف ، في أثناء القتال مما يقل وقوعها ، ويخفف من

وبها . ولو ان المسلمين وقتوا في هذه كما وقعت الدعوة المحمدية في مقاومة الرق لشمل العالم سلام دائم كما شمله اليوم النور من الرق . وانا نتجوا ان تترك هدفها في العصر الآتي وقد طفي شر الحرب الى درجة غير مسبوقه ، ولا يزال أمام العالم مجال اذا احتسب يهدي الاسلام » .

تم سطر الاستاذ عبد الرحمن في هذا الموضوع حتى يقول :

« وليس في القرآن الكريم نص واحد على قتل الاسير ولا على استرقاقه ، ولم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه استرق أسيرا . والنص الصريح هو تخيير الامام بين أمرين لا ثالث لهما : ألين والعداء - يقول تعالى - « حتى اذا اخضعوهم مضربوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها » .

الاستاذ عباس محمود العقاد :

وهذا عملاق يرضى على قمة الفكر العربي يقول في كتابه «حقائق الاسلام واباطيل خصومه» صفحة ٢١٥ وما بعدها تحت عنوان «الرق» - -

« شرع الاسلام العنق ولم يشرع الرق الا كان الرقيق مشروعا قبل الاسلام في القوانين الوضعية والدنية بجميع شعوب انواعه : رق الاسر في الحروب . ورق اسبي في غارات القبائل بعضها على بعض ، ورق البيع والشراء ، ومنه رق الاستدانة او الوفاء بالديون .

وكانت اليهودية يبيعه . ونشأت المسيحية وهو مباح فلم تحرمه ، ولم تنظر الى تحريره في المستقبل ، وأمر بولس الرسول العبيد باطاعة مباداتهم كما يطعمون المسيح ، ففسأ في رسالته الى اهل انفسس : « ايها العبيد اطيعوا سادتكم حسب الجسد يخوف وزعة في بساطة قلوبكم كما للمسيح . ولا بخفة العين . فمن يرضى الناس بل كميد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس ، عاملين ان مهمنا عمل كل واحد من الخير فذلك مثاله من الرب عبدا كان أو حرا ، » .

واوصى الرسول بطرس بمثل هذه الوصية ، وأوجبها آباء الكنيسة ، لأن الرق كفارة من ذنوب البشر يؤديها العبيد لما استحقوه من غضب السيد الأعظم ، وأضاف القديس الفيلسوف واما الاكرويني رأى الفلسفة التي رأى الرؤساء الدينيين ، فلم يحرم على الرق بل زكاه لأنه على رأى أستاذه أرسطو سائلة من الحالات التي خلق عليها بعض الناس بالفطرة الطبيعية ، وليس مما ساقض الايمان أن يقتنع الانسان من الدنيا بأهون نصيب « . وبعد ان يستطرد الاستاذ العقاد في الموضوع ، ويتحدث عن مذهب أرسطو في الرق ومذهب أفلاطون ، وبعد أن يوجز تاريخ الرق في شتى البلاد وشتى العصور يقول :

« ونحن نحب أن نلخص ماضيه الاسلام في هذه المائة عمل اربعة عشر قرنا في بضع كلمات . انه حرم الرق جميعا ، ولم يبيع منه الا ما هو مباح الى الآن . ومعنى ذلك انه قد صنع جو ما يطلب منه أن يبيع ، وان الامم الإنسانية لم تات بجديد في هذه المسألة بعد الذي تقدم به الاسلام قبل ألف وبف وثلاثمائة عام » .

فالذي أباحه الاسلام من الرق مباح اليوم في أهم الحضارة التي تعاهدت على منع الرقيق منذ القرن الثامن عشر الى الآن .

لأن هذه الامم التي اتفقت على معاهدات الرق تبيع الامر واستنقاء الاسرى الى أن يتم الصلح بين المتحاربين على تسادل الاسرى او التحويل عنهم بالفداء وانعزاة .

وهذا هو كل ما أباحه الاسلام من الرق أو من الامر على التعبير الصحيح .

وغاية ما هنالك من فرق بين الماضي قبل اربعة عشر قرنا ، وبين الحاضر في القرن العشرين ، أن الدول في عصرنا هذا تتولى الافصاح على تبادل الاسرى أو على اقتداء بعضهم بأفرومة والتعويض ، أما في عصر الدعوة الإسلامية فلم تكن دولة من الدول تشغل نفسها بهذا الواجب نحو رعاياها المسجونين . فمن وقع منهم في الاسر نفى حتى يفتلى صله أو نماله اذا سمح له الأسرون بالفداء .

فماذا لو أن الدول العصرية بقيت على حطة الدول في القرن السادس للميلاد ؟

ماذا لو آن الحروب اليوم اقتتعت كصا كانت تنتهى في عصر الدعوة الإسلامية بغير اتفاق على تبادل الاسرى ، أو على افتكاكهم من الأسر بالتعويض والغرامة ؟

كانت حالة الاسرى اليوم تشبه حالة الاسرى قبيل أربعة عشر قرنا في حقوق العمل والحرية والتمتع بالاريا الاجتماعية . وكان كل أسير يظل في موطن أسرهِ رقيقا مبيعرا في الخدمة العامة أو الخاصة محروما من المساواة في حقوق المواطنة بينه وبين الأمة الغالبة .

حالة كحالة الرق التي سمح الاسلام على كره واضطرار . ولكن الاسلام لم يقنع بها في ابل دعوته وأضاف الى شريعته في الرق بوافل وشروطا تسمى الشريعة الدولية باكثر من ألف سنة ، فاذا كانت الشريعة الدولية لم تعرف الدولة في فكاك وعاباها من الأسر ، فقد سبق الاسلام الى مرض هذا الواجب على الدولة ، فجعل من مصارف الزكاة اتفاقها « في الرقاب » أي فكاك الاسرى ، وأن محاسب للاسرى حق من الغنى والفنية كحق قهرهم مع المقاتلين .

واذا كان ارساط الاسرى صربة لأرب في الحروب الحديثة ، فالاسلام لم يجعله حتما مقضيا في جميع الحروب ، وحرص على التخفيف من شدته مايسر التخفيف منه ، وجعل المر في التسريح افضل الخطتين : « فاما منا بعد واما فداء حتى تفسح الحرب أوزارها » (سورة محمد) .

وحث المسلمين على قبول الفدية من الاسيرين أو من أوليائهم .

« والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيماكم فكأنهم ان علمهم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » (سورة النور)

وقد كثرت وصايا النبي عليه السلام بالأرفاء فقال - في بعض الأحاديث - : « لقد أوصاني جبريل بالرفق بالرفيق حتى ظننت أن الناس لا يستعبد ولا تستخدم » .

وكانت من آخر وصاياه قبل انتقاله الى الرفيق الاعلى وصيته « بالصلاة وما ملكت أيمانكم » ،
 ونهى المسلمين أن يتكلم أحد عما ملك فيقول : عبدى وامتى ،
 واسا يذكركم فيقول : فتاى وقتانى كما يذكركم آيماه وبناته ، وكان
 عليه السلام يعلم صحابته بالقبوة فى معاملة الرفيق ، كما يعلمهم
 بالقرضة والوصبة ، فكان يتورع من تأديب وصيفته ضربا
 بالسواك ، وقال لوصيفة أرسلها فأبطلت فى الطريق ، « لولا خوف
 الفصل لا أوجعتك بهذا السواك » .

ومن الوسائل الفردية التى تحرى بها الاسلام تعميم
 العتق ، وتسهيل فكك الاسرى انه جعل العتق كفارة عن كثير من
 الذنوب كالقتل الخطأ ، والحنت باليسين ، ومخالفة قسم الظهار .



ومن قتل مؤمنا خطأ ، فتحرير رقبة مؤمنة يديه مسلمه الى
 أهله الا أن يصدقوا فان كان من قوم عدوكم وهو مؤمن فتحرير
 رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى
 أهله وتحرير رقبة مؤمنة « (سورة النساء)

« لا يؤخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤخذكم بما عقدتم
 الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم
 أو كسوتهم أو تحرير رقبة » (سورة المائدة)

« والذين ظاهرون من سبائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير
 رقبة من قبل أن ينهاها » . (سورة المجادلة)



وينحسب من الرذائل المأخوذة على الانسبان السيء أنه لا
 يقتحم هذه القبة ، أو لا ينهض بهذه الفدية المؤكدة :

« فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة ، فكس رقبة ، أو
 اطعام فى يوم لى مسفبة يتيما ذا مقربة » . (سورة البلد)



فالعتق اذن هو الذى شرعه الاسلام فى أسر الرق وأما
 نظام الرق بأنواعه فقد وجدته مشروعا فخرمه جميعا ، ولم يبح
 منه مباح الى اليوم فى نظام الاسرى وكسخرهم فى اعمال من

بأسروهم من المتقاتلين . وسبق القوانين الدولية بتقريره الرام
الدولة واجب السعي في إطلاق أسراها واعتناقهم بالفداء ، وشفع
ذلك بالوسائل المردية فيما تنقل به اللعة الى الأفراد من مالكي
الأرقاء بعد وفاة الدولة بلمتها .

ولا يقال هنا : انه عمل كثير أو قليل بل يقال انه العمل
الوحيد الذي أستطيع في محاربة نظام الرق ، ولم تستطع أمم
الإنسانية ما هو خير منه في علاج هذه المألة الى الآن .



أي شعاعة كانت لاولئك المالكين النسيين في عصر بصوهم
بحق . في تاريخ العالم . نانه عصر انجھالة والظلمات ؟

لقد كانوا - على كثيرهم أو قلتهم - أهون شأنًا أن يحمل
بهم صاحب شريعة أو ولاية ، ولم يباع من مسائلهم في جزيرة
العرب ولا في بلد من بلاد العالم أن تسمى مشكلة تلجح على ولاية
الأمر أن ينظروا في حلها بما يرضى العبيد ، أو بما يرضى السادة
المتحكمين فيهم . كانت مسائلهم من المسائل المغروغ منها أو من
مسائل العادة التي يتقبلها الناس على علائها ، ولا يستغربون
منها شيئًا يدعوهم الى تعديلها بل الى الكلام فيها . لماذا بالامسلام
يملى على المجتمع حلا كحل الظاهر المنتصر في كفاح يمام مغلوبه
مالم يكن ليرصاه باحتياؤه ؟ وإذا بالنظام العريق في أمم الحضارة
بقية من بقايا الامس رهينة بيومها الموعود .

شان الأرقاء في الجزيرة العربية أهون يومئذ من أن يدعو
ولاية الامر الى عناية به على قسر أو على اختيار .

وشان الاسرى في جدول الدول يومئذ كشان الطريدة من
الحيوان لا تلم من التمزيق إلا لتفني غنم المطبعة للسخره في
غير رحمة ولا مبالاة بحسب د شرائع الدين - كشرائع العرب -
قدوة لا قياس عليها ما شرعه الامسلام نظير سابقة في امر الاسرى
ولا في امر الأرقاء .

شريعة العهد القديم كما يص عليها الاصحاب العشرون من
كتاب التثنية تقول للمقاتل المؤمن بها :

« حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استسلمها للصلح فلا اجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير وامتعيه لك . واذا لم تسالك بل عطيت معك حربا محارمها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك قاضرب جميع ذكورها بسعد السيف واما النساء والاطفال واليهائم وكل ما في المدينة وكل غنيمتها فتقلها لنفسك » واكل غنيمه اعدائك التي اعطاك الرب الهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا . اما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما يل تحرمها تحريما .. »

وانسى من هذا الجزاء جرأه المدن التي يحجم فيها ناجم بالدموة الى غير اله اسرائيل قائما كما حله في الاسحاح الثالث عشر من كتاب التثنية .

« فحربا تضرب سعد السيف . وتحرم كل ما فيها مع يهائمها بسعد السيف تجمع كل امتعتها الى وسط ساحتها وتحرق بالنار .. المدينة وكل امتعتها كاملة للرب الهك فتكون تلا الى الابد لا تبنى بعلده » .

فالقوة في حروب الدين . وحروب الفتح تفوز بالقوة . ولا تفوز بالقوة والرحمة . واخرى يعرب المجاهدية ان يكونوا في قسوة بني اسرائيل او أشد منهم قسوة : لانهم اهل بادية مثلهم (يدهم على كل انسان ويد كل انسان عليهم) كما قبل عنهم في العهد القديم .. فاذا عللت وصايا الرق في الاسلام بانعلل الطبيعية التي تسيغها عقول منكوبة . فماذا يقول الذين ينكرون الدعوة الاسلامية تعصبا لدين آخر وماذا يقول الذين ينكرونها من المجاهدين للاديان ؟

يقول المنكرون المتعصبون لدين غير الاسلام . ان الدموة برمتها تلفيق ورجل دجال . ولا ندرى كيف سمح عقولهم ان يكون الرسول الدجال ارفع ادبا واشرف خلقا واير بالانسانية الضعيفة من الرسل الصادقين .

ويقول المنكرون من انصار العلل الطبيعية ان الدموة الاسلامية ولادة البلاد العربية خرجت من اطواء عقائدها وتقاليدها وماكوراتها .

ولا ندري كيف يكون الإبهام والمعموس إذا كان هذا هو التعليل والتفسير . فأننا لا نقول شيئا ترضاء العقول وتستريح اليه إذا قلنا ان البيئة العربية جاءت بتقيض المنتظر منها وتقويض المنتظر من العالم حوالها .

ان تصديق أعجب الخوازيق لأجلد يعقول العربي في قبول هذا اللغو التي صدقوه ، واطمانوا اليه . وسحر أيضا يريد المدعوة الإسلامية سببها الحقول ، فلا نرى تناقضا بين هذا السبب وبين الواقع الذي لا غرابة فيه الا اذا أوجبنا نحن على عقولنا أن نستعربه متعسفين ، فالغريب عندنا أن يأتي رجل دجال بما لم تات به أرفع الحضارات والدنات من قبله ، والغريب عندنا أن يكون محمد مبعوثا بإرادة الأمة العربية وهي ما هي في أيام الجاهلية .

اما الواقع الموافق للعقل ، ولا مناقضة فيه لنواميس الكون فهو أن يخلق الله أنسانا كاملا يلهمه الحق والرشد ، ويعينه الى الهداية عليهما بعمل يستطيعه ويستطيع الناس أن يفهموه - حتى حدث - كما يفهمون جلائل الاعمال ، الا انهم لا يستطيعون أن يتوقفوه اذا قصروه على المألوف المعهود في سياق التاريخ .

وهذا تفسيرنا لوصايا الرق في الاسلام ترتضيه عقولنا ، ونقول عن يقين أنه اقرب الى العقل من معجزة الدجل ومعجزة القانض المستحيلة .

ونحسب أن المكابرة تقصر عن الذهاب الى الإمد الذي يدقعه اليه من لا يفرقون بين الدجل والصدق ، أو لا يفرقون بين الواقع والمستحيل .



وتنطوى القرون وينكشف الزمن عن أزمة الرق الكبرى في التاريخ الحديث .

ان وصايا الاسلام في مسألة الرق خولفت كثيرا وكان من مخالفيها كثير من المسلمين ، ولكن الاسلام - على الرغم من هذه المخالفة المتكررة - لا يضره ولا يفض منه قضاء التجربة

العملية عند الموازنة بين جناية جميع المسلمين على الأرقاء ، وجناية الآخرين من اتباع الأدب الكناية .

قائلاة الأفريقية - في بلاد السود - مفتوحة أمام أبناء السواحل المجاورة لها منذ مئات السنين ، ولم تفتح للنخاسين من الغرب إلا بعد اتصال الملاحة على ساحل البحر الأطلس في العالم القديم والعالم الجديد .

وفي أقل من خمسين سنة نقل النحاسون أفريقيون جموعا من العبيد السود تبلغ عدد الباقين من ذريتهم - بعد القتل والأضطهاد - نحو خمسة عشر مليوناً في الأمريكتين ، عدد يضارع خمسة أضعاف ضحايا النخاسين في القارات الثلاث منذ أكثر من ألف سنة ، وهو فارق جسيم بحساب الأرقام يكفي للإبانة عن الهاوية السحيقة في التجربة العملية بين النخاسين ، ولكنه فارق هين إلى جانب الفارق في خطوط أولئك الضحايا بين العالم القديم والعالم الجديد ، فإن في الأمريكتين إلى اليوم أمة من السود معزولة بأسبابها وحطوطها وحقوقها العملية ، وليس في بلد من بلاد الشرق أمة من هذا القبيل ، لأن الأسود الذي ينتقل إليها بحسب من أهلها بعد جيل واحد : له ما لهم وعليه ما عليهم بشر حاجة إلى حماية من التشريع أو مصوص الدساتير .

ويقول الاستاذ العقاد في كتابه (المرأة في القرآن الكريم) ص ١٧٧ وما بعدها :

« والنساء المملوكات أقدم في التاريخ من الرجال المملوكين ، فقد لوثت الزواج في كثير من القبائل البدائية أن يكون كله سبيها واغتصابا من نساء القبائل الأخرى ، ولم تدع الحجة قديما إلى استرقاق الرجال إلا بعد وجود الأعمال التي توكل إلى الأسرى ، وترفع منها المقاتلون الأحرار . فكان استرقاق الأسرى نقلا على مالك الرقيق يتحمله أو يتخلص منه بقتله ، وكانت المرأة تقتنى للمعاشرة أو لخدمة البيت والمرعى ، وهي خدمة سبقت ما يستخدم فيه الرجال من الصناعات ، ومطالب المعاش . »

وتعتبر قضية الإماء والسراري جزءا من قضية الرق على عمومها لولا أن المرأة المستعبدة تنفرد بمشكلاتها التي سبقت

مشكلات الرق في المجتمعات البدائية ، لأن سبي النساء أقدم من
تسخير الرجال في العبودية ، ولأن مشكلات الاماء على اتصال
وثيق بمشكلة المرأة ، وفي بيئتها الاجتماعية ، ولم تكن
حقوق الزوجات الحرائر في القدم تفضل كثيرا نصيب الاماء
المتعبدات .

ومن وجوه الخلاف بين رق المرأة ، ورق الرجل ان العتق
ير كبر بالانسان الذي سلبت حريته ، وهانت على الناس كرامته ،
ولكن العتق لا يؤول بالجارية الى حرية تفضي عليها ، وهي بلا
عائل ولا زوج ، وربما تقلها العتق من العبودية لسيد واحد الى
العبودية لكل سيد تآوى اليه ، ولم يكلل لها رزقا ولا عملا اكرم
من أعمال العبيد للسخرين بغير حرية لها ولا اختيار .

وقد نظرت شريعة القرآن الكريم الى الفارق بين الرجل
والمرأة في امر العتق فعملت على نقل النساء المملوكات من رابطة
العبودية الى رابطة الزوجية ، وأمرت المسلمين بتزويجهن وألبر
بهن :

« وانكحروا الایمی منكم والصالحين من عبادكم وامائکم ان
يكون فقراء بفهم الله من فصله » (سورة النور) .

وفصلت الزواج بالجارية المملوكة على الزواج لسبيلة
اليوت من المشركات ولو حسن مراها في المين :

« ... ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم »

(سورة البقرة)

وفرضت لهن حقوقهن كما فرضت الحقوق للازواج :

« قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم ، وما ملكت إيمانهم »

(سورة الاحزاب)

وجعلت اصحاب المال ومن يملكونهم سواء فيما عندهم من
رزق الله .

« فما الذين ضلوا برأى رزقهم على مملكت إيمانهم فهم
فيه موله » . (سورة النحل)

وحرمى الاسلام على البر بين في عواطفهم واحاسنهم ،
كما حرص على البر بين في لزمانهم ومعيشتهم فكان عليه السلام
ينهى المسلم أن يقول : « عدى وامتى » وإنما يقول (فتاى وقتاى)
كما يتحدث عن ابنائه ، وكانت وصيته بالصلاة والرفيق من آخر
ساباه صلوات الله عليه قبل انتقاله الى الرفيق الاولى .

ولم يحصل اولئك المستضعفون من النساء والرجال على
تلك المعاملة طوعا لأوامر دين من الاديان قبل الاسلام ، ولا تلبية
لسميهم أو خوفا من تمردهم وعصيانهم ، ولم يكن أحد من
أقوامهم يناصرهم أو يتقبل منهم شكائهم ، بل لم يكن في الأرقاء
أنفسهم من يعتقد أن له حقا في شكواه . ويحسب أن الرق
مظلمة أصابته بغير حقه . وقد أسلم بعض الأرقاء من العبيد
والاماء فلم يزدوا عددا في صدر الدعوة الاسلامية على أصابع
اليدى ، ولم يكن لهم صوت مسموع في شريعة الجاهلية ولا في
شريعة الاسلام ، إذ كانت شريعة الاسلام مما ينظمه المسلمون
من التمس ، ولم تكن مما يعلمونه إياه .

مهما بات من آية مطاعة من آيات البر بالنساء المستضعفات
اللاتى لا سند لهن ولا عائل يرحمهن ، فإنما هي آية من الوحي
الساوى تجرى على مسبق واحد مع آياته كافة في تشريع
الحقوق وتعليم الفرائض والواجبات .

وارتفع الاسلام بأنعامه كل منزلة من الانصاف للرفيق
والرفق به لم تلقها الانسانية بأدائها وفوائدها ودمسائرها
وانظمتها بعد أكثر من ألف سنة . ولكن المسلمين مع هذا قصرُوا
في جهود شتى من الشاؤ الرفيع الذى دعاهم دينهم اليه ، وابتحت
بينهم النخاسة التى حرمها الدين وسيت بينهم الوصايا التى
ذكرهم بها الكتاب والسنة ، واستبيحت فيهم حقوق الأحرار
والعبيد على السواء ، إلا أن الشريعة القرآنية الطاهرة عطلت بينهم
عملها ، ولم تلعب آثارها سدى في جعلتها . ومن آثارها ما ثبتت
بالاحصاء والمقارنة كما يؤخذ من القالة بين عدد الأرقاء وبين
حالتهم في بلاد الحضارة الاسلامية ، وبلاد الحضارة الاوربية
والامريكية بغير حاجة الى شرح طويل .

فكل من بقى من الأرقاء في البلاد الاسلامية بعد ثلاثة عشر

قرنا لا يريدون على مليونين منهم ازواج وروجلات دخلوا في الاسر
الحرية على هيئة المساواة والمواخاة . ومما له دلالة في هذا
الصدد أن ارتفاع المهانة من المالك في العالم الاسلامي مكنهم غير
مرة من اقامة الدول ، وارتقاء المناصب ، وولاية الوراثة والقيادة .
ومصاهرة البيوتات من اصحاب الملك والامارة ، ولو لم تفارفهم
سبة الرق التي لصقت بهم في كل بيئة غير البيئة الإسلامية لما
تمكنوا من الصعود الى منازل الاجتماع في هذه الفعة ولا فارقوا
قط منازل الوالي والعييد .

ونعتقد القاطنة الشريعة بين قسمة الرقيق في ظل الشريعة
الاسلامية وقسمته في ظل الحضارة الغربية ، فتسفر عن الفارق
البعيد بالارقام والحقائق والادوضاع .

تجارة الرقيق خلال خمسين سنة جمعت في القارتين
الأمريكيتين أمة كبيرة تبلغ سلالتها اليوم ستة عشر مليونا في
الشمال والجنوب ، وأهدرت بينهم جميع الحقوق حتى حق
الحياة الى زمن قريب . فكان من المناظر المألوفة شتى الزنجي
يفير سؤال ولا محاكمة على قارعة الطريق . وكان انصافهم بنص
القانون خطوة متأخرة في القرن العشرين لم تمنع لهم في الزمن
الاخير الا بعد المطالبة والمنازعة ، وبعد الاقدار على الطلب مشغوعا
بالتهديد ، ومنه التهديد بالاضراب .

ونحن نكتب هذا الفصل وبين ايدينا المجلات الغربية نفسها
تروي قصة سيد في أمريكا الجنوبية ذهب الى المحكمة لأنه قتل
زنجيا وعذبه بالتفخ المتواصل حتى انفجر جنبا ، فكان عقابه من
المحكمة غرامة مائتين وعشرة دولارات مقسطة على ستة شهور .
ولاحظ القضاء - الانساني - في هذه الرأفة أن السيد الأبيض
يحتسب بحق العزلة بين الاجناس Apartheid وحق الاشراف
والوصاية Basakap فلم تر الصحيفة في رواية الخبر من حرج في
كتابه بعنوان « حتى التعذيب »

هذه شريعة وتلك شريعة بينهما من الزمن قرابة اربعة عشر
قرا ، ومن الجهود الاتاقية ثورات وأحوال وضحايا لا يحيط
بهما الإحصاء .

الاستاذ امين الخولى :

وهذا ما يقوله الاستاذ امين الخولى نقلا عن مجلة العربي التي تصدر بالكويت في العدد الثالث عشر الصادر في جمادى الآخرة سنة ١٣٧٩ الموافق ديسمبر (كانون) سنة ١٩٥٩ .

عرضنا في مقالنا السابق لفهم الاسلام بالاسم ، في الماضي البعيد ، وفهمه اليوم ، اى في العصر الحديث من التاريخ ، ونعرض هنا لفهمه في العد ، اى المستقبل القريب الذى نحن طلابه ، ثم المستقبل البعيد ايضا ، فهما ينسج مداه ، مادام الاسلام يريد ان يجد له مكانا دائما على تعاقب الاجيال وتتابع الأزمان ...

وقد ادرنا حتى الآن بوصف ان هذا الفهم مهمة جليلة الخطر ، لا يتفح فيها النظر الخاطف ولا التناول العاجل .

ولكننا مع ذلك نستطيع تقديم الهيكل العام لهذا الفهم للاسلام فدا والمعد نفسه يتكفل باكمال جوانب افهم ، وايضاحه بالتمثيل والتطبيق .

على اننا - كما الترمنا - سيطبق هذا الفهم على قضية « الرق » ابصاحا وتحقيقا للفرع الذى اشرنا اليه منذ قرنا الحديث عن فهم الاسلام في اسمه وغده وراينا ذلك الحديث ضروريا لا مفر منه ، قبل التحدث عن شيء من رأى الاسلام في المشكلات الاجتماعية، وقدربا ان الرق وليقى الصلة بفكرة العنصرية التى هى المقصد الاول من هذا الحديث .

بلا تريد ولا توليل :

واسس هذا الفهم للاسلام فدا ، هى :

(١) فهم كتابه الاساسى - القرآن - او تفسيره ، فهما لعربا ناديا ، في جو فنى من المستوى البلاغى الذى عرف للقرآن منذ اول العهد ، وأنه يلعب بلاغة مصبرة .

وهو فهم محدود منضبط بالدلالات اللغوية ، التى عرفها العرب لكلماته ، في القرن السابع الميلادى دون تريد في ذلك أو

خروج عنه .. فلا تزيد يزعم للقرآن مثلاً معاني باطنية له غير معانيه الظاهرة ، كما اشتغل بذلك بعض أصحاب الفرق الدينية قديماً .. ولا تزيد يعنى بتحصيل عبارات القرآن معاني محدثة أو اصطلاحية مرقت لها اليوم أو قبل اليوم ، رغبة في استخراج علوم منه أو جعله مصدراً لكل علم .

وهذا الفهم الذى نصفه هو ما تقتضيه طبيعة المنهج السليم فى فهم القرآن ، فسبق هذا التفسير لكل فهم خاص للقرآن هو المنهج المنطقي الصحيح ، وارتفاع هذا الفهم الذى نصفه على كل فهم دنى اتجاه خاص ، أو لون معين هو المنهج الصحيح . - نأز القرآن جاء قبل كل هذه الخلافات ، وقبل كل هذه العلوم الخاصة ، وقبل كل هذه الدراسات الموجهة ، وجاء ليوعم من يسمعه من أصحاب اللغة العربية ، ويفهم منه ما يدعو اليه الاسلام ، وما يرمى اليه دور أى احتياج فى فهمه الى شيء مما حدث بعد ذلك ، وكان حدوده اثراً لطروف خاصة فى حياة الذين احدثوه . فيجب ان ينظر القرآن دائماً صالحاً لهذا الفهم الحر الطليقي ، الذى لا يحده الا الدلالات اللغوية كما كان يفهمها العربى لهم حين يسمعه . فان كان لتلك العبارات انحاءات معينة ، أو دلالات استعمالية لذلك العهد ، هى وحدها التى تتحكم فى التفسير الذى نرجوه ، والفهم الذى نريده .. وان كان لأحس الأدبى والدوق البيئى للعربية لفئات الى ملاحظ وجدانية ذوقية فتلك هى التى تظل تفهم من القرآن كل حين .. غدا وبعد غد .. الى آخر الدهر .

وعلى هذا الفهم الذى وضعناه يمرض كل ماعداء من قول الرسول وفعله ، فما كان له أصل فى القرآن على هذا الفهم فهو من الاسلام ، وما ليس له أصل فى القرآن على هذا الفهم فليس من الاسلام .

القرآن بين الواقعية والثالية :

نعم .. ان فهم القرآن كله هذا الفهم الثابت الأساسى البارىء مما حمل عليه أو لون به مما ليس من لقنه ، ولا من فقه ، ولا من ذوقه ، هذا الفهم يحتاج الى جهود كبيرة ، بل جبارة .. ويحتاج فى ذلك الى ازمان طويلة ، تستغرق حياة اجيال .. لكننا بعد

تأصيل منهج هذا الفهم مستطیع علی حدیثه وفی ضمیمه ان نعرف
کلمة القرآن فی مساله من المثل ، بعد ان نفهم الآیة الخاصة
بها هذا الفهم السليم ، كمسالة الرق التي تطبق علیها ، ونهتد
بها لتقدیم راي الاسلام فی العنصرية .

هذا هو الأساس الاول لفهم الاسلام غدا ، وساتده وبكلمه :

(ب) الأساس الثانی .. وهو أساس يكشفه لنا فی سهولة
ووضوح مايناه سابقا من خطة الاسلام فی تفسیر الحیاء وتدیرها
.. وهو ان القراری لا یقید المستقبل ، ولا یحد مدى التقدم والرمی
مع به یعدر الواقع المشاهد ویراعیه .. فخطته ان یبدأ من ابواب
الذاتلی ویفترده ، ویصی فی التدریج منه الی ما فوقه ، أخضا ید
البشریة الی أقصى ما سنطیع ان نبلعه من تقدم .. لافتا لها لغتا
متصلا الی الأمل الأعلى ، والنیل الأسمى ، یفریها به وبعدها علیہ
الاجراء الحسن فی الدیبا والاحرة جمیعا .. ویرکها مع هذه
التوجیہات والاعراض لتناضل فی سبیل مثال صام صام ، رفیع
رفیع ، تظفر منه بما تسعها علی قوتها ، ویمكنها منه جهادها .
ومن هنا تری فیه الواقعیة والمتالیة جمیعا .. دائما ، وفی کل
شیء .

تری فیه الواقعیة الواضحة التي كان یستطیعها - ولا یقوی
علی أكثر منها - أولئك المحاطبون به ، ویطبعها هؤلاء المکلفون بحمل
دعوته وأداء رسالته .. فلا یعجزهم بما لا یصلون ، ولا یأخذهم
بما لا یفهمون ، وهم فی ذلك المنوی العقلي والاجتماعی لحیة
جزیرتهم ، وحیاة الأمم حولهم .. فهو یقر ماهم فیه أو بعضه ،
ویطمحه .. ثم یطغیه ، ویزیده .. ویأخذ فی لغتهم رفق وأناة ..
ولکن یصقی وأصالة - الی أهداف بعیسة - وأفاق راقیة . لسم
یکونوا لهذا العهد یتصورونها الا صورا مبہمة ، جمیعة الألوان ،
مظلة اللامح .. فتن استشفروا ، أو استشراف الراغون منهم الی
شیء من ذلك ، فبها ، والأناهی محفوظة فی الكتب ، مرددة فیه ،
یتجددون بتلاوتها ، ویسمعونها مسین ومصحین ، غادین ورائحین ،
یسیر لهم الحیة ، ویخالطون الأمم ، ویشاركون فی سیر الحضارة
المشترک ، المتکامل .. فکلما اتسع أفقهم أو رق حدسهم ، رادت
یصاغرهم استشفافا لتلك الصورة اللانعة فی آفاقهم ، المرددة علی

اسماعيهم ، الرفوعة امام مدرائهم ، يرددونها في الكتب ، والمعهد ،
والعهد - والزل ، والموسم الفرح والميعات الحزن - . فيردادون
- على الرمن - تبيننا لها ، ويستوصحون - على الاجيال - امرارها
- ويستقيم على ذلك جهدهم العقلي الخاص ، في تفسير الحياة
وتدبيرها ، وقد كفوا من ذلك بالنظر ، والسير ، والتدبير ،
والتفكير ، والبحث والتعمل . .

وهذه الواقعية وتلك المثالية ، تتوزع في القرآن ، تتجاوز
وتتعارق ، وتتصل وتتفصل ، تنظّل على الأيام طليقة ، غير محدودة

فهم خاطيء لواقعية الاسلام :

وهذا الجمع في القرآن بين الواقعية الصارخة - والمثالية
الشامخة هو مانجده - عند النظر المتبع ، والاستقراء الشامل -
سطرا ، دائما ، ثابتا ، في كل شأن من عقيدة عبادة ، ومعاملة . .
تتجده في علاقات الجماعات الصغرى والكبرى « كما تجده في
ملفات الافراد بعضهم ببعض ، وبمجموعهم ، فهو واضح في الابدان
والعقيدة ، واضح في المبادئ والرياضة ، واضح في نعيم الآخرة
ومقابها ، واضح في نظام الحياة وتدبيرها .

ولا أستطيع هنا أن أتبع لك هذه الصنوف المختلفة ، وأبرز
فيها واقعية القرآن ، تجاوزها مثاليته المتسعة لكل آمال الإنسانية
حتى تحلق في عالم الألوهية . الذي رأينا قلعاء المفكرين المسلمين
انفسهم يرجون اليه ويستأفونه ١٣٠

لا أستطيع هنا هذا التتبع الذي لا يفي به الا سفر مفرد مطول.
واذا لم يستطع حتما التتبع التام لواقعية القرآن ومثاليته .
فحينما شاهد ينسج له هذا المجال « وهو - عند القارئ - سهل
النال ، ذلك هو ملايد أنه تراسي اليك ، لشهرته وتكراره ، وهو
فهم الاسلام في صورة عنيفة ، وهي صورة الحارث المتقلد سيفه ،
ينشر به دعوه ، وقيم جماعته ، على ما يقول الذين رأوا جاتيا واحدا
من الهيكل القرآني والكيان الاسلامي ، هو جانب الواقعية المتينة
التي كانت تعنو لها الحياة وتمحن الجباه ، ولا تزال حتى اليوم
تعطى الاقوياد كل ما يريدون ، وتصون الحقوق اذا قامت الى
جانبها . تلك هي القوة ، والحرب . . فعلى ما تبيننا من خطة القرآن

كان لابد ان يدرك هذا الواقع الفاسد الذي ظل قسرونا واقعا
عالميا .. وقد يظل كذلك مدى آخر .. ويتوجه هذا الواقع حتى
بعسه ودعوته وفولته بما لا حياة للحق الا به ومعسه فكان ذلك
الذي أسرف الناس في تقديره .. على حين ففلوا وانصرفوا عن رغبة
التدبير وسائر الخطة التي اطمأنا الى انها تسود اسنول القرآني،
وتشمل كل ميادينه .. ألا وهي وضع المثالية الى جانب الواقعية.
وفي هذا الشأن من تنظيم العرى ، كلب المثالية المسألة الداعية
الى سلام انساني عام ، تقوم في المناول القرآني الى جانب الواقعية
المحاربة الشاكة السلاح . وله في هذه المثالية السليمة الوداعة
الأملة محاولات كبرى ، وتدابير جلية لا نستطيع كذلك ان
تسويها بيانا هنا .. ولعله تكفيك منها آيته الداعية الى السلام
العام بقوله : « يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » ، ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » (البقرة : ٢٠٨) .

على انه سيجيئك فريبا مثل آخر هو الذي جعلناه مجال
المقارنة بين مختلف الفهم للاسلام ، الا وهو الرق . فنستعرض
لك من نظرة الفهم الجديد للاسلام ما يريد فكرة التزام
الواقعية المثالية في القرآن وضوحا وحلا . والزمن كعيل بتتابع
التطبيق وتوفيق اليان لهذا الأساس الثاني من أسس فهم الاسلام
غدا .. ألا وهو اصطراط الاتساق في خطة القرآن بالنتقاء الواقعية
القريبة . والمثالية الفلسفية الى أبعد المدى .

النسخ محاولة لتخليص !

على أنني لا ادع القول في هذا الأساس الثاني من أسس فهم
الفد للاسلام حتى أصارحك بأنه ليس عجيبا أن يكون فهم الاسلام
أسس ، قد انصرف كل الانصراف عن هذا المسلك القرآني الثابت
المنسق في تقدير الواقع والاستشراف العالي للمثل .. بل ليس
عجيبا أن يكون فهم الاسلام أسس قد سد الطريق الى ادراك هذه
الخطة ، ومعنى السبيل .. وذلك حين واجهه هذا المناول القرآني
الأحد بالطرفين المتناول للتدبيرين وهو ملحوظ ، وأصح بل بارز
في القرآن ، ولهذا نقرره اليوم ونلتزمه مطمئنين واثقين .. فلما
واجه فهم الأسس هذا التنسيق للحاضر والمستقبل ، وهو لا يحس
بهذا المستقبل ، ولا يوجه اليه بصرا ، لم يلبث أن تخلص من لفتات

القد ، ولحات المستقبل ، واضواء النال - ومرع في ذلك اله ما يعرف عند الأولين باسم « النسخ » وهو : أن يرسل بعض آيات القرآن التأخرة احكام وآثار آيات أخرى متقدمة ، على ما هو معروف في المجال القانوني ، ولا نستطيع الخوض فيه هنا بأكتر من هذه الأمثلة .

فأني هذا النسخ فرعوا في التخلص مما يجاور الواقعية التي هي ما استطاعوا ادراكه من القرآن ، . . ومن الاتقان اللافت أنك ستري في المثلثين الذين سبقا واحدا منهما الآن عن الحرب والسلام وسفسوف الآخر عن الرق . . في هذين المثلثين قد اخفى القوم أمس معالم المثالية القرآنية الرفيعة اللذي بهذا النسخ . فهناك في الدعوة الى السلام حتى ولو كان خادعا ، على ما في آية : « وأن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم . وأن يريدوا أن يخضعوا فما خضعوا لك الله » (الانفال) ان هذه الرغبة المختصة في المسامح منسوخة . وسمسم مثل هذا قريبا في آية المثالية القرآنية المتكررة للاسترقاق .

وهذا النسخ ان وجد ، وتقريره حين يكون يمكن ان يعد شاهدا على نعمة التجديد الاسلامية ، وتقدير سنة التدرج ، والفت اليه بمثل هذه الازالة لبعض مقررات سابقة . . . ولكن هذا النسخ يدل ان يكون مظهر حيوية اسلامية قد صار مظهر مجازاة للنماء والتدرج ، ووسيلة قريبة للتخلص من تدبير القد البعيد ، والتطلع للمثل المرتقب ، الذي يحس بقوة لغت القرآن اليه .

على انا لا بحرم هذا الأمر من كلمة الإنصاف فنقول : انه في قضية النسخ العامة لم تكن كلمته الوحيدة هي وقوع هذا النسخ ، بل كان من أهل هذا الأمر من نفى هذا النسخ في القرآن وقرر عدم وقوعه ، وعلى هذا الأساس عنده التخلص من تعطيل النسخ للأهداف المثالية القرآنية التي تبدو لنا جلية بجانب واقعته .

كما ان اثنائين بالنسخ انفسهم لم تتفق كلمتهم في كل آية قرروا نسخها ، ومن حسن الاتفاق ان آية الجنوح الى السلم وأو كان خادعا ، وآية الرق التي سئلوها بعد قليل ، قد انكر النسخ

فيهما منكر ، لقوله ورثه وخطره ، فآية الدعوة الجامعة الى السلام
الإنساني كافة ، كما سمعتها ، تبقى دعوة عالية للسلام ولم تنسخ
لأن علما من أملاء المفسرين القدامى يقول من نسخها : « أنه مما
لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل » .

والى هنا يتسق أملاك الاصلان الأساسيان لفهم الاسلام
عدا .. وما فهم القرآن .. وتقدير مثاليته . واعتمادا على
هذين التصيين نتقدم الى المثل الذى اخترنا الوقوف عنده لنسمع
فيه منه كلمة الانبياء المختلفة للاسلام ، وقد سمعنا فيه حتى الآن
كلمة فهم الامسى .. ثم كلمة فهم اليوم ولنسمع فيه الآن كلمة
فهم القدا ، فتحدثك عن .

الرق : بين الواقعية والمثالية :

لقد كان الرق واقعا مدينا متصلا ، رأى العرب منه حوله
ما رأوا وعرف العرب منه في جزيرتهم ما عرفوا .. وسلك القرآن
نحوه مسلكه الثابت الواضح ، من التدمير الواقعى : يتصرف
بالواقع الشهود ، الى حد ما .. ثم يمشى بإطراف قسوته ، ويصلح
بالتدريج إخطائه .. لم يبه الى المثال الرافى ويفرئ الإنسانية
منه بكل ما تمكنها منه ظروفها - ويعينها عليه تقديمها ورفيقها ..
الى أبد الدهر ، وعلى مدى الزمن ، على نظام الأصلين الأساسيين
عقلنا لفهم الاسلام هذا .. واليك البيان :

فأول ذلك أن نفهم قول القرآن فى الرق ذلك الفهم اللغوى
الأدبى ، النصط ، المقدر لظروف آياته ، ومناسباته ، فى غير نحن
على دلالة الكلمات ومعهومها عصر نزوله .. ومع تقدير ما للكلمات
والأماليب من ايحائه أدبى وحسن نفس . ووقع فنى .. على ما
تجب مراعاته فى كتاب أمتار فى العربية بالبلاغة الى حد الإعجاز ،
الذى قدره المؤتمون به ، والمكروون له جميعا ، مثل سمعو .

والمدد المتصل الرق هو الأسرى فى الحرب . كما كان عليه
الامر فى واقع الحياة ، ومعاملة الأسرى اذ ذلك ، والقرآن يحدد
هذه المعاملة فى السورة ٤٧ منه ، وتسمى سورة القتال ، وهى
صالحة لهذا الاسم بموضوعها .. وتسمى كذلك سورة « محمد »
وانها الجديرة بهذه التسمية . لما فيها من مثالية تلك المعاملة التى

مستفهمها في جلاء وقرب من الآية الرابعة وهي : « فإذا لقينم
الذين كفروا فاضربوا رقابهم ، حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق .
فأما من بعد ، وأما فداء ، حتى تضع الحرب أوزارها » . . .

فلنفهمها بحسب اللغة العربية اللغوي والأدبي - على ما هو
الأساس الأول الذي قررناه لفهم العدد - مسترى : أن معناها هو
دوران معاملة الأسرى ، بعد الفلبة ، بين امرين ، لا ثالث لهما .
وهما : أولا - المن عليهم بإطلاق سراحهم دون شيء ما ، بل تفضلا
ومنا . . وثاني الأمرين : هو إطلاق سراحهم بمقابل وفداء شخصي .
كمفاداة أسير بأسير ، أو غير شخصي كموصى يقدم من الأسير أو من
سواه . . وتحديد معاملة الأسرى بهاتين المعاملتين ، دون غيرها
هو معنى « أما » في العربية على ما هو معروف عند أهلها ، ولا تطيل
هنا بشرحه . . ولا نعرف في القرآن آية أخرى تدل على معاملة
للأسرى بغير هاتين الحالتين . . ومن هنا نفهم في اطمئنان أن
القرآن ، أو قل الإسلام - كما ينبغي أن يفهم قدا - لا يسترق
أحدا ، بل يقطع مدد الرق ، إذا ما كان الواقع - حتى اليوم -
لا يقع استمرار الحرب ، فليكن هذا الضرر المستمر ، وهو الحرب
حتى تنبج الاساسية غير اليائسة من الرقي الصاعد مايقضى عليها .
وليكن هناك امرى في هذه الحروب ، فما يفهم الإسلام لقد ، إلا أن
يعاملوا باحدى هاتين الحالتين : المن ، أو الفداء .

الإسلام لا يعترف بغير رق الأسير في الحرب

هذا هو المعنى البين الذي يفهم من آية سورة القتال التي
تصدت لبيان معاملة الأسرى ، أو سورة « محمد » الذي يتصل
بهذا التدبير الرق من جفره وأصله الوحيد ، ولا يعترف طبعا برق
حديث ، ولا برق خطف ، ولا يعرف ولا يحيز بيع الإبناء - ولا غير
ذلك من أسباب استمرار هذا المظهر الوحشي المهترئ للانسانية
الإنسان .

هذا هو معنى الآية القرآنية اللغوي الواضح القريب ، دون
تأويل ، ولا تكلف ، ولا تحميل للعبارة مالا تحتطه أو تعطيه ، كما
يفهمها العارف بالعربية ، في عصر نزولها ، وبعده الى اليوم .

وفي أسلوب الآية ونظمها مجال لإبداعات معنوية تصبها

البلاغة العربية - في غير معمول ولا تكلف أبدا - فمن أبحاثها تقديم
 المثل على الفداء ، وفيه إيذان بتفضيله وإيثاره على الفداء ، وأنه
 أحب إلى الإسلام منه وإن اطلاق الأسير تكرما هو المعاملة
 المثلى عنده . . وفي غير هذا الموضع من القرآن ما يدل على عدم
 الرضا عن ابتداء عرض الدنيا بالأسر ، ولا تطيل عليك بهذا .

ومن أبحاث الآيه اطلاق الفداء ، وعدم تعيين شيء ملذ في
 مقابله - وقد عرف من تصرف الرسول منذ أول عهد الإسلام أنه
 جعل الفداء عملا انسانيًا معنويا هو أن يعلم الأسير عددا من
 أصحابه القراءة وهو معنى اجتماعي كريم في الأفراد بالعلم ، وبث
 النور .

وليس من بعيد أبحاث الآيه أن يكون ما في نهايتها من وضع
 الحرب وأزوارها نتيجة وانرا لهذه المعاملة ، وأن يكون عدم استرقاق
 الأسرى ، واعتبارهم ثروة من غنائم الحرب سببا لوضع الحرب
 وأزوارها * وعدم المعاندة .

حس راق متلطف عطوف :

ومن هذا الجو مانجده في غير هذه الآيه الخاصة ، من حس
 القرآن العام نحو أرق ، وأنه حسن كريم ، راق ، متلطف ، يعي
 عطفًا على أولئك الذين قس عليهم ظروف الصراع المادي ،
 وأخرجهم بعض أخوانهم ، من معكرى البشر ، من كرامة الآدمية
 العامة ، وعدوهم طبقة نازلة ، خلقت الطماعة والخدعة . . فإذا
 هذا القرآن في بيئة الجزيرة العربية الخشنة الطبقية ، المتعصبة
 يتحدث إلى أصحاب الثرف والنسب ، والسيادة المكثره بالمثل
 والولد ، والعصبية القبلية . . يتحدث إلى هؤلاء عما بين الأدمى
 والأدمى فإذا به لا يستعمل - على كثرة ما حدث من هذا الوضع -
 كلمة الرق ولا يذكر أرقاء . . بل يسميهم الرقاب ، والواحد منهم
 رقبة وهي جزء من جسم الإنسان أصيل في الحياة ، وضرب
 الرقبة هو - في تعبير القرآن - عدم الحياة والقتل .

ومن حسه اللطيف أنه لم يستعمل كلمة العتق ، بل استعمل
 مكانها دائما التحرير ، أو فك رقبة . . والتحرير تعبير الأدمى
 حر . . والحر في العربية هو الأصيل الكريم . . وفك الرقبة تجسيم

لخلق الحرية في هذا الوضع الذي يصغر به القرآن في بلبل
ومحمد أولى الناس شعورا بهذا الحس اللطيف ، وهو يمثل حيز
يوصي الناس بأن يسموا هؤلاء الناس عبيدا وإماء فيسهاهم عن أن
يقول أحدهم عبيدي وأمتي .. وإنما يقولون بلبل ذلك : فتأني
وفتأني .. لأنهم اخوانهم كما يقول الرسول في بيان أصل هذا
الأدب .

ومن افق هذا الحس اللطيف بالكرامة الإنسانية أن القرآن
في المهد المكي الطويل لم يشتغل بالشؤون العملية في الحياة ، من
نظام أسرة ، أو جمعة ، بل كانت حياته موجهة إلى الأصول
الاقتصادية الكبرى فقط . وفي المدينة بعد ذلك حدث مما عرض له
من شؤون هذا التنظيم في زواج ، وطلاق ، أو بيع ، أو ميراث ، أو
حكم وقضاء .. وما إلى ذلك من تدبير عملي - وهذا طابع معروف
واضح في قرآن المهديين ، المكي والمدني .. لكن هذا يختلف في
الحرية الإنسانية ، إذ نرى القرآن في مكة يهتم في رعاية كبرى
قوية - على فك الرقبة ويقول للأسفان : فلا اقتحم العقبة ،

وما أدراك ما العقبة فالعقبة أو أطعام في يوم ذي سبعة .. الخ
سورة البلد : ١١ - ١٦ فالعقبة الكبرى في حياة البشرية عنده
هي عائق مادي ومعنوي معا ، وأزمة حياة آدمية هي حاجة
الحياة المادية التي تقيم كيان الجسم البشري ، وحاجة الحياة
المعنوية التي يقوم بها كيان النفس الإنسانية .. نعم هي الحياة
كذلك كانت .. وتكون .. ولعلها تظل كذلك ، تتحرب هذه
البشرية في سبيل حاجتها المادية ، وأزماتها فيها هي المسغبات
والمحاجات ، على اختلاف صورها - وتحرب هذه البشرية في
سبيل حاجتها الروحية من الحرية والإطلاق ، والشعور بالكرامة
.. وعن هاتين الحاجتين يعبر القرآن بالعقبة ، وما أدراك ما العقبة
.. وهو أسلوب معروف في الأشياء الهائلة .. والعقبة الكبرى :
فك رقبة .. أو أطعام في يوم ذي سبعة .. هما الحاجتان
اللتان اثرتنا إليهما .. حاجة الجسم ، وحاجة الروح .. والقرآن
أكثر حفاوة وأشد اهتماما بحاجة الروح - بالحرية - فهو لذلك
يقدمها على حاجة الجسم المادية ويقول أولا : فك رقبة .. وأكرم
به حسا وأعظم به شعورا .

الرق في القرآن سورة اجتماعية :

وبهذا الفهم اللغوي الأدبي لآية من سورة القتال مع شعور بحس القرآن نحو الرق تنتهي إلى مثالية كريمة متسامية في النظر إلى الرق ، وعده آفة مدنية ، وسوء اجتماعية يقضى عليها بانضاب معينها ، وهو الأسر في الحرب ...

ولعلك تذكر ما أشربا إليه في العهود السابقة من هذا الفصل ، وهو أن فهم الإسلام ليس لم توجه إلى هذه المثالية ، بل أنهم بعد ماقرروا من أحوال الرق وتنظيمه عملا ، قد صدمتهم إلى حد ما هذه التبعة العرابية الواضحة في عدم أسرفاق انقرآن أسرا ، فإذا هم يقررون أن هذه الآية من سورة القتال منسوخة ! كما قرروا مثل هذا في آية الدعوة العامة إلى السلم العالي - على ما سمعت قريبا .. لكن حسن حظ الانسانية لا يزال يجسد المخلص عند منكرى هذا النسخ ، بل يجد محلصا أوسع وأكبر في قول أمهم السابق الذي أكرر نسخ آية الجنوح إلى السلام ولو خافها فهو هو نفسه لا يزال ينكر نسخ آية معاملة الأسرى التي لا تسترقهم ، ويقول في هذا أن هذه الآية محكمة غير مسوخة - تفسير الطبري جـ ٢٦ ص ٢٧ ط أولى .

الانتقال من الواقعية إلى المثالية :

وإذا انتهينا إلى هذه الغاية من فهم القرآن وحسه نحو الرق فأشرقنا على أفق مسيح من المثالية المرجوة التي يجدها دائما في القرآن ، فانا ننتقل إلى النظر في الأساس الثاني من أسس فهم ألفد للإسلام ، وهو رياضة اسنرية تدريجيا من الواقعية في حالها القائمة ، إلى المثالية في عوالمها الفسيحة الراقية . وتوافر الأمرين دائما في تدبير الإسلام للحياة .

ننظر إلى الواقعية بادية فيما بقى في القرآن والإسلام من الرق عملا ، وحال الأرقاء ومعاملتهم ، فنرى في ذكر ملك أيمى ، واستحلال نروج الملوكات ، واختلاف عقوبة الرقيق عن عقوبة الحر ، وقبر هذا فتجد أنها عنده خطة مقررة ، لا يعاجا الناس معها بما يتمثلون ولا يدركون ، بل يسابروهم ، يرشما بغير لتغييرهم ورفع مستواهم .. وعلى هذه اللحظة نفسها راه يصى إلى تخيير

حجة هذا الوضع المهيمن للأساس ، ويتلطف لذلك ، ويطلب له بما كان بعضه قد عرفته الرحمة والكرامة ، عند قلة قليلة ، أو يدبر لذلك انتخفيف والتلطيف بالمتكر ، والفعال ، حتى تكون الهدف الأخير ألا يسترق أحد بحرب . . وفي إطار من سمحات هذه المثالية في شعورها اللطيف ، تتلرجج الواقعية في مقاومة الرق . والصبر به . والعمل للقضاء عليه ، معند الحث الديني على فك الرقب ، ووعده الثواب الأحرى الكبير عليه ، في معنى يحسبهم المأثمة البشرية بين السادة والمسودين ، إذ تقول التوصية الدينية أن من يفك رقبة بالعتق ، يخلص من المذاب ، كل عضو منه يعضو عنه بمضو اعتقه . . ولا يقف الأمر عند استشارة الشعور بالتحريم وحسن لوابه ، بل يتقدم إلى التشريع العملي فيوجب تحرير الرقاب في أعمال كثيرة يحرص لها الناس في معاملاتهم الحيوية ، وعباداتهم الدينية فهو يوجب تحرير الرقبة على أنه جراء معي . عند الإفطار عمداً في رمضان مادام عند المعطر رقبة مملوكة . . وهو كذلك حزام متعين في أحوال من عقوبه القتل ، وفي صرب من الاختلاف بين الروحيين بما يسمى الظهار ، . . كما أن تحرير الرقبة جزاء تخيري عند المعتص في الميمني . . الخ .

ثم يمتد التدبير العملي لتحرير الرقاب إلى نظام عام يلزم الدولة برصد اعتماد في ميزانيتها من مورد ثابت هو الزكاة - إحدى قواعد الإسلام وأركانها - يصرف منها ١٢ ونصف لتحرير الرقاب كما هو نص القرآن . .

مثالية القرآن تحرم الرق وتبتر جلوره :

وهكذا تدرجت الواقعية المعترفة بالرق إلى بث الكراهية لهذا الرق بقوة وعنف . . ثم إلى الترهيب في التحرير . ثم إلى الزام الأفراد به . . ثم إلى الزام الدولة ، في نظام مالي ثابت . . هيأت بذلك كله - وانه لكثير - إلى مثالية تنكر الرق وتحرمه وتبتر جذوره حين لا تجعل له مورداً من أسرى الحرب ، على ما سمعنا قريبا . . وبذلك تعضي الانسانية إلى أقصى ما تستطيع من تكريم للبشرية وتقدم للحرية وتتقدم إلى ذلك صادقة ، جادة عادلة ، فإن هذا القرآن يحلق بها إلى أسس ما تستطيع أن تبغ من غايات - بما تمنعنا من أسلم حبه الكريم .

ومن الواجب ان نشير - كما فعلنا في الحديث عن السلام - الى ان فهم الامس للإسلام قد يضع بعضيات في طريق هذا التدرج العراني ، واتع الرق الى مراحل مصلحة تنتهي الى مثالبته وذلك حين يجيزون قبل الأسير وحين يجيزون لحاكمهم ان يستوي الأسرى . لكننا لحسن حظ الإنسانية كما قلنا ، نظل نجد المنافذ غير الصيقة للارتماع على المستوى الذي فهم به الامس هذا الاسلام .. فانه على فرض ان للحاكم وصاحب السلطة حق ضرب الرق على الأسرى ، فعليه كذلك واجب تنعيم النظام المالي الملزم لمادبة الدولة بان تقدم تلك النسبة المثوبة من اكثر شرائبها حصيلة .. وهي الزكاة - لتحرير الأرقاء .. فهل سيوى هذا الحكم حين تكون المسألة مالية ان يستكثر من الأرقاء ، ليلبل مال الدولة في تحريرهم ؟ او سيوى الخير في ان يقلوا لتلا يبل هذا المال في تحريرهم . !! وهلا تكون روح النظام الاسلامي ، في التدرج بواقعيه الرق روحا واصحه القوة - صادقة الرغبة في القضاء عليه ، حتى على الصورة التي فهم بها الامس هذا النظام .. ولم يستشرف لتاليته الواسعة .

انسانية القرآن اعق من دعوى التشايفين بحقوق الانسان:

وما اسلفنا من النظرة العامة الى فهم الاسلام امر ، وفهم الاسلام اليوم فامتقدا به تحقيق هذين العامين لميراث الاسلام الى تمبها - مامنفيا من هذه النظرة يستطيع ان محد به هما ان ما عرضنا من فهم الاسلام غدا يحقق الى حد كبير - خصائص الاسلام التي تميز بها عمومها ، ودوامه .. وختمه لرسالات السماء .

ولعل القارىء يكون قد احس في وضوح ان هذا الفهم الاخير للاسلام يحقق كل التحقيق ما عني به الاسلام من تقدير التجدد المستمر للحياة .. ومن احترام المحاولات الانسانية في تدبير الحياة .. ومن اعتراف بحق الانسانية في المشاركة البشرية في تدبير الحياة ، مع وجود التدبير الدني .. فانا نجد في قبول الواقعية للتدريج ، وفي احاطتها باحاسيس كريمة ، ورغبات مادية ، كل ما تطلع فيه الانسانية من حذب عليها ، وثقة

بمستقبلها ، وأمل في ترقيتها ، ومضى الى مثل ما رثت اليه حتى اليوم ، بل دفع لها الى أسد مه - وأرقى وأكرم .

وفي التطبيق المكرر على الرق تجسست الفروق بين بهم الاسلام ، في المراحل الثلاث من سير الحياة من الأمل ، الى القدر . وفي هذا الهمم الآخر سطت في القرآن الروح الانسانية المتعائلة ، المسبشرة ، رغم تكاثف الظلمات . . وبدأ حليا أن ما طمعت اليه الانسانية من بحريم الرق ، وانفتحت عليه ليس هو في القرآن شيئا من غير المعكر . . ولا انه لم يكن في حجاب الاسلام ، لأنه لا يغير الطابع الادمية ، ولا يصير الناس ملائكة . بل ان الانصاف في تقدير الفروق بين الازمنة المختلفة يقضي علينا بأن نعد ما في الاسلام من النفحات الحرة الشاعرة بالانسانية من جنت عليهم الظروف واسترقوا ، مما يجب ان يعد عملا أكثر لطفا ، وأعمق حسا ، مما شعرت به الانسانية نحو هؤلاء المخلولي الرفاق حتى اليوم . . بل حتى غد غير قريب . . فان هذه الادمية لا تزال اليوم تعاني ما يأسى له ضميرها الحي من تقرير الشعار بين الطابع البشرية بالدعوى الصعبة للعصرية ، وبالاضطهاد الملون الذي تحاول به الاصداء في الدنيا الحديدة والقديمة على السواء .

إجماع

هذا ما كتبه جمع من العلماء والفكرين . والنبي يستخلص من كتابتهم - كما هو واضح - أن القرآن الكريم لم يشرع الرق وإنما شرع تحرير الرقيق .

لقد قالوا جميعا ان الاسلام حرم جميع انواع الاسترقاق . ولم يبق الا على أسرى الحروب . والنص القرآني الخاص بهؤلاء الأسرى لا يدل الا على المن وذلك في المرتبة الاولى فان لم يكن فالفداء . وليس في القرآن نص يبيح الاسترقاق .

وقد اجمع أيضا هؤلاء العلماء الاسلام ان الاسلام فرض على الدولة اخراج جزء من الزكاة لتحرير الرقيق الذي يرصق في المجتمع الاسلامي . كما حض على عتق الأرقاء ، وإطلاق الأسرى

من قيود اسرارهم بكل طريقة ، وحجب الاسراع في ذلك ، وقد مر بنا أن القرآن الرمز الاغشاء - كما الزم الدولة - باخراج جزمين أموالهم لتحرير الرقيق وعلى ذلك تخصصات الدولة والأفراد على بصفية الرقيق .

ولم نكسر من نقل اقوال العلماء والمفكرين الا ليتضح أن كل هؤلاء الاعلام على اختلاف تقاديرهم وتنوع مشاربهم واتجاهاتهم الفكرية ، اتفقوا على شيء واحد هو . ان القرآن عالج مشكلة الرقيق علاجاً حاسماً وجنس الناس من نظام منع ربي ، يهدد آدمية الأديبي . ولا يقيم لكرامتهم وزناً ، وأعاد للاسبابية شرقها وكرامتها بانها هذا النظام واحلال الحرية والكرامة مجله .

نعم ان كل المتحدثين الذين نقلنا اقوالهم ، لم ينصرفوا فيما كتبوه لمشكلة الرق الا على أنها مشكلة قائمة ، محل الاسلام حلها ولم يتحدثوا عن الاسباب المتنوعة التي أدت الى قيام هذه المشكلة حتى أصبحت نظاماً متبعاً أو عادة مألوفة ، لا تستحق من أحده التفكير فيما يؤدي لحلها . لذلك لا يبعد أن يقوم مقترس يقول ان مشكلة الرق لم تدرس دراسة منهجية من هؤلاء الكتاب والمفكرين والعلماء . دراسة تنص ومنهج الاسلام في تقرير القواعد واقامة المبادئ التي حل بها لسعادة الناس .

فاذا أراد هذا المعارض بالدولة المنهجية دراسة تاريخ الرق قبل الاسلام والنظرة الفلسفية التي كان ينظر بها اليه والأوضاع السياسية ، والاقتصادية ، والعقيدية ، والعنصرية ، والاخلاقية التي كانت سائدة في القديم ، ثم التحدث عن نظرة الاسلام الى كل تلك الامور ، ومواقفه أو مخالفتها لها ، وماذا وضع من مبادئ ونظريات ونظم ، فعمل المعارض يجسد في كتابنا هذا الدراسة المنهجية التي يريها .

والحقيقة ان الاسلام الذي محد الانسار فصعديه الرمكاته عالية جدا لا يمكن أن يسمح باسترقاقه . ولكننا ابتلينا في عصورنا المظلمة باناس باعدوا بيننا وبين البحث لمعرفة ديتنا معرفة صحيحة منزهة عن الانحراف والاختطأ ، ولكن القرآن لا تحسن ظلمات

المصور وانحراف العقول والافكار . وهو مازال غصبا جديدا كاليوم الذي نزل فيه . وما علينا الا ان ندبره . مسترشدين بهديه في كل عصر وعند كل مشكلة . وعلينا ان نعظم كل الاموار التي اقيمت لتحويل بيننا وبينه . لانها اسوار لم يعضها الا صلال المضلين ووجود الاغبياء واغراض المفسدين . والنتيجة التي تخرج بها هي انه لا رق في الاسلام ، وليس فيه الا اسرى الحروب من الذين يشنون عليه الحروب ، ويقعون معاندين في سبيل بلاغ دعوته - بالحكمة والموعظة الحسنة للناس - وهو في هذه الحالة مضطر لان يقابل اعداءه بالقتل ، حتى يدبتوا مبدأ الحرية والمساواة للناس جميعا .

ولذلك نجده لا يسبح الاسر اذا اقتتلت طائفتان من المسلمين لأن كلا الطائفتين تدين بالحرية والمساواة اللتين منحهما الاسلام لجميع الناس .

ولم يحدثنا التاريخ ان رابع الخلفاء الراشدين عليا بن ابي طالب اسر احدا من مخالفيه الذين كانوا يحاربونه لاهم جميعا يدينون بالاسلام .

وكذلك لم يحدثنا التاريخ ان مساوية او غير من الذين كانوا يحاربون عليا اسروا احدا من جنوده . وعلة ذلك أن الجميع يدينون بمبدأ الحرية للجميع ، وان الاعتداء على هذه الحرية مخالف لعقيدة الاسلام .

فاذا اعتدى الناس مبدأ الحرية للجميع ، وطبقوه في واقعهم فتلك هي الغاية التي يريد بها الاسلام لاهل الارض جميعا .

وأظننا لسنا في حاجة بعد كل ذلك لان نقول . ان الذين يتهمون الاسلام باقرار الرق اما ان يكونوا جاهلين بالاسلام ، واما ان يكونوا مصروفين عن طريقه القويم ، واما ان يكونوا مكابرين . ولا يسعنا الا ان نصال الله الهداية لكل اولئك فان اعتدوا فقد اراد الله بهم خيرا ، والا فلن يخبروا الا انفسهم . اما القرآن - كتاب الله الخالد - فلن يضمره مكابر ، ولن يطمس آياته البينات مما به ، ولن يضر الشمس الضاطعة شيئا اذا لم يرها العميان .

في بعض بلاد الإسلام

ان بعض بلاد المسلمين ما زالت تستبيح الرقيق امتلاكاً ،
وتجارة واقتراضاً . ولا يهتم كيف تتجمل صماتهم مزاولة هذا
ابوزر العظيم ٥

وكيف يسبيح العلماء منهم لاعتصم هذا المنكر الصارخ ؟

هـ رأينا فيما مر بنا من صفحات هذا الكتاب ان الاسلام
يشرع الرق ، ولكنه شرع تحرير الرقيق السبي راسب في
المجتمعات الاسلامية من عصور الجاهلية ، ومن اسرى الحروب التي
كانت تنشب بين أنصار الدعوة الى الاسلام وأعدائها . ورأينا ان
جميع العلماء الذين تقلبوا بهم يقررون ان المسلمين اذ تكبروا في
مسألة الرقيق مالا يقره الاسلام . ان الاسلام حرم الرق بكل انواعه
المعروفة ، بما وصح له من نظم ، وما أقامه من عبادي ، وما ثبته
في القنوب المؤمنة من عقيدة الحرية والاحاء والمساواة : الحرية
للناس جميعا والأخوة بين الناس جميعا : والمساواة في الحقوق
والواجبات للجميع .

ولم يبق لي عذرا شجها ولا شبه بالنسبة فبتعلق بها
الدين في قلوبهم مرض اما أرادوا استباحة ما حرمه الله من استرقاق
الناس ، واستباحة الفروج والاموال عن هذا الطريق . فليس هناك
حروب مشروعة قائمة حتى نقول : ان ما بأيديهم من أرقاء اما هم
أسرى تلك الحروب ان كل ما هو موجود ممن يطلق عليه رقيق —
بهتاننا — لم يأت الا عن طريق الخطف والقرصنة والنصوصية
واناحة استرقاق هؤلاء الاحرار المحطوفين لم يقره الاسلام بوجه من
الوجوه (١) .

(١) يقول الامتاذ محمد حسن عواد في كتابه محذور الرقيق
في صفحة ١٢١ هامش ان الاسلام نفسه — وليست استباحة —
هو الذي يمنع هذه التجارة الحاطة ، بوصفه ديناً يدعو الى =

بل ان الاسلام يعرض المقويات الصارعة على من ياتى مثل
عدم الشكرات . .

وعجب لهؤلاء المسلمين اذ يظهرون في المنظمات الدولية وعليهم
مسوح الرهبان ، ويشاركون في الوقيع على ميثاق حقوق الانسان -
واتفاقية تحريم التجارة بالرقيق ، بينما هم في معصية من يروجون
لهذه التجارة المشؤنة في بلادهم ، وان قصورهم لتشهد بانهم
مكتظة زاحرة بالعلمان والجوارى من جميع الاحناس .

اهم يخشون الناس ، ولا يخشون الله - ويظنون ان الناس
في غفلة عما يعملون - ان الامتار الصفيقة التي يصفونها على
انفسهم لم تستطع اخفاء الحقائق ، وهم بذلك انما يريدون الطيبة
يلة - على حد تعبير المثل العامي - وهم يعيرون الى ورر استباحتهم -
ما حرمة الله ورر النفاق والرياء والمخادعة فيجبون لاجسهم اللعنة
وليت اللعنة تقف عند حد اشخاصهم ولكنها تتعدى الى شعوبهم .
فيحسبونهم مثلهم في المخادعة والنفاق والتفيل ، بل تتعدى الى
الاسلام نفسه والى مقدسات المسلمين ، واماكن شعائرهم ، ويسعون
الاسنة المسمومة تنطلق بالغث من شان امة الحنيئة السمحة ،
ورسولها الكريم ، صاحب الخلق العظيم ، صلى الله عليه وسلم .

وانما حيل ذلك لايسمنا الا ان نعلن ابراء للامة واحقاقا
للحق ان الاسلام لا يقر الرق ولا يترف به ، وان ما يرتكبه بعض
المسلمين من استباحة الرقيق تجارة وامتلاكها وافتراشا محالف
للاسلام - وان من يرتكب ذلك انما يرتكب كبيرة من الكبائر
بماقبح الاسلام مرتكبا عقابا صارما شديدا .

= الحرية والامن والنعوة بالحكمة والرفق حتى ولو ان المخطولين
والمنطوقات من غير المسلمين . فالاسلام لا يبيع الخطف ولا السرقة
ولا الاعتداء ولا يسوع التجلده في المواد المنتهبة سواء اكانت يشرية
ام غير يشرية .

الرق في الإسلام الغربية الحديثة

لقد بينا نظرة الدين الإسلامي إلى نظام الرق الذي كان يسود العالم قديما ، وكيف أن الإسلام حور الرقيق وقضى على أسبابه ، وجفف منابعه ، ووصح لها السلود الواقية حتى لا تعود إلى النعجر مرة أخرى ،

وإن كان في بعض البلاد الإسلامية النذر اليسير من الرقيق وليس ذلك ذنب الإسلام ، وإنما هو ذنب المتحررين عن الإسلام ، ويكفيهم خزبا أنهم يتوارون حجابا من الناس عندما تضمهم الحافل العالمية ، إذ ليس لديهم من المطلق ما يبور أفعالهم ، ويعترفون في قرارة أنفسهم أن ما هم عليه إنما هو منكر لأبقره دين ، ولاشرف ولا إنسانية إذا تركنا هؤلاء المارقين عن الدين الإسلامي الخفيف ، ونظروا إلى هؤلاء الغربيين الذين يملأون الدنيا صحيحا بأفعالهم المكررة راعمين أنهم إنما هم رسل الحضارة في العصر الحديث ومنقذوا الإنسانية ودعاة الحق والعدل والحرية والأصاف ، هؤلاء الغربيون الذين طالما تجوأوا على الإسلام ووصوه بالهمجية والرجسية والقسوة والجمود ثارة ، وتارة أخرى يدعواهم أن الإسلام قد استنعد اعتراضه ولم يعد صالحا للحضرة الحديث ، ولا يمكن أن يسائر الحياة المتطورة التي يأتي أنسابها كل يوم بشيء جديد ، فماذا نجعلهم صنموا لحل مشكلة الرقيق بطوهم ومعارفهم وحضارتهم ودعواهم الطويلة العريضة التي يزعمون فيها بأنهم رسل الإنسانية ودعاة الحرية ؟

في سنة ١٦٨٥ صدر قانون اسمه (القانون الأسود) لتنظيم أحوال الرقيق في جميع المستعمرات الفرنسية تقدر فيه تخويل الحق المدني والسياسي للأحرار الملونين . يعني أن الملونين تنظر إليهم أوروبا على أنهم رقيق لها ، ولكن الجمعية الدستورية صاغت صعوبات حقة ومعارضات قوية ، فلم يعمل بهذا القانون إلا فيما

يختص بالاحكام الصارمة التي تنزل بهم ، لما الحقوق التي اراد القانون منحها للملونين فلم تعط لهم . ودان من مواد هذا القانون ان يعتدى الملونون باقل اكرام على ساداتهم أو ارتكبوا احب الصرعات فجزاؤهم القتل ، وكان عقاب الابقي في المرة الأولى والثانية قطع الابدان والكي بالحديد المحمي . وفي المرة الثالثة القتل .

ومثله القانون الانجليزى الذى صدر فى المستعمرات الانجليزية مثل (جاميكا) و (انتيجوا) (١) وقد كتب هيليار دوير بوى ، فى ملاحظاته على مستعمرة دوميك البريطانية قال: (ان المرسوم الصادر فى سنة ١٦٨٥ لا يسمح من هلاك الارقاء فى كل يوم بسبب تكتيلهم بالسلاسل ، او جلدهم بالسياط ، او صرهم ضرب النسيب والارصاق او حرقهم عسفا واستبدادا ، وكل هذه العطايع يرتكبوها القوم فى المستعمرة ولا رادع يردعهم حتى ان كل دى لون ابيض يعامل الاسود بالقلطة والقسوة ولا حرج عليه فى ذلك ، واذا الحق صررا يصد من العبيد فالحصاة اعتسادوا عدم النظر الى هذا الضرر الا من حيث انه ينقص ثمن العبد .

وقد أبدت الجمعيات الاستعمارية فى كل زمان هذه القاعدة وهي انه لا يسوغ للمشرعين ان يتوسطوا ويتدخلوا بالشرائع بين العبد ومولاه ، وكان الاحرار من ذوى الالوان محرومين من وظائف العقود والاختيار بل قد صدرت اوامر متنوعة من بطارات الحكومة بجمع التوسع فى تأويل مواد القانون الأسود ، فمنها ما كان بالنهي عن البحث فى الاوراق المثبتة ان صاحبها من طبقة الاشراف حتى تزوج بامرأة امتزج بها دم الارقاء . وكان ذلك الرجل يمد غير جدير بأية وظيفة فى المستعمرات ، بل يعتبر ساقطا من درجة ذوى اللون الأبيض . ومنها ما كانت بتحريم حضور ذوى الالوان الى بلاد فرنسا لطلب العلم ، ومنها ما تضمن عبارات صريحة عن تبرئها (ان حسن النظام لما يوجب اقلال الصغار والاحتشار المرتبط بالجنس الأسود مهما كانت درجته ومنزله ، وقد صمم جلالة الملك على انقاء الحكم الاعتيادى الذى بمقتضاه يحرم الى ابد الالدين ذوى الالوان وذريتهم من المزايا الخاصة بالجنس الأبيض

(١) جاميكا . وانتيجوا جزيرتان فى بحر انثيلىبا

يناير سنة ١٧٦٧) ، ومضى الحال على هذه الوتيرة حتى قامت الثورة الفرنسية في سنة ١٨٢٨ ،

أما في أمريكا فإن الحال فيها لا يختلف عن الحال في فرنسا وبريطانيا ، فالمولى له حق الملك المطلق على عيده فله بيعه وأجارته ورهقه وحره وإجراء الجرد عليه والمصارفة به . وعمر ذلك من التصرفات كأنها هو أثاث - - - ومحتوم على هذا الذي في حكم الجماد . أن يتفحص شخصية الإنسان فيحترم سيده ويحترم عائلته سيده أفعالا ونساء وشيوخا وشبابا - - - ويطيعهم طاعة لا حد لها .

وليس له أن يدافع عن نفسه ، ليس له حق المحنة والذهب والخروج عن المزرعة إلا بتصريح قابولي مستوفيا جميع الشروط المفروضة ، وليس للأرقاء الحق في أن يجمع أكثر من سبعة منهم في الطريق ، والا اعتبروا مخالفين للأوامر ، ويسرل بهم العقاب الشديد . ولأي رجل أبيض الحق في أن يثقي القيص عنهم ويجلد كل منهم عشرين جلدة . وقد نص القانون الأسود على أن العبيد لا نفس لهم ولا زوج ولا قطانة ولا ذكاء ولا إرادة وأن الحياة لا تسب إلا في أدمعتهم .

أرايت إلى أي حد يبلغ الظلم . أنهم يحردونه من الروح ومن العطفة ومن الحياة ، ولكنهم يحملون هذا المحرد من كل شيء مسئولية من له روح وإرادة وعطفة وذكاء وحياة . فهم يحكمون عليه بالجلد بالسياط وبالموت ، ويلرمونه بضتى الواجبات التي أن قصر في أداؤها نزل به العقاب الاليم ، ويباقبونه على الجناية والجريمة التي يفنى من ارتكابها البص - إلى غير ذلك من العواين الجائرة . تلك كانت حالتهم حتى قامت الحرب الأهلية سنة ١٨٦٢ .

هذا ما كانت عليه أوروبا وأمريكا منذ قرنين ونصف تقريبا .

فما هي تطوراتهم التقدمية في هذا الشأن الآن وبعد مضي قرنين ونصف من الزمان ؟ لانشك أنهم تطوروا في العلوم والمعارف والعمون والاكتشافات والمخترعات ... الخ ولكن نريد رؤية تطورهم في الاخلاق والانسانية . وفي هذه المشكلة المستعصية .

لقد قامت في هذه الفترة الثورة الفرنسية وصند قانون

بتحريم تجارة الرقيق • وقامت حرب ابراهيم لنكول من أمريكا لتحرير الرقيق • • ولا نقول ان كلتا الثورتين لم تكونا جادتين في تحرير الارقاء • ولكننا نقول ان الثورتين لم تبنيا رغبةهما في تحرير الرقيق على أساس ثابت • ولم تنظر الى المشكلة بعين كما فعل الاسلام في معالجته لهذه المشكلة • كلتا الثورتين تركتا الرقيق يعاني الاضطهاد والجوع والبطالة • وما زال الزوج في أمريكا نصفا منبوذين يعاملون من الأمريكان معاملة تتجمل وجه الانسان وتقتل ضميره • ولم يزدحم التقدم العلمي والاقتصادي والتطور الحضاري الذي بلوه في القرن العشرين الا قسوة وهزيمة واضطحا بالنسبة لنظرتهم الى الرنوج الذين يعتبرون احوالهم في الوطن والانسانية • وأوربا مثل أمريكا تماما في معاملة الرنوج خاصة والمليونين بوجه عام •

وكان الأحرار هؤلاء الذين يتطلعون الى غزو القمر صواريخهم ان يستطروا صواريخ المقت الى صمائرهم لعلها تفيق من غفلتها ويرافقوا بلحواهم في الأرض وشركاتهم في الانسانية ويمنحهم ما منحه الاسلام لهم من حرية وإخاء ومساواة • ويعترفوا بأذمتهم ولا يهتروها هذا الاحداث المزرى بسمعتهم كرسى للمفضاة في القرن العشرين كما يزعمونه •



ان بريطانيا حيسا كانت تحتل الهند كانت تفقر العلاج وترحقهم بالضرائب وأرباح الربا التي لا تقف عند حد • فاذا عجز العلاج المسكين عن دفع ما تطلبه منه السلطة الحاكمة المتعشلة في القضاء البريطاني • يحكمكم عليه هذا القضاء باغتصاب بناته وزوجاته • واحباؤهم على مزاوله البقاء الرسمي • والبريطانيون هم الذين يحددون آحور هذا السقاء الجبرى • ويستولون عليها حتى يسدو الدين الذى صوره على الدين •

وكذلك كانت تفعل في الصين وفي غيرها من المستعمرات حتى انتشع ظلم الكريه عن الهند وغيرها • واستراحت البلاد التي كانت تزوج تحت يور بريطانيا من الكابوس البغيض الذى كان يحتم على صدور أبنائها •

وهولندا كانت تتعدى من أندونيسيا مزرعة لها ومن اعلمهم
 زرقه يعمون لتوفير الرفاهية والرخاء لأبناء هولندا ، ويعيش
 الاندونيسيون في شظف وارهاف وعمل متواصل - تلهب ظهورهم
 سياط المضارة الغريبة ، خضارة الحرية والمساواة ، حتى تخلصت
 أندونيسيا من الوحوش التي كانت ترتدى ثياب الادميين ، وما هي
 ذى أندونيسيا سميت بحريتها ، وان كان الشمس الذي دفعته غالبا .
 وما زال الكنفو يئن تحت وطأة البلجيك ويرزح في سسلالسل
 وحشيتها وقصوتها . ولكن العجر قريب البروغ على أرضها التي
 تضربت بنما أبناء الكنفو الايرله في سليل حريتهم .

وانت يا فرنسا لماذا تسكن دماء الاحراك في الجزائر ، وابن
 ميشاق الثورة التي قام شعبيك بها لتحرير الانسانية .

امن التحرير انحصار الجزائر والحق هذا القطر العربي الحر
 المسلم بأرض فرنسا ؟ اليس هذا هو الاستعداد في أشبع هوره
 والهجيبة في أصل ألوانها ؟ أين ميشاق الحرية يا فرنسا ؟

أما بريطانيا فهي حامية الفرصة والموصية ومبدعتها .
 إلا هذا لبريطانيا وعملاق ؟ وما لبريطانيا والشمس ؟ لا تزعم
 يا بريطانيا المحافظة على الحقوق فان أهل عماء أحفظ لحقوقهم
 وأندى بها منك ، وأهل اليمن ليحموا في حاجة إلى مدحك في
 شئوهم ، انهم في الشرق وأنت في أقصى الغرب ، انهم عرب وأنت
 سكسونية . ولقد ملوناك يا بريطانيا . قلم نحصد لك أمرا .
 عش وحديمة ، وغدر وخيانة ونهب للأموال ، واستعباد للأفلس .
 واحتقار للادميين . ان العالم كله يشهد عليك بأنك أصل بلاه
 العالم ومصدر شقاء الانسانية . ومثيرة العتن والحروب .

نهر و يتعلث :

وعذا هو الرعيم الهندي الكبير حواجر لال نهر و يقول عنك
 يا بريطانيا في كتابه (لمحات من تاريخ العالم) حينما كنت تحتل
 الهند : «اننا نعيش تحت سيطرة آلة صخينة شعبة تصورت سحق الملايين
 من اليهود » هذه الآلة هي الاستثمار الجديد الذي ولده رأس المال
 الصناعي . ثم يقول : وقد اتضح لنا عيب هذا النظام الاستثماري

الرأسمالي في الهند ، وإذا التفتنا الى الصين ومصر وجدا أنه
الضخية تصير وتسمح أهلها أيضا » .

إن دول الغرب تزعم أنها تشر الحصار في اقطار البشرية
والتي نعرفه أن من يتصدى لمثل هذه الرسالة يسمى لاصلاح
الفساد وتشر العدل والاحياء ، وتحرير النعمس والعقول والقلوب
من كل ما يخفيها ويعد بها عن الفصل المنتج النافع .

فهل فعل الغربيون ذلك في جميع البلاد التي تكبت
بسلطانهم ؟ . انهم يشرون في كل بلد يدخلونه الفساد والاحلال
ويشايرون الجهل والجمود والرجعية ، ويناصرون الظلم والاستبداد
ويقرقون بين الأسرة السرايطة ، ويسفلون دعاء الاحرار ،
ويستعبدون الشعوب ويتبرون الثمرات العصبية والطائفية ،
ويردون الاحقاد ويشرون الفتى : ولا يتحركون البلاد - إن تركوها
قسرا أو اختيارا - الا حرايا يبابا مشغلة بالأوزار والمشاكل - ذلك
ما صنعه في كل بلد وطانة أقدامهم .

وعدا ما يقوله عن انكسار جواهر لال نهرو زعيم الهند
والمسوقها وحاكمها ؟ . وقد ساعد الحكم البريطاني - في الهند -
على اثاره الرجعية الدينية ، ومن الغريب أن بريطانيا التي ادعت
المسيحية جعلت كلا من الهندوكية والاسلام في الهند أكثر بطرا
وشدة ، ومن السهل الى حد بعيد فهم ذلك اذا علمنا أن الغزاة
الخارجي يحاول دائما وضع الدين والثقافة للبلد المغزو موضع
الدافع عن نفسه باللجوء الى الرجعية ، فلم يكن هدف بريطانيا
الحقيقي تقوية الدين أو التبشير له ، وانما كانت تسعى وراء
الكسب المادي ، وكانت حذرة في عدم تدخلها في شئون الدين
بشكل مفضوح لئلا يتحسّن الناس أو يثوروا عليها - وهكذا تجاشت
انجلترا حتى مجرد اثاره الشك بأنها تتدخل في شئون الدين
فدعيت في تشجيعه ، أو بالاحرى ، تشجيع المظاهر الخارجية للدين
وكثيرا ما نتج عن ذلك بناء مظاهر الدين واختفاء الجوهر ، ودفع
خوف بريطانيا من الشعب المتدين الى التظاهر بأنها تفرهم على
حظتهم الدينية ، وبهذا أوقعت انجلترا تيار التقدم والاصلاح ؟ .

وكانت بريطانيا في الصين تعمل كل ذلك ، وتزيد على هذا

بأن تجبر الصينيين على إعطائهم الأفيون ولا تبالي ما يتسبب به من هلاك ما دام ذلك يعود إليها بالربح الوفير ، ويمكن بها التقدم في أراضيهم . وقد أصبحت ملكة بريطانيا (دكتوريا) أديبا عندما تلقت شكوى من الإمبراطور الصيني عن الضرر الذي يصيب شعبه من الأفيون الذي يرغب البريطانيون الشعب الصيني على تعاطيه (١) .

وما تصفه بريطانيا في الصين والهند تصفه في كل بلد تدخل فيه . ليبصر لها استعباد الشعوب وانتهاك حقوقها . وجميع دول الغرب تمسك هذا المسلك في كل بلد تكب بالاستعمار .

وإن من أقطع صور الرق في العصر الحديث ما يحدثنا عنه جواهر لال نهرو في كتابه لمحات من تاريخ العالم تحت عنوان (نظرة أخيرة حول العالم من ٤٩٥ وما بعدها) .

يقول جواهر لال نهرو لابته : دعينا نتوقف قليلا ونسطر حول العام ألفي ما وضعه الآن في اليوم السابع عشر من شهر أغسطس من سنة ألف وتسعمائة وثلاث وثلاثين .

في الهند اتقى القيص مرة ثانية على غاندي . ورجع به في سجن (يرقاندا) واستؤنف المصان المدني ، ولو على نطاق صيق وسيق زملأؤتالي السجون . لي زميل عزيز شجاع اسمه (خاسدرا) أول ما التفتت به في كميرج منذ ربع قرن ، وقد تركنا بعد أن توفي في سجون الحكومة البريطانية . إن الحياة تتساوى مع الموت ، ولكن الأعمال العظيمة التي يقوم بها شعب الهند تجعل حياته ذات قيمة كبيرة مستمرة في طريقها . يرقد الآن في السجون والمعتقلات آلاف عذبة من أبناء وثقات الهند المتوقدين حماسة وطنية مضحين بشبابهم وحيويتهم في صراعهم ضد النظام الحاضر الذي يستعبد الهند ، وكان يمكن أن يقضي هذا الشباب وتصرف هذه الحيوية في الأعمال البنائية . فهناك أشياء تقرة يجب عملها في هذا العالم . ولكن قبل أن يبدأ البناء (يجب أن يسبقه علم حتى يسوى الأرض ليقف عليها البناء الجديد) .

(١) راجع صفحة (١٢٥) وما بعدها من كتاب نهرو
(لمحات من تاريخ العالم) .

فاننا لن نستطيع أن نبقى يساية حميلة فوق جدران كور
 طينية .. ويمكننا أن نتصور ما هي حالة الهند هذه الايام اذا
 عرفنا أنه في بعض أقسامها مثل (البنغال) تخضع طريقته لباس
 الناس لأنظمة الحكومة ، وكل من يخالفها يزج به في السجن .
 وفي (شتاجرنج) يجب على كل الأولاد وحتى البنات أيضا البالغ
 عمرهم اثنتي عشرة سنة أو أكثر أن يحملوا بطاقات هوية أيضا
 ذهبوا . ولا أدري ان كان هذا النظام المحييب قد طبّق في أي
 مكان آخر ، في المانية النازية ، أو في مناطق الحرب حيث يحتل
 البلاد جنود الاعداء .. انما اليوم أمة خاضعة للحكم البريطاني .
 وعبر حدودنا الشمالية الغربية يقع حيراسا تص وطاة الفارات
 الجوية التي تقوم بها الطائرات البريطانية .

اما الهنود في البلاد الأخرى فقلما يحرمون أو يرحب بهم
 أحد ، وليس هذا غربا اذ كيف يحترمون في الخارج في الوقت
 الذي لا يحترمون في بلادهم (١) ؟ انهم يطردون الآن من جنوب أفريقيا
 حيث ولدوا وعاشوا ، وحيث عسروا وبنوا بمرق جباههم بضر
 اجراء البلاد مثل « ناثال » .

ان التهريق بينهم وبين الآخرين سبب اللون . يضاف اليه
 الكراهية العنصرية والصراع الاقتصادي قد اجتمعت جميعها لتجعل
 من هؤلاء الهنود في جنوب أفريقيا سودين . لا بيت لهم
 ولا مأوى .

وتصر حكومة جنوب أفريقيا (٢) على ان هؤلاء يجب أن يرحلوا
 الى أي مكان آخر مثل غينيا البريطانية أو الهند ، وهذا يعني موتهم
 جوعا بال تأكيد . ولا يهم هذه الحكومة الا أن يرحلوا لا أكثر
 ولا أقل .

وفي شرقي افريقيا ، لص الهنود دورا عظيما في بناء كينيا
 وما يحيط بها من أقطار ، ولكنهم لم يهودوا مرغوا فجمع هناك .

-
- (١) وهذا شأن كل شعب يخضع لحكم الطواغيت .
 (٢) حكومة جنوب أفريقيا حكومة متفرعة عن المنصر
 الانجليزى ، وهي ضمن اللومينيون الاسطيري .

لا لأن الأفريقيين يملكون في قوائم بل لأن حصته من الأوربيين لايريدونهم ، وقد استولى هؤلاء على أحسن المناطق - ومنعوا الأفريقيين واليهود من امتلاك أية أراض فيها ، أما حاة الأفريقيين فتحصصه للقاية ، منهم الذين كانوا في الأصل يملكون هذه الاراضي ومنها يستعملون دخلهم ، وقد صادرت الحكومة مساحات شاسعة واقطعتها مجانا للمستعمرين الأوربيين ، فأصبح هؤلاء اقطاعيين كبارا ، لا يطلب منهم دفع ضريبة دخل أو أية ضرائب أخرى ، ولكن عيب هذه الضرائب يقع بكل ثقله على الأفريقيين المساكين (٦) ولم يكن من السهل أيضا فرض ضرائب على الأفريقي لأنه لم يكن يملك أى شيء ، ولذلك عرضت الحكومة ضرائب غير مباشرة على الحاجيات الضرورية التي لا يستغنى عنها مثل الطحين والمسابك - فإذا اشترى هذه الأشياء دفع ضريبة كقسم من ثمنها ، ولكن أغرب ضريبة فرضت عليه هي ضريبة الروس على كل ذكر تجاوز عمره ست عشرة سنة ، وعلى جميع أفراد عائلته بما فيهم وأنت تعرفين (بخاطبك ابنته) ان المبدأ الأساسي في فرض الضرائب على الناس يستند إلى ما يكسبون أو ما يملكون - ولما لم يكن الأفريقي يكسب أو يملك شيئا ففرضت الضريبة على جسده ولكن كيف يتمكن من دفع هذه الضريبة وقد مر اثنا عشر شهرا عن كل شخص في كل سنة في الوقت الذي لا يملك فيه أى مال ؟ هنا تكمن قذارة القانون وتحايله فهو يجبر الأفريقي أن يكسب بعض المال بأن يعمل في مزارع الأوربيين ، وهي طريقة لا لكسب النقود فقط ، وإنما لاستخدام المال بأجور منخفضة ، وهكذا كان يضطر هؤلاء الأفريقيون التمسك أن يسبوا مسافات طويلة قد تبلغ مئتي ميل أو ثمانمائة ميل من داخل مناطقهم الى الساحل حيث توجد هذه المزارع (لا توجد سكك حديدية في الداخل البتة ، ولكنها توجد لمسافات قصيرة قرب الساحل) .

(٦) هذا نظام وصل الحضارة في العصر الحديث . يعطون أرض الناس ويمطونها للدخلاء ، ويغرسون الضرائب على المساكين أهل البلاد الذين اعتصبت أراضيهم ثم يتوقعون ويقولون الاسلام دين رجس لا يصلح لتطور الزمن ، وقد رأينا كيف كان حكم الارض في الاسلام . وبيناه في كتابنا هذا فليرجع اليه من اراد .

وليكنسبوا حالا يدمونه غرائب عن أشخاصهم وعائلاتهم
هنالك أشياء كثيرة يمكن التحدث بها عن هؤلاء الأفريقيين
المستقلين الفقراء الذين لا يعرفون حتى كيف يسمون أصصواتهم
المصالح الخارجية .

إن قصة شقاوتهم الطويلة ، وهم يقضون كل حياتهم بتعاسة
وصمت . أنهم طردوا من أحسن أراضيهم ويعودون الآن ليمملوا
فيها أجرا عند الأوروبيين الذين أخذوا الأرض منهم بالمجان .

وإذا هؤلاء الأوروبيون طبقة شبه اقطاعية فيخمدون كل
حركة لا يريدونها . ولا يحق للأفريقيين أن يؤلفوا أية جمعية حتى
ولو كانت أغراضها اصلاحية ، كما لا يحق لهم أن يجمعوا فيما بينهم
أية نقود .

وبلغ السخف بالأوروبيين أنهم سموا فانونا منصوبا فيه
الأفريقيين في الرقص لأن هؤلاء يملكونهم بهزء وسخرية في بعض
الاحيان . والفلاحون فقراء جدا ولا يحق لهم زراعة البين أو الشاي .
لأنهم بذلك يناهسون المزارعين الأوروبيين .

أعلنت الحكومة البريطانية بشكل رسمي قبل ثلاث سنوات
أن الانجليز أوصياء على الأفريقيين ، وأنهم لن يسلبوهم أراضيهم
عن المستقبل ، ولكن لسوء حظ الأفريقيين اكتشف الذهب في
كينيا في السنة الماضية ، فتمنى الانجليز وعلمهم وأسرعوا بالاستيلاء
على الاراضي التي اكتشف فيها الذهب ، وطردوا أصحابها الأفريقيين
منها ، وجعلوا يتقربون عن الذهب .

وهكذا تمون ما هي الوعود الانجليزية ؟ أنهم يقولون لنا
أن كل ماعلوه هو لمصلحة الأفريقيين ، وأن هؤلاء سمعنا جدا
بضياع أراضيهم .

إن هذا الأسلوب الرأسمالي في استغلال متطرفة غنية بالذهب
لأسلوب عجيب . فيموجه يهرع الناس من كل مكان نحو تلك
المنطقة ، ويبدأ كل منهم في التنقيب فإذا عثر على شيء كان من
نصيبه . هذا الأسلوب هو نموذج للرأسمالية ، لأن الطريقة المقولة
لاستغلال حق الذهب هو أن تكون بواسطة الحكومة التي يجب أن

تسيطر عليه . وتستعمله لخدمة الشعب بأسره ، وهذا نفسه هو ما فعله الاتحاد السوفيتي الآن في حقول الذهب في مايجكستان وغيرها من الأماكن (١) .

انتهى كلام تهرود .

وهو قليل من كثير مما تحدث به تهرود في كتابه (لمحات من تاريخ العالم) .

فهل نجد دقا أفظم من هذا الرق ؟ وصي ؟ في القرن العشرين . ومن ؟ من الذين يزعمون أنهم رحل الحضارة وأصابع الحرية والعدل والرحماء بالإنسانية ! من هؤلاء الأوربيين الوقحاء .

إن بريطانيا اغتصبت اليوربي لتستولي على حقول البترول بنفس الامتلوب التي استولت به على حقول الذهب في أفريقيا . وهي نفسها القائمة الآن بضرب اليمن وعمان بالطائرات لتسترق الشعب اليمني فيهما وتنهب ثروته .

إن الرق صرية لازب للنظام الرأسمالي الغربي القائم الآن . ولذلك فإن نظام الرق لا يمكن أن يزول مادامت أوروبا متمسكة بنظامها الاقتصادي الفاسد . ومادا يفيد العالم إذا كان الشعب الانجليزي أو الشعب الفرنسي أو الشعب الهولندي أو البلجيكي مستمتعا بعدالة اجتماعية ومستوى معيشي لا بأس به ؟ انهم إنما يبنون مثل هذه العدالة على ظلم واستبداد واسترقاق لشعوب أخرى تمتزج حرقتها وتنهب أرواقها وتموت جوعا لتعيش أوروبا في رفاهية من العيش . أهذه إنسانية ؟

ألا يفسد الإنسانية يفسد الحضارة إذا كانت ترفع من قدر إنسان على حساب إنسان آخر ؟

(١) إن الاتحاد السوفيتي لم يأت بجديد . فقد قرر الإسلام ذلك لا في حقول الذهب فقط . ولكن في جميع أنواع الثروات سواء أكانت ذهبا أو فضة أو حديدا أو نحاسا أو بترولا أو ملحسا أو قصديرا أو كبريتا أو غيره ، وقد أبنا في كتابنا هذا ما أمر به الإسلام في مثل هذه الثروات فليراجع في موضعه من هذا الكتاب .

لاميرى الجورسات

مثل عربى يقال لمن يعيب غيره ، وفيه نفس العيب

ذكرنا بهذا المثل القديم الدارج على ألسنة المحاذيرين ما كتبتة جريدة المساء المصرية الصادرة بتاريخ ٩ من ربيع أول سنة ١٣٧٩ هـ الموافق ١١ من أكتوبر سنة ١٩٥٩ فى عدد (١-٨٨) تحت عنوان لورد انجائزى يضع ابحار فرنسا بالرقب الاسودى عرف أفريقيا .

قالانجليز الذين يرتكبون الفظائع التى تغفلها عن همسرو يعميون على فرنسا اتجارها بالرقب .

وهذا شأن المصوص اذا تنازعوا على الصيحه فان تنازعهم يظهر فضائحهم ومخازيهم . وهامهم أولاء رسل الحضارة وأنصار الاساييه يرتكبون أفظع مما كان يرتكبه الانسان البدائى فى عبود الظلام والقسوة والهمجية . فى هذا العصر الذى أحسنه الانسان يطمح لسكنى الكواكب ، ويحاول أن يصل إليها .

والى الغرباء ماترتكبه فرنسا التى تزعم أن تورتها كانت ثروة لتقرير حقوق الانسان فى كل مكان - انا لنقل ما كتبتة جريدة المساء نقلا عما نشرته صحيفة بريطانية .

تقول المساء .

اذا تحدثنا عن تجارة فرنسا فى الرقيق الابيض . . على مستثير دهشة القراء لانهم جميعا يعلمون أن هذه هى طبيعة فرنسا من القديم . . فقد بنى تاريخها على هذه التجارة التى مازالت نتائجها لدرجة أن وجى موليه يعمل مستشارا قانونيا لاحتى المؤسسات التى تتجر فى الرقيق الأبيض .

ولكننا سنتحدث عن ماسة خطيرة جدا تتعلق بنا . . بصير

سأب وساء عرب أفريقيا ٠٠٠ التي تكبت بالاستعمار الفرنسي
الذي يطلق مبادئه القذرة بعداقرها عليها في وقت تتطلع فيه
للحرية والاستقلال والحياة الكريمة .

لوورد انجليزى يكتبه :

ان ما اسوفه في هذا الصدد لم اكتمه أما ، واسا كتبه لوورد
بريطانى ونشرته صحيفة بريطانية ٠٠٠ كشفت به عن المضائق
لمروعة والارهاب الوحشى الذى يعيش فيه سكان تلك البلاد وراء
ستار جديلى فرضه الاستعمار الفاشم ٠٠٠

وقد ذكر اللورد الانجليزى كيف يشتري الرجل بـ ٢٨
جنيها ٠٠٠ وكيف تشتري المرأة بـ ١٥ جنيها ٠٠ وكيف يشتري
الطفل ببجتيهين اثنين !!

انها صورة حيه واقعية عن العملة الى تتعامل بها الدول
الاستعمارية مع تجار الرقيق الاسود ٠٠٠

لقد استطاع اللورد « موحام » الدخول في عرب أفريقيا ،
والتمسك الى معسكرات الرقيق الاسود ، والتحقيق في التجارة
التي اتسمت بصورة خطيرة ٠٠٠ بل استطاع شراء عبد بـ ٢٧ جنيها
وعشر شلنات ليطلق سراحه ٠٠٠

ان لوورد « موحام » سيروى القصة كاملة بعد ان سمحت له
السلطات الفرنسية بدخول عرب أفريقيا لانه من اللوردات الذين
يمثلون الطبقة الاستعمارية في بلاده ٠٠٠

القنصل البشرية :

وتقرير اللورد يموان « القنصل البشرية » ، وهو يثير الصعير
الاسمانى بعد أن يكشف النقاب عن تجارة الرقيق والنخاسه خلال
عام ١٩٥٩ .

وقد بدأ اللورد تقريره بقوله :

في عصر النوة والتقدم العلمى الكبير مازال ملايين الافريعيين

يعيشون حياة قطمان الماشية ، يعيشون عبيدا أذلاء لطائفة من المستعمرين وعملاتهم ، فيملكهم السيد الأبيض روحا وجسدا ، ويحرمهم من كل حقوق الأنسان ، ويعرضهم في السوق مثل الماشية والأغنام تماما ...

هكذا ما اكتشفه لورد ، موغام ، في الصحراء الكبرى عبر أفريقيا الغربية ...

وهسترد اللورد في تقريره يقول :

إن السخرة وتجارة الرقيق وسوق العبيد ما زالت قائمة تحت إشراف السلطات الفرنسية - ، فقد ألقت فرنسا السخرة وتجارة الرقيق اسما ، وأطلقت للمستعمرين العنان في ممارسة الاتجار بالسود في الصحراء لاستخدامهم في المشاريع التي بدأت تنهض بالتعاون مع الدول الاستعمارية الأخرى التي تستغل رؤوس أموالها في غرب أفريقيا ...

إن هذه الحقائق تعد نقطة سوداء بل عارا بطارد الحكومات الاستعمارية إلى الأبد ...

في « ذاكار » :

وأضاف اللورد :

« وسألت ضابطا فرنسيا في مدينة «ذاكار» عن السحابة فنفاها ، ولكنه اعترف بعد ذلك بوجودها بل وباتساع نطاقها ، وفهمت من حديثه أن هذه المدينة يالذات هي مفتاح هذه التجارة كلها ... »

« واستأجرت صحفيا ودليلا وعددا من الجمال والخيل لاقوم بأكبر معامرة في الصحراء ... معامرة استغرقت شهرين كاملين تقنت خلالها إلى داخل الستار الحديدي الذي صر به المستعمرون وأنسادة البيض حول مئات الآلاف من السود رجالا ونسلا وأطفالا حتى وصلت إلى «تومباكتو» التي تعتبر مفتاح الصحراء كلها ... »
والتي تضم سرا وهيبا ... لا يعرفه سوى الأوروبيين فقط»

هأن الحياه رحيمة جدا في مصكرات الصحراء ... والسيد
الابيض الاوربي وعملاؤه لايرحمون ولا يرحمون عن قتل من يقترب
من مصكراتهم محاولا الاتصال بقطعان البشر المحجوزة وراحمدران
المصكرات " .

عن وراء المصكرات :

وأضاف اللورد الى ذلك :

« واستطاع دليل المئور على شاب حديث السن من السود
الذين اطلق سراحهم من أحد المصكرات بعد أن اشترى حريته
يفضل أحد السياح الذين زاروا «تومباكتو» ..

وروى لنا هذا الشاب قصة العبيد والمحررة في الصحراء
كاملة -

ومما لته عن الاسباب التي تحول دون الاتصال بالسلطات
لاطلاق سراحهم ، فقال في ألم : ان السلطات اقلت مجارة الرقيق
الاسود رسميا ، ولكنها للاسف الشديد تمارسها علنا بالتعاوان
مع حجار الرقيق يقصد تسخير الزوج في مشاريعها القائمة بقنب
الصحراء » -

وأضاف الشباب : « ان الوسيلة الوحيدة لانقاذ العبد من
مصكرات السخرة هي أن يشتري حريته ببلغ أربعمائة جنيه
كيشترى نفسه من سيده ، فيطلق سراحه وحده ويستبقى أمره
ليعمل هو حتى يحصل على المبالغ التي يشتري بها باقي أفراد
أسرته .. وقد حدث هذا له شخصيا عندما استطاع والده دفع
دية الاسرة كلها بفضل مساعدة أحد السياح ... »

واستطرد اللورد يقول :

«استطاع» «سايه» وهو الشاب الذي تحدثنا اليه .. أن يقدم
لنا «عسل زبد» العبد البالغ من العمر ٤٤ عاما وإن كان مظهره
يدل على أنه تجاوز الخامسة والسبعين ..

قصة دائمة :

وقال «عسلى» انه اشترى حريته بمبلغ ٤٠ حبيها .
وقلت له « ان السلطات الفرنسية ألقت نجارة الرقيق منذ
٦٥ عاما » فقال : ان الافاء اجراء رسمى محض ولم ينقد منى
أى نعمت أو أى مكان . وقد قصد به تغطية ما يدبر لنا فى الحفاء »
وقال «عسلى» « ان السبل شاق جدا فى مشاريع الصحراء
التي بدأت منذ ٣٠ عاما تقريبا ، ولا يحصل العبد حلال عمله الا
على كميات ضخمة من الطعام ، الامر الذى تسبب فى موت مئات
الآلاف ، وعرض عشرات الآلاف للأمراض الخطيرة » -
وقال بعد ذلك « ان عقاب كل متعرد على هذا الظلم هو
الصرع بالسيوط والطعن بالخنجر » وكشف عن ظهره وصبره
فشاهدت ما اثار استغزلى وفجوى ، وسألته عن سبب ذلك
ففسال فى مرارة « لانى تناولت شرب بعض اللبن المخمس
لأسبائنا !»

عنه قصة أحد العبيد .. وهى صورة واقعية لما يدور
بالمسكرات فى الحفاء .. المسكرات التي صرقت حولها حراسة
شديدة ومنع الاحاب من الاقتراب منها ..

عنه قصة «عسلى» أحد السود الذين عاشوا معظم حياتهم فى
مسكرات السخرة وتبادلوه أكثر من صيد من البيض المستعمرين ..

السادة :

والآن تنتقل الى قصة أخرى .. قصة جديدة .. بطلتها
الطفلة «تيجولود» التي تبلغ من العمر ١٦ عاما .. قضت مسة
ستوات منها كبحى للسادة البيض الذين يتبادلونها كالتجارة
الوحشية .. وهى تروى قصتها فتقول :

« بدأت الأبوثة تعب فى حصى بعد العاشرة وظهرت أولى

علاماتها في جسمي . . . ولما سیدی یراقبني ويسمعي من الخروج
لأى سبب من المخنة . . . وفي أسيرة طرحني على الارض فقاومت
دون جدوى . . . وتركتني بعد أن أصبحت امرأة . . . ثم أخذ يزورني
يوماً ليقتصبني . . . وبعد ذلك اصطحب شقيقه معه في أثناء زيارتي .
وأخذ عدد من يصطحبهم يزداد كل يوم عن سابقه حتى أصبحت
لا أستطيع الوقوف على قدمي . . . وأغنى على مرات ثم مرات . . .
ومرحت جدا . . . فتركتني سیدی وأمر بطردني من المسكن . . .
والتقطني عبد اشترى حريمه وعالجني حتى شفيت وتزوجني . . .
وفجأة وجدت سیدی في دارى يريد الاعداء على أمام زوجي . . . ولم
يجد بدا من الهجرة الى لندن المصنة حتى يتوقف عن مطاردتي . . .

هذه قصة من آلاف القصص لما يمانيه الزوج والسود على
أيدي المستعمر من اذلال وسخرة واعتداء وحشي وحرمان من كافة
حقوق الانساء . . . قصة قطمان البشر التي تناع وتشرى في أفريقيا
بماونة وإشراف سلطات الاستعمار . . .

الوباء الأبيض :

أما في الكونغو فإنه يطلق على البلجيكي (الوباء الأبيض) من
شدة ما يلقيه الوطيون من فتك وهمجية يرتكبها البلجيكيون بلونة
ما شفقة ولا رحمة . . .

وإن الحيوان ليجد من العطف والمعاملة الحسنة ما يحسنهم عليه
الكونغوليون . . .

إن القصص الدامية التي ترتكب في كل مكان من المستعمرين ،
تخرجهم من حظيرة الانسانية وتدخلهم في عداد الوحوش المفترسة .
ومع ذلك فإن الأوروبيين يزعمون أنهم رسل الحضارة فإين هذه
الصناعات المظلمة الملوثة بالدماء وتكرار الحقوق والحدود بالانسانية
التي يحتل بها تاريخ الأوروبيين في كل مكان وطئوه وفي نفس العصر
الذي نعيش فيه وهو القرن العشرين ؟ وإين هذه الحضارة التي تقوم

على القرصنة والعبودية والتخاسية والعدوان بكل الروايات -
من الحضارة التي أقامها القرآن ونشرها المسلمون ؟

إنَّ المسلم - مهما كان أنحراقهم عن قرآنهم - لم يكونوا
عساة ولا حاحدين لحقوق الإنسان ، لأنهم يديسون بالقرآن . فليس
لديهم لون مميز على لون ولا جنس مميز على جنس . فالكل في
نظرهم آدميون ، ولكل آدمي الحق في الحرية والحياة والرزق - وليس
لأي آدمي الحق في استلاب آدمي آخر ، أو استعباده أو التحكم فيه
بلاده ، وانتهاك خيراتها ، أو الحبر على حريقته التي منحها له الله .

الكلمة الختامية

تلك صحائف الإسلام الصحيح قد تحدثنا عنها كما توجهنا عن المسلمين المحرفين تنويرها يكفي للدلالة عليهم ، وهذه صفحات الغريبيين ماثلة أمام أعيننا ، يشاهدونها أهل الدنيا بأجمعهم ، ويشهدون عليها .

فليس من حق أحد أن يتهم الإسلام بأنه يستميد الناس ، أو يستبيح استرقاقهم ، أو يشرع الرق في تشريعاته ، وليس لأحد أيضا أن يقول : إنه دين قد استنعد أغراضه ، أن العالم ما زال - ولن يزال - محتاجا إلى رحمة القرآن وعدله ، وما زالت الدنيا في حاجة ملحة لأن تستضيء بهديه .

وعلى المسلمين أن يفتشوا إلى كتابهم ويستقيوا بهديه ، ولا يدعوا هذا الكتاب الذي بي أيديهم يشكو إلى عزله من هماله والصوف عنه .

وعلى علماء المسلمين المستنيرين أن يهيبوا بالمسلمين على تفهم القرآن وتصفية هذه التعاسير الموروثة وأقوال الرجال المفرضين الدين تصدروا لحشوها بما لا يتفق وروح القرآن .

إن عصور الظلمة والركود انحرفت كثيرا عن المعاني الصحيحة والصومعن الصريحة التي للقرآن وللأحاديث النبوية المؤكدة ووردوا عن صاحب الرسالة ، وإن على المستنيرين من أبناء هذه الأمة أن يهضوا للتصفية والخريلة ، وتقديم تعاليم القرآن ورسول القرآن تقديمًا نقيًا صافيًا مزها من كل التحريفات تلك العصور . وعليهم أن يقفوا وقفة مخلصة لنفخ كل حوى أو انحراف أو غرض يبعده المسلمين عن حقيقة دينهم - ذلك هو واجب المسلمين وفي حقهم العلماء والحكام - هذا إذا أرادوا أن يكونوا الأمة الوسط والشهادة على الناس .

ولكن مع الأسف أخذ المسلمون من القرآن حد القطع ، ولم

ياخذوا من القرآن التشرع الاقتصادى الذى اذا طبق تطبيقا كاملا
فحينذاك يكون القطع لمن يسرق .

ان الشيايب وغير الشيايب فى بلادنا استهوتهم حصاره العرب
وغلبته وعلومه . فاصبحوا متجهين اليها ، ومن اراد ردهم
او توجيههم الى حصارهم وقرآنهم وما فى هذا القرآن من توجيه
سديد رشيد مسحوا منه وأعرضوا عنه . واتهموه بالرجعية
والجمود .

وإذا أردنا أن نقول كلمة الحق فى ذلك لا يسعنا الا أن نقول
انهم محدورون . لأنهم لم يجدوا فى واقعهم ما يرضهم على ذلك .

لقد تحدثت الى كثير من الشبان المثقفين ومن يختلف الجنسيات
المسلمة ، وحدثت فى أقوال كثير منهم كثيرا من وجهة ما يقولون .

انهم يقولون : ان الاسلام يبيع الرقيق . فالمسلمون
يسترقون ويبيعون تجارة الرقيق فى بلادهم حتى اليوم . فإذا
قلت : لا يبيع الاسلام الرق . أجابوا : هذا هو واقع العلماء والحكام
المسلمين أفأنت تفهم الاسلام أكثر منهم ؟

ويقولون : ان الاسلام يقطع يد السارق . وتلك قصوة ومظاهرة
فأما قلت لهم ان للاسلام نظاما اجتماعيا واقتصاديا لو طبق كما
هو فى القرآن وفى احاديث الرسول لما سرق أحد ، ولما أجرم أحد ،
ولو تبينتم نظامه لما وجدتم فى القطع الا منتهى العدل . قالوا
ذلك هو الواقع أفأنت تفهم النظام الاقتصادى والاجتماعى فى القرآن
أكثر من هؤلاء العلماء والحكام الذين يقومون فى بلادهم
بتنفيذ ذلك ؟

ويقولون : ان القرآن راسمالى يحتكر الارزاق والحكم .
ويجلبها من نصيب الأفراد اما الجماهير فليس لهم حساب فى
توزيعاته .

فإذا قلت لهم : ان للقرآن نظاما لا يوسى بالشيوعية ولا يرمى
بالرأسمالية القروية ، وله نظام خاص به ، وحير ما يسمى به
نظامه فى عصرنا هو هذا النظام الاشتراكى التعاونى ، الذى

لا يسمح للمرد بأن يحتكر الرزق ولا مصادره . ولن يدع للمرد الاستيلاء بالحكم . فهو يسمح الاحتكار والاكتناز في الأحوال ويسعى إلى الشورى في الحكم . قلنا . ولكن هذا هو واقع المسلمين في عصور الأمويين والعباسيين والفاطميين وكل الدول التي قامت في كل بلد إسلامي حتى اليوم . أفاضت تفهم الإسلام أكثر من كل أولئك ؟ ومن ثم ندنا أن تفهم الإسلام : أي من المسلمين أنفسهم . وهذه هي حال المسلمين في تاريخهم الطويل وفي واقعهم الحاضر إلا في بعض البلاد التي أدخلت على نظمها ما اقتبسته من نظم العرب .

أما الذين يقولون أن الإسلام قد استنفذ أغراضه ولم يعد أحد بحاجة إلى الرجوع إليه . فيقررون أنه دين لصرة من أفرس كانت الظروف العالية في حاجة إلى التنظيم على أساسه . وقد قام بأداء الدور حين قيام . وانتهى دوره . وتطور العالم ونشأت فيه فلسفات ومقاهب عديدة . وبينها الآن صراع محتدم ومستكون الفلبية للمذهب الاصلي والفلسفة الاصح . . وليس في الاسلام القدرة على التحول في هذا الصراع القائم لانه يحصل عناصر رجعية يلفظها العصر الذي يعيش فيه . ولست أدري ماذا أقول بهذا لأنهم دلووا على أنهم لم يقرؤوا حرفاً واحداً من القرآن أو قرؤوا ولكنهم لم يفهموا ، أو فهموا ما علق بالتفسير المختلفة للحدثة الينا من عصور الظلمة التي مرت بها أمة المسلمين . ولم تنهض في العصر الذي يعيش فيه حكومة من المسلمين تستطيع أن تنجذ من كل تقليد ومن كل أثر رجعي وتنظر إلى القرآن نظرة مجردة عن الأقاويل والتملقاب والتفسير المختلفة إلا ما كان صالحاً منها . وكذلك تنظر إلى السنة نظرة مجردة عن كل ما شابها وشاب روايتها . وتجنو لآ تعاليم القرآن وتشرعاته وما جاء من السنة الصحيحة ، وما ثبت صدوره من أحاديث الصحابة وقضاةهم ، وتستعين بما جد في العالم من معان وفلسفات ومقاهب وتطورات في كل شيء . وتجعل المسألة العامة وتقدم الوعي وتطور المسائل تصب عينيها فيما تلغذ وما تدع .

وبمثل هذا الحكومة - لو نهضت في بلادنا - يستطيع الشباب الاتاحة إلى دينه وحضارته قومه ، وما نبع من بلاده ، وما تزل من

سمائه من حصاره ورقى وسوى بالاساية لم تأت به حصاره من
المضار ، ولم تصل اليه قلعة من الفلسفات .

ان في ديننا ما يرضى الوجدان والروح والتفكر ، انه يرضى
عالم الروح وعالم المادة ، ويجعل بينهما ميزانا قويا عادلا بحيث
لا يظن حاسب على الجوانب الاخرى فيمطلها .

فهل نجد في عقلاء امتنا ومعكريها وقادتها من يمسلا قلبه
الايماح ، وتشيع في أطرافه الحماسة للقيام بهذا العمل العظيم ؟؟

اعتراض وود :

لعترض أحدهم على مى تسمية الكتاب . وقال لو اسميته
{ لارق في الاسلام } لكان ذلك أشمل ، لان الاملاام جامع للقرآن
والسنة وعمل الاصلااف الصالحين .

ولكن فأت هذا المترض ان في القرآن ما يدل على المسته
اذ يقول الله تبارك وتعالى . { ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا } - ويقول عن النبي صلى الله عليه وسلم : « وما يطق
عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » - وأقوال النبي صلى الله عليه وسلم .
ان لم تكن من القرآن صا وهى من القرآن روحا ومعنى .

المراجع

القرآن الكريم
صحیح البخاری
فی ظلال القرآن لمید قطب
العدالة الإجتماعية لمید قطب
تفسیر النسخی
تفسیر الشاذن
تفسیر ابن کثیر
تفسیر فريد وجدي
تفسیر (عم) للامام محمد عیبه
انسان المیون - السيرة الحلیة
اسمى الرسالات للمید عبد الحمید الخطیب
بلوغ المرام للمصنفات
سبل السلام للصنعانی
المحل للامام علی بن حزم
الوحي المحمدي للمید رشید رضا
مختارات الاحادیث النبویة لعبد الوهاب عبد اللطیف
حاتم التبیین لمحمد خالد
ریاض الصالحین
الاسلام دین الفطرة للشیخ عبد العزیز جاوید
الاسلام دین الاتساقیة الخالد لمحمد عبد المنعم خفاجه
المجتمع الاسلامی كما تصوره سورة النساء لمحمد محمد المذنب
الاسلام للظلم لابراهيم أبو الحبيب

حقوق الإنسان في الإسلام للدكتور علي عبد الواحد وافي
 قصة الملكية في العالم للدكتور وافي والدكتور سمعان
 حقائق الإسلام وأباطيل خصومه لعباس محمود العقاد
 المرأة في القرآن الكريم لعباس محمود العقاد
 الملكية في الإسلام للسيد أبي النصر أحمد الحسيني
 شبهات حول الإسلام لمحمد قطب
 بين الدين والحرية لعبد المنعم حسن عزيز
 الرسالة الخالدة لعبد الرحمن عزام
 محرر الرقيق لمحمد حسن عواد
 جمهورية أقاليمون ترجمة حنا خباز
 حضارة الهند لغوستاف لوبون ترجمة (عادل زعيتري)
 ماذا حدث في التاريخ تأليف (جوردن تشايلد) (ترجمة جورج
 حناد)
 سر احتلال الانجليز لمصر تأليف (بلنت) من كتب اخترنا لك
 لمحات من تاريخ العالم لجواهر لال نهرو (مترجم للمربية)
 الرق في الإسلام لأحمد شفيق باشا - ترجمة أحمد زكي باشا -
 عن الأفرنجية
 دائرة معارف البستاني
 صحيفة المساء سنة ١٠٨٨

المعاجم

المعجم المفسر
 القاموس المحيط
 للمعجم -

قصويب

الصفحة	الخط	الصواب
٩	٧	لتشريف
١٥	٢١	جليكم
٢٣	٢٠	أن
٢٩	٧	عنده
٤٠	٢٦	أنهم
٤١	١٥	المميعة
٤٣	٦	ورثيت
٤٣	٢٣	فلك
٤٨	١	أمر
٤٨	٢	التي مسميات
٤٩	٥	مرزقكم وإياهم
٥٣	٤	للحضارة المادية
٥٣	٦	أبناء
٥٣	١٣	والتقى
٦٩	١	هدرا
٩١	٣١	المكتنزيين
٩٩	٤	لم
١١٧	٢٨	للماليك
١٢٥	١	أراد
١٣٠	١٧	ويكسونهم
١٣٥	٢١	لاول الأمر
١٣٧	٣	قولى
١٤٠	٢٩	وينتفى

لاول في القرآن

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
١٤٥	٧	في قلوبهم	في قلوبكم
١٤٨	٨	ليبينوا	ليبينهم
١٥٦	٢١	فانكروهم	فانكروا
١٨٢	٢٣	هاذلا	هاذلا
١٨٦	٢٥	نكثوا	وان نكثوا
١٨٦	٢٥	فقاتلو الكفر	فقاتلوا ائمة الكفر
١٨٨	٦	يستطر	يستطرد
١٩٣	٩	فلا تمتبقي	فلا تمسبق
١٩٦	١٧	ان يكون	ان يكونوا
٢٠١	٥	ويكلمه	ويكلمه
٢٠٤	٨	المثلين الذين	المثلين الذين
٢٠٦	١٦	يقع	يقطع
٢٠٧	١٧	حسن	حسن
٢٠٧	٢٠	الطاعة	الطاعة
٢٠٨	٣	بان	بالا
٢٠٨	١٤	يسطت	يسعت
٢٠٩	٣٠	تخيف	تخيف
٢٢٥	١٤	بما فيهم	بما فيهم من السوء
٢٢٧	١١	التي	التي
٢٣٣	٢٩	المشرين	المشرون

هيئة قناة السويس

حركة الناقلات خلال شهر سبتمبر سنة ١٩٦٢

عبرت القناة خلال الشهر الحالي ٨٧٣ ناقلة مقابل ٧٤٦ ناقلة خلال نفس الشهر من العام الماضي بزيادة قدرها ١٢٧ ناقلة أى بنسبة ١٧٪ ، أما الحمولة الصافية فقد سجلت زيادة قدرها ٢٠.٩٧ر.٠٠ طن أى بنسبة ١٨.٩٪ (١٢ر.١٩٥ر.٠٠ طن مقابل ١٠ر.٩٨ر.٠٠ طن) وهذا دليل على التطور الكبير فى أحجام الناقلات التى تعبر القناة فى الوقت الحاضر .

وبالنسبة لمتوسط الحمولة الصافية للناقلة فقد بلغ ١٥١١٥ طناً فى سبتمبر الحالي مقابل ١٤٨٧٧ طناً فى سبتمبر من العام الماضي .

وبلغ متوسط كميات المواد البترولية على كل ناقلة محملة ٢٧.٥٢ طناً مقابل ٢٦.٩٤ طناً فى سبتمبر ١٩٦١ .

وتمثل الحمولة الصافية للناقلات نسبة قدرها ٧٥٪ من مجموع الحمولة الصافية للسفن التى عبرت القناة خلال هذا الشهر بينما كانت هذه النسبة ٧٤٪ فى سبتمبر الماضي

وبالنسبة لاتجاه العبور فقد عبرت القناة من الشمال الى الجنوب ٢٨ ناقلة فى سبتمبر ١٩٦٢ مقابل ٣٧٥ ناقلة فى نفس الشهر من العام الماضي ، وبزيادة قدرها ٦٣ ناقلة منها ٤٦ ناقلة فارغة (٣٩٩ مقابل ٣٥٢) و ١٧ ناقلة محملة (٢٩ مقابل ٣٢) .

وزادت الناقلات العابرة شمالاً بمقدار ٦٤ ناقلة (٣٥ مقابل ٣٧١) وبينما زادت الناقلات المحملة بمقدار ٦٧ ناقلة (٤٢٠ مقابل ٣٥٣) نقصت الناقلات الفارغة بمقدار ثلاث ناقلات (١٥ مقابل ١٨) .

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع حسنة - مدخل الغرب

لصند
٤١٩٢ / ٤٠٧٥٣
٤٠٩٤ / ٤٠٥٩٨

